

اجاثا كريستي
الشاهدة الوحيدة



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

- بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الشاهدة الوحيدة

They do it with mirrors

شعرَ المحيطون بـ «كاري لويز» بالقلق بشأن مصيرها. أعْرَبتْ أُخْتُها «روث» أولا عن هذا القلق ثُم ابنُ زوْجها وكذلك زوجُها الثالث «لويس سيرو كولد». تزوجتْ «كاري لويز» ثلاث مرات ولها ابنةٌ شرعيةٌ وابنةٌ متبناةٌ ومجموعةٌ من أبناء أزواجها.

كلّ هؤلاء يعيشون في منزل مُلحقٍ به مدرسةٌ لإعادة تأهيلِ الشباب المنْحَرفين والذين يُعانون اضطرابات نفسيّة. إنَّه منزلٌ للمجانين.. هذا ما تقولهُ المرضةُ المسؤولةُ عن العناية بـ «كاري لويز» بتفانٍ. تعاني «كاري لويز» مرضًا غريبًا يُشْبه في أعراضهِ أعراض التسمُّم بمادة الزرنيخ. الدراما التي تُحاك في هذه الرواية ينتهي بها الأمر إلى أن تنفجر، ولكن لن تكون الضحيةُ هي كما كان متوقعًا.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338321-9

9 789953 383217

الشاهدة الوحيدة

الاسم الأصلي للرواية

THEY DO IT WITH MIRRORS

(1952)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

بونـارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعربّة

الشاهدة الوحيدة

(34)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 00 961 9 212 666 فاكس 00 961 9 212 665

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي للصحافة – دار البشير – دار إي بي سي

الفصل الأول

ابتعدت السيدة "**فان ريدوك**" قليلاً من أمام المرآة وزفرت قائلة:
– من الأفضل أن يكون كذلك. ما رأيك يا "**جان**"؟ ألقت الآنسة "**ماربيل**" نظرة إعجاب إلى الفستان وهو من تصميم "**لانفانيلي**" وقالت:
– أرى هذا الفستان رائعاً. أجابت السيدة "**فان ريدوك**" بزفرة جديدة وقالت:
– أوه! ليس الفستان ما يشغلني. ساعديني على أن أخلع الفستان يا "**ستيفاني**".
مررت سيدة عجوز –شعرها أبيض ولها شفتان مزمومتان وحركات دقيقة– الفستان أعلى ذراعي سيدتها المرفوعتين.
وقفت السيدة "**فان ريدوك**" في قميصها الداخلي وهو من الستان الوردي المماثل للون الخوخ، ومشد الخصر والردفين يبرز تفاصيل جسدها المتناسق، تضع في ساقيها اللتين لم تفقدا شيئاً من قوامهما – جوارب من النيلون الرقيق جداً. من بعيد كان وجهها يبدو مفعماً بالشباب وذلك بفضل مساحيق التجميل وملامحها الثابتة.
كان شعرها المصفف بطريقة جميلة يبرز اللون الأزرق بلون زهرة الأرطنسية أكثر من الرمادي. لم تقتر قط فيما يختص بالعناية بنفسها، وتكمل هذه العناية بنظام غذائي قاسٍ وتدليك منتظم وتدريبات رياضية مناسبة. كان من الصعب معرفة سنها الحقيقية عند رؤيتها. سألت "**روث فان ريدوك**" بنظرة ماكرة:
– "**جان**" يا صديقتي العزيزة، هل تعتقدين أن الكثير من الناس يستطيعون أن يخمنوا أنني وأنتِ في العمر نفسه فعلاً؟ طمأنتها "**ماربيل**" في نبرة صدق:
– لا يوجد مخلوق في العالم يستطيع تخمين ذلك؛ لأنني أخشى أن كل لحظة من حياتي قد وضعت خطاً على وجهي.
كان شعر الآنسة "**ماربيل**" شديد البياض، بشرتها وردية، وجهها مخطط بالتجاعيد العديدة، عيناها تلمعان كالبورسلين زرقاوان وساذجتان. كانت نمطا لشخصية العجوز اللطيفة، ولكن لا أحد يستطيع أن يفكر في وصف السيدة "**فان ريدوك**" بأنها عجوز لطيفة. قالت السيدة "**فان ريدوك**" مبتسمة:
– أعتقد أنك تبدين في عمرك الحقيقي وأنا أيضاً، ولكن ليس بالطريقة نفسها، هذا كل ما في الأمر. إنهم من حولي يقولون: "هذه العجوز تحافظ تماماً على نفسها".
تركت نفسها لتسقط في مقعد منجد بالستان. قالت:
– "**ستيفاني**".. لم أعد أحتاج إليك. تستطيعين أن تنصرفي. طوت "**ستيفاني**"

الفستان وغادرت الحجرة. همست "**روث فان ريدوك**" :

– "**ستيفاني**" امرأة طيبة. إنها تخدمني منذ أكثر من ثلاثين عامًا. وهي المرأة الوحيدة التي تعرف حقيقتي! "**جان**"، عزيزتي "**جان**" يجب أن أتحدث إليك.

مالت السيدة "**ماربيل**" إلى الأمام في اهتمام. إنها تشذ قليلاً عن هذه الغرفة الفاخرة، جوهرة أفضل جناح في هذا الفندق الفاخر. ترتدي ملابس سوداء وتمسك بيدها حقيبة، لا شيء يضلل عن معرفة سنها الحقيقة.

– إني قلقة يا "**جان**" بشأن "**كاري لويز**".

– بشأن "**كاري لويز**"؟ رددت الآنسة "**ماربيل**" الاسم سارحة في الماضي.

المدرسة الداخلية في "**فلورنسا**"... هي نفسها " **جان ماربيل**" فتاة إنجليزية وردية البشرة ونضرة... خرجت توًا من منزل أسرتها... ثم الأختان الصغيرتان "**مارتن**"، أمريكيتان حتى النخاع، كانت تراهما بنظرة فتاة بريطانية صغيرة إنهما مدهشتان لصراحتهما، وتصرفاتهما الطبيعية وحيويتهما التي لا حدود لها... و "**روث**" طويلة وشغوفة لمعرفة كل شيء... والصغيرة "**كاري لويز**" الرقيقة الحزينة...

– متى رأيتها آخر مرة يا "**جان**"؟

– أوه! منذ سنوات. منذ خمس وعشرين سنة على الأقل. بالتأكيد نحن مازلنا نتبادل بطاقات التهنئة في الأعياد.

فكرت الآنسة "**ماربيل**" في أن الصداقة أحيانًا تأخذ منعطفات غريبة. منذ شبابهما، اتخذت حياتها وحياة الأمريكيتين مناحي مختلفة، وعلى الرغم من ذلك استمرت روابط الصداقة من خلال تبادل الخطابات من وقت لآخر والتهنئة في أعياد رأس السنة. ولكن لأن "**روث**" تقيم في منزلها في "**الولايات المتحدة**" كما تمتلك أكثر من منزل هناك فكانت "**ماربيل**" كثيراً ما تراها، ومثل حال كل الأمريكيات اللاتي في مستواها نفسه كانت "**روث فان ريدوك**" تسافر كثيراً. كل سنة تقريبًا كانت تسافر إلى "**أوربا**" من "**لندن**" إلى "**باريس**" وتقيم في "**كوت دازور**" تروح وتجيء، ولكنها كانت تحرص دائمًا على قضاء بعض الوقت مع صديقاتها القدامى.

كانت طقوس اللقاءات لا تتغير: "**الكلاريوج**"، "**السافوي**"، "**باركلي**" أو "**دورشيستر**"، غداء فاخر، الحديث عن ذكريات الماضي ثم وداع حار وسريع. في الواقع لم تجد "**روث**" مرة واحدة الوقت للتوجه إلى "**سان ماري ميد**" فضلا على الآنسة "**ماربيل**" فهي لم تتوقع ذلك قط. كل منهن تعيش حياتها وفقًا لإيقاعها الخاص. تعيش "**روث فان ريدوك**" حياتها على إيقاع سريع. بينما كانت الآنسة

"**ماربيل**" تكتفي بالإيقاع البطيء.

كانت "**روث**" الأمريكية هي الصديقة الوحيدة التي تلتقي بها بانتظام، بينما مضى حوالي عشرين عاماً دون أن تلتقي بـ "**كاري لويز**" على الرغم من أنها كانت تعيش في "**إنجلترا**". المدهش والطبيعي أيضاً في الوقت نفسه هو أننا عندما نعيش في نفس البلد نشعر بأننا لا نحتاج إلى أن نرتب لقاءات مع الأصدقاء القدامى، نتصور أننا آجلاً أم عاجلاً سنتلاقى معهم، ولكن لا يحدث ذلك، ولم تتلاق طرق "**جان ماربيل**" و "**كاري لويز**" وذلك ببساطة. سألت الآنسة "**ماربيل**":

– لماذا تقلقين بشأن "**كاري لويز**" يا "**روث**"؟

– لا أدري سبب قلقي، وبشكل ما هذا ما يزيد من قلقي!

– إنها ليست مريضة على الأقل؟

– إنها ضعيفة جداً... كانت دائماً ضعيفة، ولكن مع تقدمها في السن –كما هو حالنا جميعاً– أتصور أن ضعفها سيتفاقم.

– هل هي حزينة؟

– أوه لا! في الحقيقة لا يمكن أن تكون حزينة. فكرت الآنسة "**ماربيل**" في أن "**كاري لويز**" لا يمكن أن تكون حزينة على الرغم من أنها اضطرت إلى أن تكون حزينة في بعض لحظات حياتها، ولكن "حزينة" صفة لا يمكن أن تتصف بها "**كاري لويز**". مضطربة نعم... مذهولة من الممكن أيضاً... ولكن مجنونة من الحزن، لا بالتأكيد. فضلاً على أن السيدة "**فان ريدوك**" أكدت أفكار الآنسة "**ماربيل**":

– لقد عاشت "**كاري لويز**" دائماً خارج العالم وخارج الزمن. إنها لا تعرف الحقيقة. ربما هذا ما يقلقني.

– مخاطر حياتها... وبمجرد أن بدأت جملتها توقفت الآنسة "**ماربيل**" وهزت رأسها ونطقت بكلمة "لا". رددت "**روث فان ريدوك**" كأنه صدى صوت:

– لا. من بين ثلاثتنا "**كاري لويز**" تتصرف بمثالية. بالتأكيد عندما كنا صغاراً كانت هذه هي الموضة. لقد كنا جميعاً كذلك. كانت هذه المثالية تنبع من داخلنا. أنتِ يا "**جان**" كنتِ تريدين الذهاب لعلاج مرضى الجذام، وأنا أردت أن أكون راهبة. لقد شفينا من هذا الهراء. أعتقد أن الزواج قد يعيد إلى الإنسان عقله، وأعتقد أن الزواج قد أفلح معي.

رأت الآنسة "**ماربيل**" أن صديقتها تعبر عن الأشياء بطريقة حادة. تزوجت "**روث فان ريدوك**" ثلاث مرات ودائماً من رجال عظيمي الثراء، والطلاق الذي كان يتبع

الزواج لم يكن يترك في نفسها مرارة، ولكن يترك لها حسابًا في البنك أكثر انتفاخًا في كل مرة. استطردت السيدة "**فان ريدوك**" :
– صحيح كنت صلبة دائمًا. لا شيء يهزمني. لم أنتظر قط الكثير من الحياة. لم يهزمني شيء وبالتأكيد انتظرت القليل من الرجال لهذا السبب صمدت. ليس بقلبي ضغينة. مازلت أنا و "**توم**" أفضل صديقين في العالم، وغالبًا ما يستشيرني "**جوليوس**" بشأن أعماله في البورصة. وعبس وجهها واستطردت :
– في الواقع هذا ما يقلقني بشأن "**كاري لويز**" ... هل تفهمين؟ لقد كانت تميل دائمًا إلى الزواج بـ "المستنيرين" .
– مستنيرين؟
– نعم، أصحاب المبادئ المثالية. كانت "**كاري لويز**" الفريسة التي يحلم بها هذا النوع من الرجال. إني أتذكر صورتها من سبعة عشر عامًا، كانت جميلة مثل الوردة وهي تسمع بعينين دهشتين مستكشفتين العجوز "**جولبراندسين**" وهو يكشف لها عن خطته الكبرى بشأن سعادة البشرية. كان عمره يتجاوز الخمسين، كان عنده أطفال بالغون وتزوجته... لا لشيء سوى لأفكاره المحبة للبشرية. كانت تمضي ساعات تنصت إليه فاغرة الثغر تمامًا مثل "**ديدمونة**" أمام "**عطيل**" . لحسن الحظ لم يكن هناك "**إياجو**" لكي يبث الخلاف بينهما... وعلى أية حال لم يكن "**جولبراندسين**" أسود. كان سويديًا أو نرويجيًا أو شيئًا ما من هذا القبيل.
هزت الآنسة "**ماربيل**" رأسها مفكرة. الكل يعرف اسم "**جولبراندسين**" . موهوب في عالم الأعمال ويتمتع بأمانة لا تشوبها شائبة. لقد كون ثروة ضخمة، وكان حب البشرية بالنسبة إليه هو الوسيلة الوحيدة لاستخدامها. وبقيت من هذه الثروة مؤسسة "**جولبراندسين**" ، وبورصات البحث، وملاجئ "**جولبراندسين**" . وأشهر أعماله الخيرية المدرسة العالمية الكبيرة التي أنشأها لأطفال طبقة العمال. استطردت "**روث فان ريدوك**" :
– أنت تعرفين أنها لم تتزوجه لماله. أنا لو كنت في مكانها لفعلت لكن ليس "**كاري لويز**" . لست أدري ماذا كان سيحدث لو لم يمت عندما كان عمرها 32 سنة. كانت أرملة في سن حرجة. تكونين قد اكتسبت الخبرة ولكن مازلت ضعيفة حتى تتأقلمي على وضعك.
كانت الآنسة "**ماربيل**" قد بقيت دون زواج. استندت إلى ظهر مقعدها وهي تحاول أن تتذكر الأرامل اللاتي عرفتهن في قريتها "**سان ماري ميد**" . استطردت صديقتها :

– لقد سعدت حقًا من أجل "**كاري لويز**" عندما علمت أنها تزوجت للمرة الثانية بـ "**جوني ريستاريك**" . لقد تزوجها من أجل حسابها في البنك... أو أنه لم يكن ليتزوجها لو لم تكن تمتلك ثروة بهذا القدر. لقد كان "**جوني**" أنانيًا وإقطاعيًا كسولاً. كل ما كان يهمه حياة الرفاهية. كان يجب أن تذهب "**كاري لويز**" إلى أفضل الخياطين، وأن يكون لديها يخوت وسيارات وأن تمضي الوقت معه. الرجال من هذا النوع مريحون للغاية، أعطهم الراحة والرفاهية ويموءون مثل القطط ويكونون في قمة اللطف. لم آخذ مأخذ الجد اهتمام "**جوني**" بقصة ديكور المسرح وادعائه العمل في الإخراج. ولكن بالنسبة إلى "**كاري لويز**" كان كل ذلك هذيانًا... بالنسبة إليها كان فنًا بمعناه الكبير وأجبرته على العودة إلى هذا الوسط، وفي هذه اللحظة تسلط عليها هذا اليوغسلافي الرهيب. في الواقع لم يرغب "**جوني**" حقًا في الرحيل. لو أظهرت "**كاري لويز**" بعض الصبر والتعقل لعاد إليها. سألت الآنسة "**ماربيل**" :

– هل كانت تحبه كثيرًا؟

– هذا هو الأمر المضحك. لا أعتقد أنها كانت تحبه حقًا. في كل هذا الأمر لم تتوقف عن إظهار لطفها... لكن هذا طبيعي، إنها لطيفة. لقد أرادت بكل قوة أن يطلقها حتى يستطيع أن يتزوج هذه المخلوقة. لقد عرضت عليه أيضًا أن تأخذ في بيتها طفليه من زواجه الأول لتمنحهما حياة مستقرة. وبذلك تزوج "**جوني**" بتلك المرأة المترجلة التي عاش معها ستة أشهر من الجحيم. وبعد هذه الفترة، في نوبة غضب أرجحت سيارتهما عند أحد المنحدرات . ادعت التحقيقات أنه حادث ولكني أؤكد أن هذا مظهر أخير من مظاهر سلوكه القذر. توقفت السيدة "**فان ريدوك**" وأخذت مرآة ونظرت نظرة فاحصة إلى وجهها، ثم أمسكت ملقاطًا وانتزعت شعرة متمردة من أحد حاجبيها واستأنفت حديثها قائلة:

– وماذا تعتقدين أن "**كاري لويز**" فعلت بعد ذلك؟ لقد تزوجت من "**لويس سيروكولد**" . إنه من محبي المثالية أيضًا! أوه لا أستطيع أن أدعي أنه لم يحبها – أعتقد أنه مجنون بها – ولكنه هو أيضًا كانت لديه هذه الرغبة المجنونة في تحويل حياة كل فرد كما يريد. بينما –كما تعرفين يا "**جان**" – لا أحد يستطيع أن يغير حياة الآخر إلا برغبة الفرد نفسه. همست الآنسة "**ماربيل**" :

– إني أتساءل... قالت "**روث**" :

– المشكلة أنه بالنسبة إلى هذه الأمور توجد موضة مثلما في الملابس... بالمناسبة هل رأيت ماذا ابتكر "**كريستيان ديور**" من تنورات؟ فيم كنا نتحدث؟.. آه نعم في

الموضة.. باختصار في مسألة حب البشر هناك أيضًا الموضة.

في عصر "**جولبراندسين**" كان التعليم، لكن اليوم لم يعد التعليم. لقد تدخلت الدولة في الأمر. الجميع يعتبرون التعليم حقًا. إن جرائم الشباب هي التي تثير الذعر الآن. آه لو رأيتِ عيني "**لويس سيروكولد**" وهما تلمعان خلف نظارته السميكة. إنه مريض بالحماس! إنه من هؤلاء الرجال الذين يتمتعون بإرادة غير عادية ويستطيعون أن يعيشوا على ثمرة موز وقطعة خبز من أجل توفير أفضل طاقاتهم للقضية. وابتلعت "**كاري لويز**" الطعم... كالمعتاد... لكن هذا لا يعجبني يا "**جان**". لقد كان هناك العديد من الاجتماعات لمجلس إدارة المؤسسة ولقد تأقلم المكان بأكمله مع الموضة الجديدة. الآن أصبحت المؤسسة متخصصة في تدريب الجانحين من الشباب مع مجموعة كبيرة من المحللين النفسيين والمعالجين النفسيين. و"**لويس**" و"**كاري لويز**" يعيشان هناك ويحيط بهما كل هؤلاء الصبية الذين ليسوا طبيعيين في أغلبهم على الأرجح... من القبو حتى السطح يكتظ المنزل بأناس يتم علاجهم بالتشغيل، بالمعلمين والمتحمسين ونصفهم من المختلين، وعزيزتي المسكينة "**كاري لويز**" محاصرة وسط كل ذلك. صمتت السيدة "**فان ريدوك**" وألقت إلى صديقتها نظرة رجاء. لاحظت الآنسة "**ماربيل**" ذلك وقالت:

– "**روث**"، أنت مازلت لم تخبريني بالتحديد لماذا أنت قلقة.

– لقد قلت لك لست أدري مما أخاف! وهذا ما يقلقني! لقد قفزت إلى هناك، ولقد عدت توًا. وطوال الوقت كنت أشعر أن هناك شيئًا غير عادي في الجو العام.... في المنزل. أنا متأكدة أنني غير مخطئة. إني حساسة جدًا لما يحيط بي. هذا حالي دائمًا. ألم أخبرك بأنني نصحت "**جوليوس**" بالتخلص من شركته "**أماجاميتد سيريالز**" تمامًا قبل أن تنهار؟ ولم أكن مخطئة في ذلك. هناك شيء غير طبيعي، ولكني لم أستطع أن أحدده.. أو أحدد إذا كان الأمر يتعلق بهؤلاء الشباب المختلين أم أعضاء المنزل. لا أستطيع أن أخبرك بالتحديد. بين "**لويس**" الذي يعيش من أجل أفكاره ورأسه بين السحاب و"**كاري لويز**" – ليباركها الله! – التي لا ترى شيئًا ولا تسمع شيئًا ولا تفكر إلا في عبارات "يا له من مشهد جميل!"، "يا لها من فكرة عبقرية!" كل ذلك طيب، ولكن ليس سيئًا أن نضع أقدامنا أحيانًا على أرض الواقع. الشر موجود كما تعرفين... وما أريده يا "**جان**" هو أن تذهبي بسرعة وتكتشفي ما الأمر. قالت الآنسة "**ماربيل**" بصوت مختنق:

– أنا! ولماذا أنا؟

– لأن لديك حاسة قوية لهذا النوع من الأشياء. منذ الصغر، خلف مظهرك البريء يا "جان" إدراك ثاقب لا ينخدع، فأنت تتوقعين دائماً الأسوأ. زفرت الآنسة "ماربيل" وهي تقول:

– توقع الأسوإ مازال أفضل وسيلة حتى لا نقع في الخداع.

– ما لا أستطيع أن أفهمه هو لماذا تنظرين إلى الجنس البشري بهذه النظرة السيئة... أنت التي تعيشين في قريتك الصغيرة الهادئة في هذا العالم المتحفظ النقي...

– "روث" أنتِ لم تعيشي في قرية قط، وما قد يحدث في قرية صغيرة قد يدهشك.

– أوه! أنا لا أشك في ذلك... ولكن ما أريد أن أقوله أن هذا لا يدهشك. أنتِ ستذهبين إذن إلى "ستونيجيتس" وستكتشفين ماذا يحدث، أليس كذلك؟

– لكن يا "روث" سيكون ذلك صعباً تماماً بالنسبة إليَّ.

– لا على الإطلاق. لقد فكرت في كل شيء. أتمنى ألا تكرهينني حتى الموت ولكنني مهدت الطريق. ابتسمت السيدة "فان ريدوك" ابتسامة مصطنعة للآنسة "ماربيل" وأشعلت سيجارتها في عصبية وبدأت تشرح لها:

– أنتِ تعترفين –وأنا مقتنعة بذلك– أن بعد الحرب أصبحت الحياة صعبة في هذا البلد بالنسبة إلى من لديهم دخل ضعيف، بالنسبة إلى من هم في مثل وضعك أنتِ يا "جان" اسمحي لي بأن أقول ذلك.

– أوه نعم هذا مؤكد. دون لطف ابن أخي "ريموند" وكرمه لا أعرف حقًّا كيف كنت سأتدبر أمر معيشتي. قاطعتها السيدة "فان ريدوك":

– دعينا لا نتحدث عن ابن أخيكِ. لم تسمع "كاري لويز" عنه قط. ربما تعرفه كاتباً ولكنها تجهل أنك عمته. لا، اسمعي بماذا أخبرت "كاري لويز": "إن ما يحدث لعزيزتنا "جان" أمر يثير الحزن حقًّا. ليس لديها ما تأكل لتسد جوعها وهي معتدة بنفسها حتى إنها لا تقبل أن تطلب المساعدة من أصدقائها. بالإضافة إلى أننا لا نستطيع أن نقترح عليها مساعدة مالية... ولكن الإقامة في مكان مريح بالقرب من صديقة قديمة مع وفرة الطعام دون مسؤوليات أو قلق. هذا ما نستطيع أن نقترحه عليها". صمتت "روث فان ريدوك" لحظة ثم أنهت حديثها في تحدٍّ قائلة:

– هيا الآن! تقدمي واخلعي عيني من وجهي إذا أردتِ. لمعت عينا الآنسة "ماربيل" الزرقاوان بالدهشة:

– لماذا تريدينني أن أقتلع عينيك يا "روث"؟ لقد تصورت خطة عبقرية ومقنعة

أيضًا. أنا متأكدة أن "**كاري لويز**" قد وافقت.

– لقد كتبت لك. ستجدين خطابها عندما تعودين إلى بيتك. بصراحة يا "**جان**" ألا ترين أنني قد تخطيت الحدود معك بطريقة لا تغتفر؟ ألستِ غاضبة مني؟ ترددت السيدة "**فان ريدوك**" والآنسة "**ماربيل**" تختم عبارتها:

– لأنكِ تصرفتِ بحيث يتم دعوتي للإقامة في "**ستونيجيتس**".. بحجة مقبولة. أنا لست غاضبة على الإطلاق بما أن هناك ضرورة لذلك، أو أنك يا عزيزتي الطيبة ترين ذلك ضروريًا وأنا أميل إلى أن أشاركك هذا الرأي. نظرت السيدة "**روث فان ريدوك**" إلى الآنسة "**ماربيل**" جاحظة العينين من الدهشة.

– لمَ هذا؟

– لأنكِ شديدة الإقناع يا "**روث**". أنتِ لست مولعة بالكذب.

– لا. ولكنني ليس لدي شيء محدد أبني عليه شكوكي. فكرت الآنسة "**ماربيل**" وقالت:

– أذكر في صباح يوم أحد في المكتب كنت جالسة خلف "**جراس لامبيل**" ولم أتوقف عن الإحساس بالقلق بشأنها. كانت لدي قناعة كبيرة بأن هناك شيئًا ليس على ما يرام، وكنت غير قادرة على أن أضع يدي عليه. كان ثَمَّ شعور تسبب في الاضطراب وفي الوقت نفسه شعور أكيد.

– هل كان هناك شيء ليس على ما يرام حقًّا؟

– أعتقد ذلك. منذ بعض الوقت كان والدها الأميرال العجوز يبدو غريب الأطوار. تصوري أنه في اليوم التالي هجم على ابنته ولوح في وجهها بالشمعدان وهو يصيح بأن عدو المسيح قد تنكر في صورة ابنته. كان قريبًا جدًا من قتلها. أخذوه إلى مستشفى الأمراض العقلية، أما ابنته فقد شفيت بعد أن قضيت قرابة الشهر في المستشفى.

– هل كان لديك الحدس بما سيحدث؟

– الحدس ليس الكلمة السليمة. لقد كان شعورًا مستندًا إلى أحداث. هذا ما يحدث بوجه عام، ولكننا لا نعي الأمر مباشرة. ما أثار دهشتي هو أن "**جراس لامبيل**" كانت قد وضعت قبعة الأحد بالمقلوب. وكان هذا معبرًا جدًا؛ لأن "**جراس**" كانت امرأة شديدة الترتيب وليست مستهترة.. وكان من الصعب تصور الأحداث التي جعلتها لا تلاحظ وضع قبعتها قبل أن تذهب إلى الكنيسة. حسن... إذا كنت تريدين أن تعرفي كل شيء ففي هذا اليوم كان والدها قد ألقى عليها ثقالة ورق من

الرخام فحطم مرآة المدخل، أما هي فقد أخذت قبعتها على عجل ووضعتها على رأسها.. كانت تريد أن تتجنب نميمة الخدم. كانت تفسر سلوك والدها هذا بأنه يرجع لمزاجه المتقلب، دون أن تعي أن عقل والدها قد خرب تماماً، ولكن كان عليها أن تدرك ذلك، فهو لم يكن يتوقف عن الشكوى من الجواسيس الذين يحيطون به، والأعداء الذين يدبرون له المكائد.

– الأعراض المعتادة. نظرت السيدة "**فان ريدوك**" إلى صديقتها بنظرة مفعمة بالاحترام.

– على أية حال يا "**جان**" فإن قريتك "**سان ماري ميد**" ليست الملجأ المثالي كما كنت أتصور.

– تعرفين يا عزيزتي أن الطبيعة البشرية واحدة في كل مكان، ولكن في مدينة كبيرة يصعب ملاحظتها من قريب، هذا كل شيء.

– وهل ستذهبين إلى "**ستونيجيتس**"؟

– سأذهب إلى "**ستونيجيتس**". قد يبدو ذلك غير عادل في حق ابن أخي "**ريموند**"... لكن هذا الولد العزيز سيذهب لقضاء ستة أشهر في "**المكسيك**"... وعندما يعود سيكون كل ذلك قد انتهى.

– ما الذي سيكون قد انتهى؟

– لن تستضيفني "**كاري لويز**" حتى نهاية الزمان. لنقل ثلاثة أسابيع أو شهر... هذا يكفي.

– لاكتشاف ماذا يحدث؟

– لاكتشاف ماذا يحدث.

– تبًا يا "**جان**".. أنتِ شديدة الثقة بنفسك، أليس كذلك؟ نظرت إليها الآنسة "**ماربيل**" نظرة عتاب.

– لكنك أنتِ من تثق بي، أو على الأقل هذا ما تقولينه. أستطيع فقط أن أقول لكِ إنني سأفعل كل شيء؛ لأبرهن على هذه الثقة.

الفصل الثاني

قبل أن تستقل الآنسة "**ماربيل**" القطار إلى "**سان ماري ميد**" مستفيدة من الأجرة المخفضة ليوم الأربعاء، وكعادتها الدقيقة والمنهجية أخذت تجمع بعض المعلومات:

– بالتأكيد لقد بقيت أنا و"**كاري لويز**" نتراسل، ولكن لم يتعد الأمر بطاقات المعايدة. في الحقيقة الأحداث هي التي أريد معرفتها يا عزيزتي "**روث**"... وكذلك تكوين فكرة عن الأشخاص الذين سأقابلهم في "**ستونيجيتس**".

– حسن. تعرفين أن "**كاري لويز**" قد تزوجت "**جولبراندسين**" ولم يرزقا بأطفال، وسعدت "**كاري لويز**" بذلك. لقد كان "**جولبراندسين**" أرمل وله ثلاث صبية. ومؤخراً تبنيا طفلة، أطلقوا عليها اسم "**بيبا**"... إنها طفلة رائعة. كان عندها سنتان عندما جاءت إلى بيتهما.

– من أين أتت؟ ماذا كانت أصولها؟

– في الواقع يا "**جان**" لم أعد أذكر. ربما جاءت من ملجإٍ؟ أو أنها طفلة وحيدة سمع عنها "**جولبراندسين**". لكن لماذا هذا السؤال؟ هل تعتقدين أن هذا مهم؟

– أعتقد أنه من الأفضل أن أعرف مع من أتعامل، لكن أكملي.

– حسن.. وبعد أن تمت إجراءات التبني اكتشفت "**كاري لويز**" أنها حامل. يقول بعض الأطباء إنها ظاهرة تحدث كثيراً. هزت الآنسة "**ماربيل**" رأسها:

– أعتقد ذلك.

– باختصار حدثت هذه الظاهرة، والمثير للدهشة أن "**كاري لويز**" قد أصيبت بالحيرة. لو كان هذا الحمل قد حدث مبكراً لطارت من الفرحة. ولكن في ذلك الوقت كانت "**بيبا**" قد حازت على حبها وشعرت بأنها مضطرة إلى الاعتذار إليها لهذا الموقف القدري، ومما زاد الموقف تعقيداً أن "**كاري لويز**" قد ولدت بنتاً قبيحة جداً أطلقت عليها "**ميلدريد**" أخذت من والدها "**جولبراندسين**" الصلابة والجدية ولكنها كانت تفتقر إلى الجمال. أرادت "**كاري لويز**" دائماً أن تظهر أنها لا تفرق في معاملة البنتين ولكنها دون أن تدري كانت شديدة التعلق بـ"**بيبا**" بينما تهمل "**ميلدريد**". وكنت أخبرها أحياناً بأن "**ميلدريد**" لابد أنها تعاني ذلك. لكن على أية حال لم أكن أذهب إليها كثيراً لكي أرى. ومهما كان الأمر كبر الأطفال. أصبحت "**بيبا**" فتاة جميلة جداً بينما بقيت "**ميلدريد**"... كيف أقول ذلك بطريقة لطيفة؟ دميمة. عند موت "**إيريك جولبراندسين**" كانت "**ميلدريد**" عمرها 15 عاماً و "**بيبا**" 18 عاماً. في سن العشرين تزوجت "**بيبا**" بـإيطالي وهو المركيز "**جيدو دي سان سيفيريانو**" وهو مركيز بمعنى الكلمة. لم يكن مغامراً أو شيئاً من هذا القبيل. وكانت "**بيبا**" من هذا النوع من النساء الذي يطلق عليه ثرية بالوراثة. ولو لم تكن كذلك لما تزوجها "**سان سيفيريانو**" أنت تعرفين طبيعة الإيطاليين! في وصيته ترك "**جولبراندسين**"

مبلغًا معادلاً لكل من الفتاتين المتبناة والشرعية. أما "**ميلدريد**" فقد تزوجت كاهنًا... رجل رائع ولكنه ليس مرحًا. أكبر منها بحوالي عشر أو خمس عشرة سنة... أعتقد أنه كان زواجًا سعيدًا. لقد مات منذ سنة وعادت "**ميلدريد**" إلى "**ستونيجيتس**" لتعيش مع أمها... لكنني قد أسرعت في روايتي لقد تخطيت زيجة أو زيجتين.. سأعود إليهما... لقد تزوجت "**بيبا**" الإيطالي وسعدت "**كاري لويز**" لهذه الزيجة. لقد كان "**جيدو**" رائعًا جميلا جدًا ورياضيًا. وبعد سنة أنجبت "**بيبا**" بنتًا وماتت "**بيبا**" في أثناء الولادة. يمكنك أن تتصوري المأساة التي في هذا الموقف. كان "**جيدو دي سان سيفيريانو**" محطمًا تمامًا. وأخذت "**كاري لويز**" تروح وتجيء من "**إيطاليا**" إلى "**إنجلترا**" بشكل دائم وفي "**روما**" قابلت "**جوني ريستاريك**" وتزوجته. وعلى هذا تزوج المركيز "**جيدو**" مرة ثانية سعيدًا بأن يرى ابنته تكبر في "**إنجلترا**" وتترعرع في ثروة جدتها الضخمة. وبذلك استقروا جميعًا في "**ستونيجيتس**": "**جوني ريستاريك**" و"**كاري لويز**" بالإضافة إلى ابني "**جوني**" ("**أليكس**" و"**ستيفان**") لقد كانت زوجة "**جوني**" الأولى روسية و"**جينا**" كانت طفلة، دون أن ننسى "**ميلدريد**" التي ستتزوج الكاهن بعد عامين. وبعد ذلك كانت هناك هذه القصة بين "**جوني**" والمرأة اليوغسلافية والطلاق الذي تبع ذلك. كان الصبيان يعشقان "**كاري لويز**" واستمرا في المجيء إلى "**ستونيجيتس**" في الإجازات. وبعد ذلك، عام 1938 كما أذكر.. نعم في هذا التاريخ تزوجت "**كاري لويز**" بـ"**لويس**". أخذت السيدة "**فان ريدوك**" برهة لتتنفس قليلاً:

– ألا تعرفين "**لويس**"؟ هزت الآنسة "**ماربيل**" رأسها:

– لا. أعتقد أن آخر مرة رأيت فيها "**كاري لويز**" كانت عام 1928 لقد دعتني من دماثة أخلاقها إلى "**كوفنت جاردن**"...أوه! للأوبرا على الأرجح.

– نعم... لقد كان "**لويس**" هو الزوج المناسب لها. كان يدير شركة خبراء محاسبين معروفة. أعتقد أنهما قد تقابلا بمناسبة مشكلة مالية تتعلق بمؤسسة "**جولبراندسين**" والمدرسة، لقد كان ميسورًا وفي نفس سنها تقريبًا. كان رجلاً ذا استقامة في كل المناسبات، ولكنه كان هو أيضًا مستنيرًا. ومهتمًا كثيرًا بإعادة تأهيل الشباب المختل. زفرت "**روث فان ريدوك**" في عمق:

– كما سبق أن حدثتك يا "**جان**" فإن حب الإنسانية لها الموضة الخاصة بها أيضًا، في عصر "**جولبراندسين**" كان التعليم وقبل ذلك كان الحساء الشعبي. هزت الآنسة "**ماربيل**" رأسها:

– هذا صحيح، العصر المختر وحساء اللحم الذي كان يقدم للمرضى ذوي الحاجة. كانت أمي تعتقد في هذه الأعمال الخيرية تماما..

– تماماً. تغذية الجسد لتقوية الروح، تعليم الطبقة العاملة، ثم انتهت هذه الموجة. وبعد ذلك، أتصور أنهم قد تخلوا عن فكرة تعليم الأطفال ورأوا أن يتركوا في أميتهم حتى سن الثامنة عشرة.. على أية حال كانت مؤسسة "**جولبراندسين**" للتعليم متعسرة، وكانت الدولة تستأنف دورها على حسابها الخاص. وعندئذ جاء "**لويس**" بشغفة لتدريب يعيد تأهيل الشباب الذي يعاني مشاكل نفسية. كانت مهنته هي التحقيق في الحسابات المزيفة التي يقوم بها الشباب الموهوب المفعم بالخيال. هذا ما أقنعه بأن الشباب المضطرب عقلياً ليسوا متخلفين... بل على العكس يتمتعون بفكر لامع وقدرات ممتازة، ولم ينقصهم سوى إرشادهم للاتجاه الصحيح. تدخلت الآنسة "**ماربيل**":

– هذا ليس خطأ. ولكن ليس صحيحاً تماماً أيضاً. إني أذكر.... توقفت لتنظر إلى ساعتها في قلق:

– يا إلهي! لا يجب أن يفوتني قطار الساعة 6:30. سألتها الآنسة "**فان ريدوك**":

– هل ستذهبين إلى "**ستونيجيتس**"؟ التقطت الآنسة "**ماربيل**" حقيبتها ومعطفها وقالت:

– إذا طلبت "**كاري لويز**" مني ذلك...

– ستطلب منك ذلك. هل ستذهبين؟ هل تعدين بذلك يا "**جان**"؟ ووعدتها "**جان ماربيل**".

الفصل الثالث

نزلت الآنسة "**ماربيل**" من القطار في "**ماركيت كيمبل**"، تبعها رفيقها في كبينة القطار يحمل حقيبتها بينما كانت تعلق حقيبة كبيرة وحقيبة يدها الجلدية وتمتمت بعبارات الشكر:

– هذا كرم منك أن تساعدني... من الصعب في هذه الأيام إيجاد حاملي الحقائب. عندما أضطر إلى السفر أشعر بكثير من الارتباك.

تاهت كلماتها وسط ضجيج مكبرات الصوت التي تعلن بصوت غير واضح بأن على الرصيف رقم (1) يستعد قطار الساعة 3:18 للاتجاه إلى مقاصد مختلفة من

المستحيل تحديدها. كانت المحطة واسعة ومفتوحة من كل الاتجاهات.. إنها محطة "**ماركيت كيمبل**" التي تبدو خالية من المسافرين وكذلك من العمال. إن بها ستة أرصفة وطريقًا للجراج تقف فيه عربة قيادة القطار وبها مقطورة واحدة، تنفث الدخان في الهواء. وقفت الآنسة "**ماربيل**" وهي في ملابسها الأكثر تأنقًا من المعتاد (كم هي محظوظة لأنها لم تتخلص من هذا "التايير" الملون) وقفت تنظر حولها عندما اقترب منها شاب وقال:

– الآنسة "**ماربيل**"؟ رن صوته بطريقة مسرحية كأنه يلقي أول عبارة خلال عرض مسرحي.

– لقد أتيت لأوصلك... إلى "**ستونيجيتس**" بالتحديد. ابتسمت إليه الآنسة "**ماربيل**" –تلك الآنسة العجوز الساحرة– ابتسامة عرفان، ولو نظر هذا الشاب إلى عينيها الزرقاوين للمح فيهما لمحة مكر. إن مظهر هذا القادم الجديد لا يتناسب مع النبرة التي يتحدث بها. هذه الفكرة جعلتها تحرك جفنيها وقالت:

– أوه شكرًا. لديَّ فقط هذه الحقيبة. لاحظت أن الشاب لم يحاول أن يرفع الحقيبة بنفسه. طرقع بإصبعيه ونادى عاملاً كان يحمل على عربته بعض الحقائب. أمر العامل في غطرسة:

– احمل هذه الحقيبة إلى "**ستونيجيتس**". أجاب العامل:

– سأوصل هذه الحمولة وسأهتم بحقيبتك. لن أتأخر. شعرت الآنسة "**ماربيل**" بأن هذا التصرف لم يعجب الشاب. كان ذلك بمثابة التجرُّؤ بوضع قصر "**باكينجهام**" وفندق "**البطات الثلاث**" على المستوى نفسه. تمتم في غضب:

– إن السكك الحديدية تنحدر في كل يوم من سيئ إلى أسوإ. ثم اصطحب الآنسة "**ماربيل**" إلى الباب وأضاف:

– اسمي "**إيدجر لوسون**" طلبت مني السيدة "**سيروكولد**" أن آتي لآخذك. أنا مساعد السيد "**سيروكولد**".

ومن جديد شعرت من نبرة الشاب بأنه يريد أن يترك لديها الانطباع بأنه رجل مهم ومشغول جدًا، وبأنه بدافع الكياسة تجاه زوجة مديره، قد ترك أعماله المهمة ليأتي ويحضرها من المحطة. لم تقتنع وشعرت بأن في حديثه شيئًا مصطنعًا. بدأت الآنسة "**ماربيل**" تطرح على نفسها أسئلة خاصة بـ "**إيدجر لوسون**". خرجا من المحطة وقادها إلى سيارة "فورد" V8 قديمة تقف أمام المبنى. سألها "**إيدجر لوسون**":

– هل تريدين الركوب في الأمام إلى جواري أم تفضلين الجلوس في المقعد الخلفي؟

في هذه اللحظة تمامًا جاءت سيارة "**رولز بينتلي**" مكشوفة وجديدة لتقف أمام السيارة الفورد. خرجت من السيارة شابة جميلة جدًّا ترتدي بنطلونًا من القطيفة وقميصًا أنيقًا، يؤكد مظهرها أنها ليست فقط فتاة جميلة بل تحب الرفاهية أيضًا. قالت:

– آه! ها هو أنت يا "**إيدجر**". كنت أتساءل إذا كنت سآتي في الوقت المحدد. أرى أنك وجدت الآنسة "**ماربيل**". لقد أتيت لأحضرها. ابتسمت إلى الآنسة "**ماربيل**" ابتسامة ساحرة تكشف عن أسنان ناصعة البياض تبرز سمرة بشرتها مثل أهل البحر المتوسط. قالت:

– أنا "**جينا**"... حفيدة "**كاري لويز**". كيف كانت رحلتك؟ فظيعة.. أتصور ذلك.. كم هي جميلة حقيبة يدك.. إني أحب الحقائب المكرمية. أعطيني إياها ومعطفك أيضًا. هكذا ستجلسين وأنتِ مستريحة. تورد خدي "**إيدجر لوسون**" وقال معترضًا:

– اسمعي يا "**جينا**"، لقد أتيت لأحضر الآنسة "**ماربيل**". لقد رتبت الأمر و...

أجابت "**جينا**" بابتسامة فاتنة:

– أوه أن أعرف يا "**إيدجر**"، ولكني حدثت نفسي بأنه سيكون لطيفًا أن آتي أنا أيضًا. سأوصلها بسيارتي وأنت ستنتظر مع حقائبها.

وأنهت حديثها وهي تقفل باب السيارة على الآنسة "**ماربيل**". ودارت حول السيارة وانزلقت في مقعدها أمام عجلة القيادة وانطلقت. نظرت الآنسة "**ماربيل**" خلفها ولاحظت عبوس "**إيدجر لوسون**" وقالت:

– لا أعتقد يا عزيزتي الصغيرة أن السيد "**لوسون**" سعيد بذلك. انفجرت "**جينا**" في الضحك:

– إن "**إيدجر**" مختل حقيقي. إنه يتصرف دائمًا وكأنه شخص يعتد به.

– هل لا يعتد به؟

– هو؟ "**إيدجر**"؟ بدت في كلمات "**جينا**" وضحكتها قسوة وسخرية.

– على أية حال إنه مجنون.

– مجنون؟

– جميعهم مجانين في "**ستونيجيتس**". في الحقيقة ليس "**لويس**" ولا جدتي ولا أنا ولا الأولاد... وليس الآنسة "**بيليفر**" بالتأكيد. وبسبب الحياة في هذا المكان أعتقد أنني أيضًا في طريقي إلى الجنون، حتى خالتي "**ميلدريد**" لا تتوقف عن

التسكع وهي تلقي الأحاديث... وهذا غير منتظر من أرملة رجل دين، أليس كذلك؟ تقدمت "**جينا**" في الطريق وغادرت ميدان المحطة وألقت نظرة خلسة إلى الراكبة وقالت:

- أنت كنت زميلة جدتي إذن في المدرسة. إني أرى ذلك أمرًا غريبًا.

قالت الآنسة "**ماربيل**" في نفسها: "ماذا تقصد الفتاة بذلك. يجد الشباب دائمًا صعوبة في قبول فكرة أن العجوز كانت في الماضي فتاة صغيرة لها ضفائر وتتعامل مع المسائل الحسابية والأدب الإنجليزي. استطردت "**جينا**" متأثرة ودون أن تقصد أن تبدو فظة:

- لابد من أن ذلك كان منذ وقت بعيد. أكدت الآنسة "**ماربيل**" قائلة:

- نعم هذا صحيح. وأتصور أن هذا الزمن يبدو عليَّ أكثر مما يبدو على جدتك. هزت "**جينا**" رأسها وقالت:

- هذا لطف منك. تعرفين أن جدتي تعطي إحساسًا غريبًا بأن ليس لها سن محدد.

- لم أرها منذ سنوات. إني أسأل نفسي عما إذا كانت قد تغيرت كثيرًا. أسرعت "**جينا**" وأجابت:

- شعرها رمادي طبعًا، وهي تمشي مستندة إلى عصا بسبب التهاب المفاصل وهي لا تستطيع علاجه في الوقت الأخير. هل أتيت من قبل إلى "**ستونيجيتس**"؟

- لا، قط. ولكني سمعت عنه الكثير بالتأكيد. قالت "**جينا**" وهي تشرح في حماس:

- إنه مكان كريه في الحقيقة. مكان به وحشية، ولكنه بطريقة ما مسلٍ أيضًا. الجميع هناك يتميزون بالجدية تقابلين محللاً نفسيًا كلما تحركت، فهم منتشرون في كل مكان. أما الشباب الجانحون فهم لطفاء جدًا. أطلعني أحدهم كيف أفتح قفلا بواسطة سلك حديد، وآخر له وجه كالملاك أخبرني بأفضل طريقة للقتل. هذه التفاصيل جعلت الآنسة "**ماربيل**" تفكر. استطردت "**جينا**":

- إني أفضل الجانحين ولكن المجانين لا أحبهم كثيرًا. إن "**لويس**" والدكتور "**مافيريك**" يريان أنهم غير متزنين، هناك بالتأكيد خلل ما في حياتهم: حياة أسرية مضطربة أو أم هربت مع جندي وكل ما يتبع ذلك. أنا لست متفقة تمامًا لأن هناك العديد من الأطفال الذين عاشوا حياة شديدة الصعوبة ولكنهم تغلبوا على ذلك جيدًا. قالت الآنسة "**ماربيل**":

- أنا مقتنعة بأنها ليست مشكلة سهلة. ضحكت "**جينا**" مرة أخرى من قلبها:

– في الواقع هذا لا يقلقني كثيراً. لكي يثبت الشخص شغفه بإصلاح الجنس البشري، يجب أن يكون عقله في هذا الأمر. و"**لويس**" مهووس تماماً بهذه الفكرة... الأسبوع القادم يجب أن يذهب إلى "**أبردين**" بسبب قضية أمام المحكمة البوليسية: صبي حكم عليه من قبل خمس مرات.

– وهذا الشاب الذي أتى إلى المحطة؟ هذا المدعو السيد "**لوسون**"؟ لقد أخبرني بأنه مساعد السيد "**سيروكولد**". هل هو سكرتيره؟

– أوه! "**إيدجر**" ليس موهوباً بشكل كافٍ لكي يعمل سكرتيراً.. إنه حالة. حيلته هي النزول في الفنادق وأن يروي لكل فرد أنه صاحب ثروة كبيرة ثم يقترض المال قبل أن يهرب. أعتقد أنه ببساطة شخص عديم الفائدة. ولكن يمارس "**لويس**" الطريقة نفسها مع كل من يشمله بحمايته. فهو يعطيهم الإحساس بأنهم أفراد من العائلة ويسند إليهم المهام، ويعمل المستحيل لينمي لديهم الإحساس بالمسؤولية. وأنهت "**جينا**" كلامها ضاحكة من أعماق قلبها:

– أؤكد لك أنهم سيجدون من بين هذه المسؤوليات مسؤولية قتلنا جميعًا ذات يوم. لم تشاركها الآنسة "**ماربيل**" الضحك.

اخترقت السيارة عدة بوابات قوية وسارت في ممر تصطف بجانبيه الأشجار. كان هناك إهمال واضح للحشائش. أجابت "**جينا**" عن سؤال الآنسة "**ماربيل**" الذي لم تنطق به:

– لم يعد هناك بستاني أثناء الحرب ومنذ ذلك الوقت لم يعد يهتم أحد بالحديقة.

سلكت السيارة منعطفاً وأخيراً بدا "**ستونيجيتس**" في كامل مجده. إنه كما وصفته "**جينا**" مبنى ضخم على الطراز القوطي المنتشر في عصر الملكة "**فيكتوريا**" – كأنه معبد أنشئ لإله سلطة الثروة. ولكن هذه العبادة قد تحولت إلى حب الإنسانية مما أدى إلى إنشاء أجنحة إضافية وملحقات متنوعة. قالت "**جينا**" بصوت به بعض الحزن:

– كئيب أليس كذلك؟ هذه جدتي في الشرفة. سأنزلك هنا ويمكنك الذهاب إليها.

نزلت الآنسة "**ماربيل**" من السيارة وذهبت للقاء صديقتها العزيزة من بعيد، وعلى الرغم من العصا التي تستند إليها ومن مشيتها التي تظهر أنها تتألم مع الحركة بدت "**كاري لويز**" كأنها شابة، كأنها فتاة مراهقة تتظاهر بالعجز. همست السيدة "**سيروكولد**":

– "**جان**"...

– عزيزتي "**كاري لويز**".

نعم لقد كانت "**كاري لويز**" مثلما كانت قديمًا، تتمتع بمظهر شاب وهي مختلفة عن أختها فهي لا تلجأ إلى أدوات الزينة الصناعية لكي تحتفظ بمظاهر الشباب. لقد ابيضَّ شعرها ولكن طبيعته الشقراء جعلته يميل إلى اللون الرمادي. واحتفظت بشرتها باللون الأبيض والوردي ربما شاحب قليلاً، ولكن احتفظت عيناها بنظرتهما المفتونة المفعمة بالبراءة. قوامها النحيف ما زال قوام آنسة. قالت "**كاري لويز**" بصوتها الرقيق:

– إني غاضبة من نفسي؛ لأنني لم أسأل عنك طوال هذه الفترة. لم أرك منذ وقت طويل يا "**جان**" يا عزيزتي. هذا كرم منكِ أن تتكلفي عناء الحضور إلى هنا لزيارتي. نادت "**جينا**" من نهاية الشرفة:

– يجب أن تدخلي المنزل يا جدتي! لقد بدأ الجو يبرد... كما أن "**جولي**" ستغضب. رنت ضحكة "**كاري لويز**":

– إنهم لا يتوقفون عن رغبتهم في التحكم فيَّ بهذه الطريقة. أعتقد أنهم يحاولون إقناعي بأنني في سن المئة.

– إنك لا تبدين عجوزًا.

– لا يا "**جان**" لا أبدو عجوزًا على الإطلاق، وهذا على الرغم من كل الأمراض والأوجاع التي ألمت بي. أما في داخلي فإنني لازلت أشعر بأنني صبية في سن "**جينا**". ربما يكون الجميع كذلك. المرآة تظهر لك إلى أي درجة تقدمت في السن ولكنك لا تصدقينها. أشعر بأننا كنا معًا في "**فلورنسا**" منذ بضعة أشهر هل تذكرين "**فرولين شويش**" وحذاءها ذا الأزرار؟

أخذت الصديقتان القديمتان تضحكان على الأحداث التي مرت منذ نصف قرن. توجهتا إلى باب جانبي. كانت تنتظرهما عند الباب امرأة ذات وجه نحيل، ترتدي "تاييرًا" من قماش خشن جيد الحياكة، كان لها أنف معقوف وشعر قصير. قالت بنبرة تأنيب:

– إنه من الجنون أن تبقي خارج المنزل إلى هذا الوقت المتأخر يا "**كاري**". ماذا سيقول السيد "**سيروكولد**"؟ اعترضت "**كاري لويز**":

– لا تصيحي في وجهي يا "**جولي**". ثم التفتت نحو الآنسة "**ماربيل**" وقالت:

– هذه هي الآنسة "**بيليفر**" وهي كل شيء بالنسبة إليَّ: ممرضتي، وكلب الحراسة الخاص بي، وسكرتيرتي، مربيتي، وهي أوفى صديقاتي. تمتمت "**جولي بيليفر**"

متأثرة وقد تورد طرف أنفها:

– إني أفعل ما أستطيع. هذا المنزل يسير دون نظام، لا يمكن أن نخطط لشيء مقدما.

– بالتأكيد لا نستطيع يا عزيزتي "**جولي**". وإني أسأل نفسي لماذا مازلت تحاولين؟ أين ستجعلين الآنسة "**ماربيل**" تمكث؟

– في الغرفة الزرقاء. هل تريدينني أن أوصلها؟

– نعم يا "**جولي**"، من فضلك. وبعد ذلك اجعليها تحضر لتناول الشاي. أعتقد أنه سيقدم اليوم في المكتبة.

اتخذت الغرفة الزرقاء اسمها من الستائر السميكة التي شحب لونها والتي قدرت عمرَها الآنسةُ "**ماربيل**" بنصف قرن. كان الأثاث مصنوعًا من خشب "الأكاجو" الغني السميك يكمله سرير كبير بأعمدة من "الأكاجو" أيضا. فتحت الآنسة "**بيليفر**" بابا موصلاً إلى الحمام، كان حمامًا حديثًا بشكل مدهش، لونه أبيض. قالت الآنسة "**بيليفر**":

– لقد أقام السيد "**جوني ريستاريك**" عشرة حمامات عندما تزوج "**كاري**". الحمامات هي الشيء الوحيد الذي تم تحديثها. لم يرد أن يمس باقي القصر... كان يقول إن المنزل مثال لطراز عصره. هل تعرفينه؟

– لا لم أقابله قط. على الرغم من أنني والسيدة "**سيروكولد**" نتبادل دائمًا الرسائل إلا أننا نادراً ما تقابلنا.

– لقد كان رجلاً ساحراً. عاطلا بطبيعته، لا يفعل شيئًا. ولكنه يجيد فن الحياة. لديه الكثير من السحر... يعجب النساء كثيراً. في النهاية كان هذا سبب خسارته. لم يكن مناسبًا لـ"**كاري**". ثم عادت الآنسة "**بيليفر**" إلى طبيعتها العملية وقالت:

– لقد فتحت الخادمة حقائبك. هل تريدين الذهاب إلى الحمام قبل تناول الشاي؟ ردت الآنسة "**ماربيل**" بالإيجاب فأخبرتها الآنسة "**بيليفر**" بأنها ستنتظرها أعلى السلم.

توجهت الآنسة "**ماربيل**" إلى الحمام وغسلت يديها وجففتهما بمنشفة رائعة لها ألوان جميلة، ثم خلعت قبعتها وأعادت ترتيب شعرها الفضي. عندما فتحت الباب وجدت الآنسة "**بيليفر**" التي اصطحبتها بطول سلم كبير ثم صالون واسع مظلم وأخيراً إلى المكتبة حيث اصطفت الكتب أعلى الأرفف حتى السقف، وبها نافذة زجاجية تطل على بحيرة صناعية. كانت "**كاري لويز**" تقف أمام النافذة وانضمت

إليها الآنسة "**ماربيل**" قالت:

– هذا المنزل كبير جداً.. لقد تهت فيه.

– نعم أعرف. إنه سخيف حقًا. لقد أسسه رجل عظيم الثراء أو شيء من هذا القبيل، وأفلس بعد ذلك. إني أجهل التفاصيل. لقد كان هناك 14 صالونًا كلها كبيرة جداً. إني لست أفهم حتى الآن كيف يحتاج الإنسان إلى أكثر من صالون واحد في منزله. وكل هذه الغرف الفسيحة! الكثير من المساحة قد بذل بإسراف. لكي أذهب من سريري إلى تسريحتي أقوم بسفر، ناهيك عن الستائر الضخمة القرمزية.

– ألم تغيري من الأثاث؟ بدت الدهشة على وجه "**كاري لويز**":

– نعم. لم نغير أثاث المنزل منذ أقمت فيه أنا و"**إيريك**". لقد أعدنا طلاءه بالتأكيد ولكن بالألوان نفسها لكن هذه الأشياء ليست ضرورية أليس كذلك؟ أقصد أنني وجدت أنه لا مبرر لصرف المال الكثير على ذلك بينما هناك ما يستحق الصرف لأهميته.

– لم يكن هناك إذن أي تغيير في المنزل؟

– أوه بلى! إننا لم نلمس الجسم المركزي أعني الحجرات التي على جانب الممر الكبير وأعلاه. إنها الأكثر جمالاً و"**جوني**" زوجي الثاني كان يصفها في شاعرية. كان يقول إنه لا يجب أن نلمسها بأي تغيير أبداً. بالتأكيد لقد كان فنانًا ومتخصصًا في الديكور، وكان يعرف عمَّ يتحدث. ولكن الجناح الأيمن والجناح الأيسر تم تغييرهما كاملاً. تم تقسيم كل الغرف للحصول على مكاتب وحجرات المدرسين وكل ذلك. الأولاد في مبنى المدرسة.. يمكنك رؤيتهم من هنا.

مالت الآنسة "**ماربيل**" لترى من خلال الأشجار مبنى كبيرًا من الطوب الأحمر. ثم وقع بصرها على شيء أكثر قربًا وارتسمت ابتسامة على شفتيها.

– إن "**جينا**" فتاة ساحرة حقًا. أضاء وجه "**كاري لويز**":

– نعم. أليس كذلك؟ إنني سعيدة لأراها هنا من جديد. لقد أرسلتها إلى "أمريكا" في بداية الحرب عند "**روث**". هل حدثتك "**روث**" عنها؟

– لا. ليس كثيرًا. زفرت "**كاري لويز**":

– المسكينة "**روث**"! لقد عارضت زواج "**جينا**" بشدة. لكنني قلت لها مرارًا وتكرارًا إنني لا ألوم "**جينا**" على اختيارها. "**روث**" ليست مثلي وهي لا تستطيع أن تفهم أن الفواصل القديمة بين الطبقات الاجتماعية قد اختفت أو أنها بصدد الاختفاء. لقد اشتركت "**جينا**" في جهود الحرب وبذلك تقابلت مع هذا الشاب. كان في

البحرية وله مركز مرموق. بعد ثمانية أيام تزوجا. كان زواجًا متسرعًا بلا شك. لم يختبر كلاهما حقيقة ملائمته للآخر. من الممكن القول بأن تصرفهما ليس عاقلا ولكن علينا احترام قرارهما. لقد مرضت "**روث**" من جراء ذلك.

– هل كانت تعتقد أن هذا الشاب غير مناسب؟

– لم تتوقف عن القول بأن لا أحد يعرف شيئًا عن هذا الشخص. لقد أتى من الغرب الأوسط وليس معه مال. هناك العديد من الشباب في مثل حاله... ولكنه لم يكن كما خططت "**روث**" لـ "**جينا**". مهما حدث فقد وقع المحظور. لقد سعدت جداً عندما لبت "**جينا**" دعوتي للحضور إلى هنا مع زوجها. هنا كل أنواع العمل والمهن، وإذا أراد "**وولتر**" أن يصبح طبيبًا أو يدرس للحصول على شهادة أو أي شيء يستطيع أن يفعله في هذا البلد. وبعد كل شيء فإن منزل "**جينا**" العائلي هنا.. أنا سعيدة لأنني أسعدتها. إنها فتاة مرحة وساحرة ومفعمة بالحياة. هزت الآنسة "**ماربيل**" رأسها ونظرت من جديد إلى الزوجين الشابين وهما واقفان على شاطئ البحيرة. قالت:

– إنهما زوجان رائعان. لا حاجة إلى أن أسأل إذا كانت "**جينا**" تحبه. قالت السيدة "**سيروكولد**" بشيء من الارتباك:

– أوه هذا ليس "**وولي**" زوجها. إنه "**ستيف**" الابن الأكبر لـ"**جوني ريستاريك**". عندما غادر "**جوني**" لم يكن لديه مكان ليرسل إليه الصبيين في الإجازة لذلك أخذتهما عندي. إنهما يعتبران هذا المنزل مثل منزلهما. ويقيم "**ستيف**" الآن هنا بشكل دائم. إنه يهتم بقسم الفن الدرامي. لدينا مسرح تقدم فيه العروض، نحن نشجع كل أشكال الإبداع. يقول "**لويس**" إن هناك جزءاً كبيرًا من مذهب العرض كان سببًا في انحراف الشباب. الأغلب من الصبية قد عاشوا حياة عائلية مضطربة وقيامهم بالسرقة أو بالاعتداء على الآخرين بأيديهم يشعرهم بأنهم أبطال. نحن نشجعهم على كتابة مسرحياتهم وتمثيلها ورسم الأثاث وتنفيذه بأنفسهم. "**ستيف**" يدير مسرحنا. إنه شغوف ومتحمس.

نظرت إليه الآنسة "**ماربيل**" من جديد.. إنها تلاحظه من بعيد. وجهه البرنزي الأنيق يواجه "**جينا**" ويعبر عن نفسه في حماس. وأدارت "**جينا**" ظهرها فلم تستطع الآنسة "**ماربيل**" أن ترى ملامحها ولكن لم يكن هناك سوى تعبير وجه "**ستيف ريستاريك**". قالت:

– ربما أتدخل فيما لا يعنيني لكني أتصور يا "**كاري لويز**" أنك أدركت أنه يحبها.

– أوه لا... بدت "**كاري لويز**" مضطربة.
– أوه لا. آمل ألا يكون كذلك.
– أنتِ حالمة دائماً يا "**كاري لويز**" لا يوجد أدنى شك في ذلك.

الفصل الرابع

قبل أن تتفوه السيدة "**سيروكولد**" بكلمة واحدة، جاء زوجها عبر الردهة ودخل وفي يده بعض الخطابات المفتوحة. كان "**لويس سيروكولد**" رجلاً قصير القامة ولكنه كان يتمتع بشخصية جذابة تميزه فور رؤيته. قالت عنه "**روث فان ريدوك**" ذات يوم إنه يشبه الدينامو أكثر من أن يكون إنساناً. كانت طبيعته أن يركز فيما يفعل دون أن يعير انتباهاً للأشياء أو الأشخاص التي تحيط به. قال:
– إنها قضية قذرة، وغالية جداً. هذا الصبي "**جاكي فلينت**"... لقد استعاد عاداته السيئة، على الرغم من أنني كنت أعتقد أنه في هذه المرة كان ينوي العودة إلى الطريق المستقيم إذا أعطيناه فرصة حقيقية. تعلمين أننا قد اكتشفنا أنه مولع بالقطارات.... وتصورنا أنا و"**مافيريك**" أنه إذا استطاع أن يحصل على عمل في السكك الحديدية سيتعلق بهذا العمل وينجح في أن يحسن من نفسه، ولكنه أعاد القصة نفسها. لقد حدثت سرقات في الحقائب الموضوعة في الأمانات. لم تكن السرقات لأشياء يحتاج إليها أو يريدها أو يستطيع أن يبيعها، هذا ما يظهر أن كل ذلك لابد من أن يكون بدافع نفسي. نحن لم نستطع بعد أن نتوصل إلى جذور المشكلة، ولكني لا أنوي التخلي عنها.
– "**لويس**"... هذه صديقتي العزيزة "**جان ماربيل**". قال شارداً:
– أوه... صباح الخير. أنا سعيد جداً... بالتأكيد سيتبعونه. إنه صبي لطيف يجب أن أقول ذلك، ليس عاقلاً تماماً ولكنه صبي جيد ينحدر من أسرة لا يمكن تصورها... توقف فجأة واتجه الدينامو إلى الضيفة الجديدة.
– حسن يا آنسة "**ماربيل**".. أنا سعيد لأنك قدمت للإقامة معنا هذه الفترة. هذا يمثل فرقاً كبيراً بالنسبة إلى "**كارولين**" أن تجد صديقتها القديمة وتسترجع معها ذكرياتها .حياتها هنا ليست مسلية تماماً... حكايات هؤلاء الأطفال دائماً حزينة جداً... نأمل حقاً أن تبقي معنا فترة طويلة.
شعرت الآنسة "**ماربيل**" بالجاذبية التي تشع من "**لويس سيروكولد**" وأدركت إلى

أي حد استطاع أن يحوز على إعجاب صديقتها. كانت لا تشك لحظة واحدة في أنه يتقدم بأفكاره على أقرانه. قد تصاب بعض السيدات الأخريات بالغيرة ولكن ليست "**كاري لويز**". لوّح "**لويس سيروكولد**" بخطاب آخر.

– على أية حال لدينا خبر جيد.. إنه قادم من "**ويلتشاير وسومريست بنك**". لقد نجح الشاب "**موريس**" إنهم مسروررون منه كثيراً، وفي الواقع سيحصل على ترقية الشهر القادم. كنت أعلم دائماً أن ما ينقصه هو الإحساس بالمسؤولية وتوفر الفرصة ليكتشف أسرار المال وما يمثله. التفت نحو الآنسة "**ماربيل**":

– نصف هؤلاء الصبية ليس لديهم أدنى فكرة عن معنى المال. المال يعني لهم وسيلة للذهاب إلى السينما ومسابقات الأرانب أو شراء السجائر. ولكنهم يتعاملون بشكل جيد جداً مع الأرقام ويجدون التلاعب بها إنه أمر مثيرجداً. حسن، أنا أعتقد أنه يجب... كيف أعبر؟... أن يندمجوا في عالم المال، أن نعلمهم كيف يكون لديهم جنيه وعلى عمل الحسابات. يجب تأهيلهم أولاً ثم إعطاؤهم المسؤولية. أن يكون بين أيديهم المال بطريقة رسمية، وبهذه الطريقة قابلنا نجاحاً كبيراً. لا يوجد سوى اثنين من ثمانية وثلاثين هما اللذان خيبا أملنا. ولكن أصبح أحدهما مسؤول خزينة في معمل صيدلية. إنها وظيفة لها مسؤوليات حقيقية. توقف ليقول لزوجته:

– لقد أُعد الشاي يا عزيزتي.

– لكن أعتقد أننا سنتناوله هنا.. لقد أخبرت "**جولي**" بذلك.

– لا، في الصالون الكبير. إن الآخرين هناك بالفعل.

– اعتقدت أنهم قد خرجوا جميعاً.

أمسكت "**كاري لويز**" الآنسة "**ماربيل**" من ذراعها لتقودها إلى الصالون الكبير. يبدو تقديم الشاي في هذا المكان غير ملائم. وضعت أدوات المائدة والأكواب المصنوعة من الصيني الأبيض على صينية كبيرة. كان هناك أيضاً قطع من الخبز ووعاءا مربى وجاتوه واضح أنه رخيص الثمن.

وقفت خلف الطاولة سيدة في الأربعينيات من عمرها، شعرها رمادي. قدمتها السيدة "**سيروكولد**" قائلة:

– هذه "**ميلدريد**".. إنها ابنتي "**ميلدريد**".. أنت لم تريها منذ كانت فتاة صغيرة.

من بين كل الشخصيات التي قابلتها الآنسة "**ماربيل**" كانت "**ميلدريد ستريت**" هي الوحيدة التي تتناسب مع الإطار العام للمكان. تزوجت بعد أن تجاوزت الثلاثين برجل دين من الكنيسة الإنجليزية وهي أرملة الآن. كانت تمثل صورة مثالية لأرملة

رجل دين محترمة، قبيحة المنظر، لها وجه عريض لا يبدو عليه أي تعبير، وعينان باهتتان. تذكرت الآنسة "**ماربيل**" صورة هذه السيدة عندما كانت فتاة صغيرة. قالت السيدة "**سيروكولد**":

– وها هو "**وولي هود**" زوج "**جينا**".

كان "**وولي**" رجلاً طويل القامة، وجهه عابس، هز رأسه بطريقة غير سوية وأخذ يلتهم قطعة جاتوه. لم تتأخر "**جينا**" في الدخول إلى الصالون ومعها "**ستيفان ريستاريك**" والاثنان صورة للحيوية. صاح "**ستيفان**":

– لدى "**جينا**" فكرة رائعة للخلفية. تعرفين يا "**جينا**" إن لديك حسًّا مرهفًا لديكور المسرح.

انفجرت "**جينا**" في الضحك وهي سعيدة. جاء "**إيدجر لوسون**" بدوره وجلس بالقرب من "**لويس سيروكولد**". عندما خاطبته "**جينا**" لم يجبها. وجدت الآنسة "**ماربيل**" الجو خانقًا فانتهت من تناول الشاي وتوجهت إلى غرفتها لتسترخي قليلاً.

حضر العشاء مجموعة أكبر من الأشخاص: الدكتور الشاب "**مافيريك**" وهو معالج نفسي أو محلل نفسي. لم تكن الآنسة "**ماربيل**" واعية تمامًا للفرق بين الاثنين لأن كلامه عن مهنته لم يكن مفهومًا للآنسة العجوز، ثم شابان يضعان نظارتين ينتميان إلى هيئة التدريس، دون ذكر شخص يدعى حيث كان "**بومجارتن**" معالجًا نفسيًّا أيضًا وثلاثة صبية خجولين بشكل غير طبيعي، كانوا يلعبون دور "ضيف الأسبوع"، واحد من هؤلاء الصبية أشقر وعيناه زرقاوان، لم يكن سوى ذلك الصبي الذي حدثتها عنه "**جينا**".

لم يكن الطعام محفزًا للشهية. تميز المدعوون بالمظهر الرسمي. الآنسة "**بيليفر**" ترتدي "تاييرًا" أسود صارمًا جدًّا، "**ميلدريد ستريت**" ترتدي فستانًا أسود، بينما ترتدي "**كاري لويز**" فستانًا رماديًّا، وتألقت "**جينا**" في ثوب مستوحى من ملابس الريف. لم يغير "**وولي هود**" ملابسه وكذلك "**ستيفان ريستاريك**". كان "**إيدجر لوسون**" يرتدي بدلة زرقاء من ثلاثة أجزاء، وارتدى "**لويس سيروكولد**" الـ"سموكينج". كان يأكل قليلاً دون الاهتمام بما لديه في طبقه.

انتهى العشاء وصحب الدكتور "**مافيريك**" "**لويس سيروكولد**" إلى مكتبه، وعاد أفراد هيئة التدريس الآخرون كل إلى عرينه، وعادت الحالات الثلاث إلى المدرسة. توجه "**ستيفان**" و"**جينا**" إلى المسرح لدراسة أفكار السيدة الشابة بشأن السيناريو، و"**ميلدريد**" تعمل أشغال الإبرة في عمل لا يمكن تحديده، بينما تحيك الآنسة

"**بيليفر**" الجوارب، وجلس "**وولي**" في مقعده وعيناه ضائعتان في الفضاء، و"**كاري لويز**" والآنسة "**ماربيل**" يسترجعان ذكريات الماضي. بدا الحديث هروبًا من عالم الواقع. وبقي "**إيدجر لوسون**" الوحيد الذي لا يستطيع أن يجد ما يفعله، لم يكف عن النهوض والجلوس. قال بصوت عال:

– ربما يجب أن أذهب للقاء السيد "**سيروكولد**". قد يكون محتاجًا إليَّ. أجابت "**كاري لويز**" بصوت منخفض:

– أوه! لا أعتقد. هناك بعض المسائل التي يريد أن يناقشها هذا المساء مع الدكتور "**مافيريك**".

– إذن لن أزعجهما بالتأكيد. لا أنوي أن أفرض نفسي حيث لا توجد رغبة فيَّ. لقد أضعت ما يكفي من الوقت عندما ذهبت إلى المحطة، وكانت السيدة "**هود**" تنوي الذهاب إلى هناك أيضًا. قالت "**كاري لويز**":

– كان عليها أن تخبرك، لكنني أعتقد أنها لم تقرر ذلك سوى في آخر لحظة.

– لكن لتعلمي يا سيدة "**سيروكولد**"، لقد جعلتني في النهاية أغبى الأغبياء! أغبى الأغبياء!

– لكن لا، لا تقل ذلك.

– على أية حال إني أعرف أنني غير مرغوب فيَّ... أعرف جيداً. لو كانت الأشياء مختلفة... لكن الأمر مختلف، لو كنت أخذت موضعي الصحيح في الوجود... لكان الأمر مختلفًا تمامًا. وإذا لم أحصل على هذا المكان فهذا ليس خطئي. قاطعته "**كاري لويز**":

– "**إيدجر**" توقف عن لوم نفسك بلا سبب. لقد وجدت "**جان**" أنه لطيف جداً منك أن تذهب لإحضارها من المحطة. غالبًا ما تتصرف "**جينا**" باندفاع. لم تكن تقصد الإساءة إليك.

– بلى بالتأكيد. لقد فعلت ذلك عمداً لكي تهينني.

– اسمع يا "**إيدجر**"...

– أنت لا تتصورين ربع ما يحدث يا سيدة "**سيروكولد**". في النهاية، ليس لديَّ شيء آخر أقوله سوى طاب مساؤكم. وغادر "**إيدجر لوسون**" صافقًا الباب خلفه. صاحت الآنسة "**بيليفر**":

– كم هو فاقد للأدب! قالت "**كاري لويز**" في تأثر:

– إنه مفرط الحساسية. قالت "**ميلدريد**" بين صوت إبر التريكو:

– إنه صبي مزعج للغاية. لا يجب أن تكوني متسامحة مع مثل هذا السلوك يا أمي.
– يؤكد "**لويس**" أن هذا المسكين غير مسؤول عن سلوكه. أجابت "**ميلدريد**":
– الجميع يستطيعون التحكم في عاداتهم السيئة. ومع ذلك أجد أن "**جينا**" يقع عليها الكثير من اللوم. إنها لا تفكر لحظة واحدة في عواقب حماقاتها. في يوم تشجع هذا الصبي واليوم التالي تواجهه. ما النتيجة التي تريدينها؟ ولأول مرة في السهرة يتحدث "**وولي هود**":
– هذا الصبي مهتز نفسيًّا، هذا كل شيء.

في هذا المساء وفي غرفتها حاولت الآنسة "**ماربيل**" أن ترسم الخريطة النفسية لـ"**ستونيجيتس**"، ولكن كانت العناصر التي في حوزتها مازالت مختلطة. بالتأكيد كانت قد لاحظت وجود التيارات والتيارات المضادة... ولكنها كانت غير قادرة على القول بأن ذلك يفسر قلق "**روث فان ريدوك**". ولم يبد لها أن "**كاري لويز**" متأثرة على الإطلاق بما يدور حولها. كان "**ستيفان**" مغرمًا بـ"**جينا**". ولم يكن من المستحيل أن تكون "**جينا**" مغرمة به. أما "**وولي هود**" فكان من الواضح أنه لا يقدر الموقف. هذا النوع من البلبلة لم يكن فيه شيء استثنائي، سينتهي الموقف عامة بطلاق أمام المحكمة وبعده يبدأ كل من الطرفين وهو مفعم بالأمل بداية جديدة... وعلاقات جديدة. من الواضح أن "**ميلدريد**" تشعر بالغيرة تجاه "**جينا**"، وهذا في رأي الآنسة "**ماربيل**" طبيعي للغاية.

فكرت فيما روته لها "**روث فان ريدوك**" في خيبة أمل "**كاري لويز**" في إنجاب الأطفال، وقرارها بتبني الصغيرة "**بيبا**"، ثم اكتشافها أنها حامل. قال طبيب "**كاري لويز**" للآنسة "**ماربيل**" "إن هذا يحدث، فعندما يتخلى الإنسان عن التوتر فإن الطبيعة تعمل". وقد أضاف الطبيب أن هذا بوجه عام يخلق موقفًا صعبًا بالنسبة إلى الطفل المتبنى.

ولكن هنا لم يكن الحال كذلك. لقد أحب "**جولبراندسين**" وزوجته "**بيبا**" بشدة واستحوذت على مكان كبير في قلبيهما. "**جولبراندسين**" كان لديه أطفال كبار، لهذا السبب لم يكن لديه مشكلة بشأن الأبوة. وبالنسبة إلى "**كاري لويز**" فقد أشبعت غريزة الأمومة لديها عندما وصلت "**بيبا**". كان حملها شاقًّا والولادة طويلة وصعبة. من الممكن افتراض أن "**كاري لويز**" التي لم تكن تتمنى هذا الحمل في الواقع لم تقو على تحمله للمرة الأولى.

وكبرت البنتان، واحدة جميلة ومفعمة بالحيوية والأخرى دميمة وساكنة، وكان هذا

طبيعيًا في نظر الآنسة "**ماربيل**" فعندما يتبنى أحد طفلاً فهو يختاره جميلاً وليس قبيحًا. لو كان لـ"**ميلدريد**" الاختيار لاختارت أن ترث من جانب عائلة أمها جمال خالتها "**روث**" ورقة أمها "**كاري لويز**" ولكن دماء "**جولبراندسين**" تفوقت وجاءت دميمة.

بالإضافة إلى أن "**كاري لويز**" حرصت علي ألا تشعر الفتاة المتبناة بأنها في وضع أقل فكانت متسامحة جداً مع "**بيبا**" وأحيانا غير عادلة مع "**ميلدريد**". ثم تزوجت "**بيبا**" ورحلت إلي "**إيطاليا**" وبقيت "**مبلدريد**" لفترة البنت الصغيرة في المنزل.

وعندما ماتت "**بيبا**" أحضرت "**كاري لويز**" طفلتها إلى المنزل. ومن جديد تعود "**ميلدريد**" إلى المرتبة الثانية. وبعد ذلك جاءت زيجة "**كاري لويز**" الجديدة، وقدوم أبناء "**ريستاريك**". في عام 1934 تزوجت "**ميلدريد**" من رجل الدين "**ستريت**" وهو متخصص في العلوم القديمة، يكبرها بخمس عشرة سنة وعاشت في جنوب "**إنجلترا**". دون شك كانت سعيدة. لم ترزق بأطفال. والآن قد عادت إلى المنزل الذي شهد طفولتها. تصورت الآنسة "**ماربيل**" أن "**ميلدريد**" ليست بالضرورة سعيدة. "**جينا**"، "**ستيفان**"، "**وولي**"، "**ميلدريد**"، الآنسة "**بيليفر**" التي تحب النظام ولا تستطيع أن تفرضه، "**لويس سيروكولد**" صاحب الأفكار المثالية الذي نجح في تجسيد هذه الأفكار فهو يبدو سعيداً ومزدهراً.. لم تجد الآنسة "**ماربيل**" في أي من هذه الشخصيات ما أوحت به إليها كلمات "**روث فان ريدوك**". تبدو "**كاري لويز**" في أمان وفي هدوء كما كانت طوال حياتها. ما الذي دعا "**روث فان ريدوك**" للشعور بالقلق في هذا المناخ؟

وماذا عن هؤلاء الذين يقفون خارج الإعصار؟ المعالجون، المدرسون، كل الشباب الجاد والمسالم، الدكتور "**مافيريك**" الواثق بنفسه، الجانحون الثلاثة ذوو الأعين البريئة... و"**إيدجر لوسون**". توقفت أفكار الآنسة "**ماربيل**" عند شخصية "**إيدجر لوسون**" قبل أن تنعس. إنه يذكرها بشخص ما أو بشيء ما. لقد كان هناك شيء ما لا يستقيم مع "**إيدجر لوسون**"... وربما يكون شيئا أكبر مما هو ظاهر. لم يكن "**إيدجر لوسون**" متأقلماً ربما يكون هذا هو التعبير المناسب، أليس كذلك؟ ولكن الأمر ليس كذلك. وهزت الآنسة "**ماربيل**" رأسها في رفق. إن ما يقلقها كان شيئا آخر.

الفصل الخامس

انسلت الآنسة "**ماربيل**" من رفقة مضيفتها ونزلت في صباح اليوم التالي إلى الحديقة. كانت حالة الحديقة تدعو إلى الحزن. على الرغم مما تحمله من آثار الإصلاحات الطموحة التي كانت بشأنها من أشجار كثيفة، وممرات تفترشها النباتات، وأحواض الورد التي يحيط بها سياج نبات البقس والأخشاب، فقد كانت الآن مهجورة، والنباتات غير متساوية مختلطة بالحشائش الضارة والورد يكافح بينها.

في وسط حائط من الطوب الأحمر، بدا بستان الفاكهة مزدهراً ومعتنى به، ربما لأن ما ينتجه مفيد. وبالطريقة نفسها جزء كبير من المرعى تحيط به بوابات وقد تحول اليوم إلى ملاعب تنس. نظرت الآنسة "**ماربيل**" إلى حواشي الحديقة بشيء من الأسى وقطفت بعض الأزهار البرية.

ولمحت "**إيدجر لوسون**". وعندما رأى الآنسة "**ماربيل**" توقف وتردد قليلاً. ولكن الآنسة "**ماربيل**" قررت ألا تدعه يهرب.. نادته بصوت عال. عندما اقترب منها سألته إذا كان يعرف أين توجد أدوات العناية بالحديقة. اكتفى "**إيدجر لوسون**" بأن أجاب أن هناك في مكان ما بستانياً ربما يعرف أين هي. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– أشعر بالأسى لهذه الحديقة التي نالها الإهمال إلى هذا الحد. إني أحب الحدائق كثيراً.

وبما أنه ليس لديها أي قصد في أن تجعل "**إيدجر**" يذهب ليحضر الأدوات المناسبة أسرعت وأضافت:

– هذا تقريباً ما تجده عجوز ليس لها قيمة مثلي لكي تفعله، ولكني أتصور أنك يا سيد "**لوسون**"، لست مهتماً بالحدائق. إن لديك عملاً أكثر نفعاً وأكثر أهمية. إنك تشغل مكاناً مسؤولاً مع السيد "**سيروكولد**"... ولذلك أنت تجد هذه المسؤولية أكبر أهمية من أي شخص آخر. أجاب بسرعة واهتمام:

– نعم، نعم... هذا أمر مهم.

– لابد أنك ذو نفع كبير بالنسبة إلى السيد "**سيروكولد**". قال عابساً:

– لست أدري. لست واثقاً بذلك. إنه كل ما وراء ذلك... توقف. نظرت إليه الآنسة "**ماربيل**" وهي تفكر: هذا الشاب الصغير المثير للشفقة في حلته السوداء الأنيقة، شاب صغير لا يبذل الكثيرون عناء النظر إليه مرتين أو تذكر رؤيته.

كان هناك مقعد مجاور ذهبت الآنسة "**ماربيل**" لتجلس عليه، وبقي "**إيدجر**"

عابس الجبين واقفًا أمامها. استطردت الآنسة "**ماربيل**":

– أنا مقتنعة بأن السيد "**سيروكولد**" يعتمد عليك بشكل واسع.

– لست أدري. حقًّا لست أدري. قطّب جبينه وجلس تلقائيًا إلى جوارها:

– إني في موقف صعب.

– بالتأكيد. أبقى "**إيدجر لوسون**" عينيه مثبتتين أمامه وقال:

– ما أقوله لك سري للغاية.

– بالتأكيد.

– إذا كان هناك اعتراف بحقوقي...

– نعم؟

– على أية حال أستطيع أن أخبرك... هل ستحتفظين بما سأقول لك سرًّا؟ أكيد؟

– آه! بكل تأكيد. لاحظت أنه لم يسمع إجابتها.

– أبي... في الواقع، أبي رجل مهم جدًا. في هذه المرة لم تجد الآنسة شيئًا لتقوله، كان يكفيها أن تسمع.

– لا أحد يعرف ذلك سوى السيد "**سيروكولد**". تدركين أن هذا الخبر لو تسرب قد يسيء إلى مركز أبي. التفت نحوها وابتسم ابتسامة حزينة ومليئة بالكرامة.

– أنا ابن "**وينستون تشرشل**". أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– أوه! حقًّا!

لقد تذكرت القصة الحزينة التي حدثت في "**سان ماري ميد**" وكيف انتهت. لكن "**إيدجر لوسون**" لم ينته من روايته بعد وما يحكيه يبدو مألوفًا كأنه مشهد تراجيدي أو كوميدي.

– هناك أسباب.. لم تكن أمي حرة. كان زوجها نزيل أحد المصحات العقلية... ولم تستطع أن تحصل على الطلاق... ولا تستطيع بالتالي أن تتزوج. في الحقيقة أنا لا ألقي عليهما باللوم. لقد فعل كل ما يستطيع في سرية تامة بالتأكيد، وهنا ظهرت المشاكل. كان هناك أعداء... كان عداؤهم تجاهي أنا أيضًا. توصلوا إلى التفريق بيننا وهم يراقبونني. أينما ذهبت يراقبونني ويدبرون حتى أفشل في كل أعمالي. همست الآنسة "**ماربيل**" وهي تهز رأسها:

– يا إلهي... يا إلهي.

– درست الطب في "**لندن**". زوّروا امتحاناتي وغيّروا إجاباتي. أرادوا أن أفشل. إنهم يطاردونني في الشوارع، يقتفون أثري أينما ذهبت. قالت الآنسة "**ماربيل**"

محاولة أن تهدئه.

– أوه!.. لكنك لا تستطيع أن تكون واثقًا بكل ذلك.

– أخبرتك بأنني أعرف! أوه، إنهم شديدو المكر. لم أستطع رؤيتهم قط، أو أن أكتشف من هم، ولكني سأتوصل إليهم. لقد جعلني السيد "**سيروكولد**" أغادر "**لندن**" واصطحبني إلى هنا. إنهم يتآمرون ضدي. يدفعون الآخرين لكراهيتي، يقول السيد "**سيروكولد**" إن هذا غير صحيح.. لكن لا يستطيع السيد "**سيروكولد**" أن يعرف كل شيء.. إنني أحيانًا أسأل نفسي... أحيانًا أفكر في أن... توقف فجأة ونهض.

– كل ما قلته سرًّا، تعرفين ذلك، أليس كذلك؟ لكن إذا لاحظت أن هناك شخصًا يتبعني... يتجسس عليَّ... فلا تتأخري في أن تخبريني من هو. قال هذه الكلمات وابتعد. تبعته الآنسة "**ماربيل**" بعينيها وهي تفكر. قال صوت قادم من خلفها:

– إنه أبله.. أبله تمامًا. كان ذلك صوت "**وولتر هود**" واقفًا ويداه في جيبيه مقطبًا جبينه ينظر هو الآخر إلى "**إيدجر لوسون**" وهو يبتعد. استطرد:

– ماذا يكون هذا الشخص العديم الفائدة؟ إنهم جميعًا مجانين. لم تجب الآنسة "**ماربيل**" أكمل قائلا:

– هذا الشاب المدعو "**إيدجر**"... ماذا تظنين به؟ إنه يروي أن والده الحقيقي هو المارشال "**مونتجومري**". وهذا ما يدهشني! لا أستطيع أن أصدق ذلك. أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– نعم هذا يبدو غير محتمل.

– لقد روى لـ"**جينا**" قصة مختلفة تمامًا... أخبرها بأنه الوريث الحقيقي لعرش "**روسيا**" وبأنه ابن.. لست أدري لأي دوق عظيم... هذا الصبي لا يستطيع أن يعرف من هو والده الحقيقي.

– أتصور أنه لايعرف، وهذا هو أساس المشكلة. جلس "**وولتر**" إلى جوار الآنسة "**ماربيل**" وردد:

– إنهم جميعًا مجانين.

– ألا تعجبك الإقامة في "**ستونيجيتس**"؟ قطَّب الشاب حاجبيه:

– إني لا أفهمهم... هذا كل شيء. انظري إلى هذا البيت الكبير ولكنه يشبه الكوخ. هؤلاء الأشخاص أغنياء، لا يحتاجون إلى المال... ولديهم المال. انظري كيف يعيشون... يستخدمون أواني من الخزف القديم المشقق، وليس لديهم خدم سوى

عاملة نظافة تعمل هنا وهناك، سجاد وستائر وملاءات ومقاعد مغطاة بالستان، والله وحده يعلم ماذا أيضًا.. كل ذلك ممزق! أواني كبيرة من الفضة لتقديم الشاي... وكلها صفراء ومتسخة لأنها لا تجلى. السيدة "**سيروكولد**" لا تهتم بكل ذلك. انظري كيف كانت تتبختر مساء أمس وهي ترتدي فستانًا قديمًا تمامًا... وهي التي تستطيع أن تدخل أفخم متجر وتشتري كل ما تريده. المال؟ إنهم يتمرغون فوق المال!
توقف برهة مفكرًا واستطرد:
– أعرف معنى الفقر. لا يوجد سوء في ذلك عندما يكون الشخص شابًّا فقيرًا مستعدًّا للعمل. لم يكن لي قط الكثير من المال، ولكني كنت أصل إلى ما أريده. فتحت ورشة لإصلاح السيارات وادخرت بعض المال، تحدثت إلى "**جينا**" عن ذلك. سمعتني.. كان يبدو أنها تفهمني. لم أكن أعرف الكثير عنها. هؤلاء الفتيات المرتديات للزي كلهن سواء، أقصد أنه عند رؤيتهن لا تستطيعين أن تميزي بينهن. فكرت في أنها من طبقة أعلى مني مع التعليم وكل شيء، ولكن لم يبد أن لذلك أهمية. وقع كلانا في غرام الآخر وتزوجنا. كان لي بعض المدخرات الصغيرة وكان لـ"**جينا**" أيضًا. كنا سننشئ محطة لخدمة السيارات هناك في بلادي... كانت "**جينا**" موافقة. كان كلانا مجنونًا بالآخر... إلى أن اختلقت قريبتها القصص وأرادت "**جينا**" العودة إلى هنا، إلى "**إنجلترا**" لترى جدتها. كان ذلك يبدو طبيعيًّا. إن "**إنجلترا**" بلادها وكانت هذه فرصة لي لاكتشاف هذا المكان. لقد سمعتها تتحدث كثيرًا عن بيتها وها نحن قد جئنا. فقط من أجل الزيارة... هذا ما كنت أعتقد.
استطرد:
– ولكن لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق. لقد تورطنا في قصة هؤلاء المجانين. لماذا لا نبقى ونقيم هنا؟ هذا ما يقولونه. هناك العديد من الوظائف بالنسبة إليَّ. وظائف! لكني لا أريد وظيفة حيث ألاعب فيها الأطفال، هذا العمل لا يناسبني. هذا المكان قد يكون رائعًا – حقًّا هو رائع. الأناس الذين يملكون المال لا يدركون ما لديهم من حظ، لا يدركون أنه لا أحد لديه مكان رائع كهذا وهم لديهم واحد. أليس ضربًا من الحماقة التخلي عن الحظ عندما يكون لديك؟ لا يهمني أن أعمل عملاً شاقًّا، لكني أريد أن أعمل على طريقتي والعمل الذي أحب. هنا أشعر بأنني قد وقعت في نسيج العنكبوت و"**جينا**"... لم أعد أفهمها. إنها ليست الفتاة التي تزوجتها هناك في "**أمريكا**" لا أستطيع... تبًّا! لا أستطيع حتى أن أكلمها الآن. يا إلهي! قالت الآنسة "**ماربيل**" في لطف:

– لقد أدركت جيداً ماذا تقصد. نظر إليها "**وولي هود**" وقال:

– أنت أول شخص أفتح له قلبي. أغلب الوقت لا أفعل ذلك، لست أدري ماذا جعلني أرتاح إليكِ. أنتِ إنجليزية حتى النخاع، إنجليزية ألف بالمئة... وعلى الرغم من ذلك فأنت تشبهين خالتي "**بتسي**" هناك في بلادي.

– هذا لطَيف جداً.

– إنها مفعمة بالإحساس. تبدو هشة ومن الممكن كسرها بسهولة إلا أنها قوية. نعم حقًّا إنها قوية. غادر مقعده.

– آسف لأني تحدثت على هذا النحو. كنت أريد أن أفضي بما في جعبتي. للأسف أثقلت عليكِ.

للمرة الأولى رأته الآنسة "**ماربيل**" يبتسم ابتسامة ساحرة حولت مظهره فلم يعد مراهقًا كبيراً أخرق ولكنه شاب جميل وجذاب. أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– عفواً أيها الفتى العزيز، إن لديَّ ابن أخ.. لكنه بالتأكيد أكبر سنًّا منك بكثير.

وللحظات فكرت في ابن أخيها الكاتب الحديث المثقف "**ريموند ويست**". من الممكن تصور التناقض الكبيربينه وبين "**وولي هود**". قال "**وولتر**":

– ها هي رفيقة أخرى قد وصلت إليكِ. هذه السيدة الطيبة لا تحبني. سأتركك. إلى اللقاء يا سيدتي. شكراً لإصغائك.

ورحل مسرعًا بينما ارتقبت الآنسة "**ماربيل**" "**ميلدريد ستريت**" التي تعبر الحشائش لتصل إليها. قالت "**ميلدريد**" وهي تجلس على المقعد:

– أرى أنكِ عانيت الجلوس مع هذا الشخص البشع. حقًّا يا لها من مأساة!

– مأساة؟

– زواج "**جينا**". لقد حدث كل ذلك؛ لأننا أرسلنا بها إلى "**أمريكا**". في ذلك الوقت أخبرت أمي بأن ذلك ليس من الحكمة. رغم كل شيء فإن المنطقة هنا هادئة للغاية. لم يكن هناك قذف بالقنابل. إني أكره الطريقة التي يستسلم بها الكثير من الناس لخوفهم على عائلاتهم... وعلى أنفسهم أحيانًا. أجابت الآنسة "**ماربيل**" مفكرة:

– لقد كان من الصعب جدًّا اتخاذ القرار المناسب، أقصد بشأن الأطفال، مع الأخذ في الاعتبار احتمال حدوث غزو، كان هناك مخاطرة أن يكبروا تحت النظام الألماني.. ولا أتحدث عن خطر القنابل. قالت السيدة "**ستريت**":

– حماقة. أنا لم أشك لحظة في أننا سنكسب الحرب، ولكن أمي تفقد أي ذرة

عقل عندما يتعلق الأمر بـ"**جينا**" . لقد تدللت هذه الفتاة حتى فسدت. من البداية لم يكن من الحكمة إحضارها من "**إيطاليا**" .

– أعتقد أنه لم يكن هناك اعتراض من والدها.

– أوه! "**سان سيفيريانو**" ! أنت تعرفين هؤلاء الإيطاليين. لا شيء يهمهم سوى المال. لقد تزوج "**بيبا**" من أجل مالهاَ.

– يا إلهي! لقد اعتقدت أنه كان متيمًا بها... وحين موتها كان لا شيء يعزيه. كان يتظاهر، هذا أكيد. لا أستطيع أن أفهم لماذا وافقت أمي على زواجها بأجنبي. إنه الغرور الأمريكي المعتاد أمام ألقاب النبلاء على ما أعتقد. همست الآنسة "**ماربيل**" :

– كنت أعتقد دائمًا أن عزيزتي "**كاري لويز**" بعيدة عن الحياة الواقعية.

– أوه! أعرف. هذا يثير غيظي. الأوهام التي تعتقدها أمي ومشاريعها المثالية... ليس لديك فكرة يا خالة "**جان**" عما يعنيه كل هذا، لكني أنا أعرف عما أتحدث. لقد تربيت داخل كل هذا.

شعرت الآنسة "**ماربيل**" بصدمة صغيرة عندما سمعتها تناديها خالة "**جان**" . كان هذا طبيعيًّا في الماضي. فقد كانت دائمًا تكتب على الهدايا التي ترسلها إلى أولاد "**كاري لويز**" في أعياد الميلاد: "من الخالة "**جان**"، مع كل حبي" وعندما كانوا يفكرون فيها – ربما لم يفكروا فيها كثيرًا – كانوا يفكرون في الخالة "**جان**" . تأملت السيدة الناضجة التي أمامها، شفتان مزمومتان ويدان متيبستان. قالت في هدوء:

– لقد كانت لكِ بالتأكيد... طفولة صعبة. نظرت إليها "**ميلدريد ستريت**" نظرة محملة بالعرفان:

– أوه، إني سعيدة جداً لأن هناك من يفهم ذلك.. الناس لا يعرفون الاختبارات التي يمر بها الطفل. تعرفين أن "**بيبا**" كانت هي الجميلة وليس أنا، ثم إنها كانت أكبر مني. كانوا يهتمون بها دائمًا. كان أبي وأمي يشجعانها وكنت أنا دائمًا خلفها. كنت خجولاً بينما لا تعرف "**بيبا**" معنى الخجل. كنت طفلة تعاني بشدة يا خالة "**جان**" .

– أعرف ذلك جيداً.

– اعتادت "**بيبا**" أن تقول: ""**ميلدريد**" غبية جداًّ" لكنني كنت أصغر منها وطبيعي أنني لم أستطع أن أكون في مستواها. كان من غير العدل تمييز أخت على أختها. كان الناس يقولون دائمًا لأمي: "كم هي فتاة صغيرة وجميلة!" أما أنا لم يكن أحد يلاحظني قط. كان أبي يلعب مع "**بيبا**" ويمرح معها. كان يجب أن يلاحظ أحد

كم كان هذا قاسيًا بالنسبة إليَّ. كان كل الاهتمام بها. لم أكن ناضجة بالقدر الكافي لكي أفهم أن الأمر يتوقف على الشخصية. رأت الآنسة "**ماربيل**" أن شفتي "**ميلدريد**" ترتعشان.

– لقد كان ذلك غير عادل... حقًّا غير عادل. لقد كنت ابنتهما الحقيقية، وكانت "**بيبا**" متبناة. إنني أنا بنت العائلة وهي لم تكن شيئًا. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– من المحتمل أن ذلك هو سبب تدللها. قاطعتها "**ميلدريد ستريت**":

– كانا يفضلانها. فتاة لم يرغب فيها والداها! أو ربما فتاة غير شرعية، وهذا متواجد في "**جينا**". هناك الميراث المثير للمشاكل.. سنرى. يستطيع "**لويس**" أن ينقل كل النظريات التي يريدها على البيئة، وينتهي الأمر بحديث الميراث أو بالأحرى "**جينا**". همست الآنسة "**ماربيل**":

– إن "**جينا**" شابة رائعة.

– ليس سلوكها. لا يوجد سوى أمي التي لا تلاحظ كيف تتعامل "**جينا**" مع "**ستيفان ريستاريك**". هذا شيء مقزز، لا أتردد في قول ذلك. أعرف أن زواجها كان تعسًا ولكن الزواج زواج ويجب أن يحترمه الطرفان. على أية حال، إنها هي من اختار الزواج بهذا الأمريكي جالب الحزن.

– هل هو سيئ إلى هذه الدرجة؟

– أوه يا خالة "**جان**"... إني أراه قاطع طريق. بالإضافة إلى أنه دائم العبوس وقليلاً ما يتحدث، وهو فظ جدًا. همست الآنسة "**ماربيل**":

– أعتقد أنه تعس.

– لا أعرف سبب تعاسته... باستثناء سلوك "**جينا**". لقد حاولنا من أجله كل شيء هنا. لقد قدم له "**لويس**" لست أدري كم اقتراح محاولاً أن يجعله مفيدًا... لكنه يفضل التجول في الحديقة دون أن يفعل شيئًا. فجأة صرخت:

– آه! هذا المكان لا يمكن احتماله، لا يمكن احتماله على الإطلاق! "**لويس**" غير قادر على التفكير في شيء آخر سوى هؤلاء المجرمين الصغار، ولكن أمي لا تثق سوى به. كل ما يفعله "**لويس**" مثالي. انظري إلى حالة الحديقة... الحشائش الضارة... كل شيء ينمو عشوائيًا.. أوه! أعرف أنه من الصعب العثور على موظفين في هذا الوقت، لكن هذا ليس سببًا، وكأننا ينقصنا المال. الأمر ببساطة أن لا أحد يهتم. لو كان هذا البيت بيتي... توقفت. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– أخشى أنه علينا أن نعترف جميعًا بأن الزمن قد تغير. هذه الأملاك أصبحت

كثيرة جداً ومن الصعب الاهتمام بها. بطريقة ما قد تشعرين بالحزن لأن تعودي إلى هنا وتجدي كل شيء تغير إلى هذا الحد. هل تفضلين الحياة هنا... أم في مكان آخر حيث تشعرين بأنكِ في بيتك؟ توردت "**ميلدريد ستريت**" وقالت:

– هذا منزلي، أليس كذلك؟ لقد كان هذا منزل أبي ولا أحد يستطيع أن يغير فيه شيئًا. لديَّ الحق في أن أبقى هنا إذا أردت، وأريد ذلك لو لم تكن أمي صعبة إلى هذه الدرجة. إنها لا تريد أن تشتري لنفسها ملابس مناسبة. "**جولي**" قلقة جداً لهذا الأمر.

– كنت سأسألك أن تحدثيني عن الآنسة "**بيليفر**".

– أشعر بالراحة لأنها هنا. إنها تعشق أمي. إنها معها منذ وقت طويل. لقد أتت منذ وقت "**جوني ريستاريك**". وفي رأيي أنها كانت رائعة خلال كل هذه القصة التعسة. أنا واثقة بأنكِ سمعت أنه رحل مع يوغسلافية بشعة... لقد واجهت أمي الأمر بكل كرامة، وتم الطلاق في سرية تامة. حتى أنها استقبلت هنا ابني "**ريستاريك**" في العطلات. على الرغم من أنه كان يستطيع أن يجد ترتيبات أخرى. حتى لو لم يكن من المقبول تركهما عند والدهما وهذه المرأة، مهما كان الأمر أرادتهما والدتي هنا... وساعدتها الآنسة "**بيليفر**" بقوة على الصمود خلال هذه المحنة. لا أستطيع أن أتصور كيف كانت أمي ستتصرف دونها. توقفت لتضيف في دهشة:

– ها هو "**لويس**". هذا مثير للدهشة، نادراً ما يخرج إلى الحديقة. توجه السيد "**سيروكولد**" نحوهما بتركيزه المعتاد نفسه. بدا غير مهتم تمامًا بـ"**ميلدريد**" لأن الآنسة "**ماربيل**" هي من أراد أن يراها. قال:

– آسف. لقد أردت أن أجعلك تقومين بجولة في المعهد وأطلعك على كل شيء. لقد طلبت "**كارولين**" مني ذلك. للأسف يجب أن أرحل إلى "**ليفربول**" من أجل قضية هذا الصبي الذي سرق الحقائب في المحطة. لكن سيهتم "**مافيريك**" بكِ. سيكون هنا بعد دقائق. لن أعود إلا بعد باكر.

نهضت "**ميلدريد**" ورحلت دون أن يلاحظها "**لويس سيروكولد**" الذي نظر إلى الآنسة "**ماربيل**" من خلال نظارته السميكة. قال:

– تعرفين أن القضاة يرون دائمًا الأشياء بشكل معاكس. أحيانًا يتميزون بالشدة ولكن غالبًا يكونون غير متسامحين. إذا حكم على هؤلاء الصبية بالسجن لمدة قصيرة فقط فهذا ليس له أي أثر رادع للصبية... على العكس فقد ينشطهم ذلك، ويتفاخرون أمام صديقاتهم الصغيرات. لكن بوجه عام فالحكم القاسي يهدئهم أو

الأفضل عدم الحكم عليهم بالسجن على الإطلاق. إنهم يحتاجون إلى تدريب إصلاحي وإنشائي مثل الذي نقدمه لهم هنا... قاطعته الآنسة "**ماربيل**":

– سيد "**سيروكولد**" هل أنت راضٍ عن الشاب "**لوسون**"؟ هل هو طبيعي؟ عبس وجه "**لويس سيروكولد**":

– آمل أنه لا يمر بانتكاسة.. ماذا روى لك؟

– أخبرني بأنه ابن "**وينستون تشرشل**" وَ...

– بالتأكيد بالتأكيد... هذه القصص طبيعية. إنه ابن غير شرعي، الصبي المسكين كما لاحظت دون شك من أصل متواضع جداً. لقد عهدت إليَّ به جمعية خيرية في "**لندن**". هجم على أحد الأشخاص وسط الشارع وادعى أنه يراقبه. هذا كثير الحدوث... سيخبرك الدكتور "**مافيريك**" بذلك. لقد فحصت أقاربه. أمه تنتمي إلى عائلة فقيرة. ولكنها محترمة من "**بليموس**". أما الأب فهو بحار... وهي لم تعرف اسمه قط.. نما الصبي في ظروف صعبة. بدأ يبني الأوهام حول أبيه ثم حول نفسه. بدأ يرتدي ملابس ليس له الحق فيها. ولكن يقول "**مافيريك**" إن التشخيص مطمئن شريطة أن نستطيع أن نجعله يستعيد الثقة بنفسه. لقد أسندت إليه بعض المسؤوليات هنا محاولاً أن أجعله يفهم أن ما يهم بالنسبة إلى الإنسان ليس أين أو كيف ولد ولكن من يكون. حاولت أن أجعله يثق بقدراته. والآن تقولين لي إن... هز السيد "**سيروكولد**" رأسه فسألت "**ماربيل**":

– أليس هناك خطر في أن يصبح خطيراً؟

– خطير؟ لا أعتقد أن لديه ميولاً إلى الانتحار.

– لم أفكر في الانتحار. لقد حدثني عن أعداء... عن اضطهاد. أليس هذا... عفواً... علامة شخصية خطيرة؟

– لا أعتقد أنه وصل إلى هذه الدرجة. إلى هذا الوقت يحتفظ "**مافيريك**" بالأمل... الكثير من الأمل. نظر إلى ساعته:

– يجب أن أذهب آه! ها هي عزيزتي "**جولي**". ستعتني بكِ. أتت الآنسة "**بيليفر**" بخطوات مسرعة:

– السيارة عند الباب يا سيد "**سيروكولد**". لقد اتصل الدكتور "**مافيريك**" من المعهد، وأخبرته بأنني سأوصل الآنسة "**ماربيل**". سينتظرنا عند الباب.

– شكراً. يجب أن أرحل. أين حقيبتي؟

– إنها في السيارة يا سيد "**سيروكولد**". رحل السيد "**سيروكولد**" بخطوات

مسرعة وهذا ما أوحى إلى الآنسة "**بيليفر**" بأن تقول:

– ذات يوم سيسقط هذا الرجل. هذا ضد الطبيعة لأنه لا يسترخي أبداً ولا يستريح أبداً. فهو لا ينام سوى أربع ساعات في الليلة.

– إنه يكرس نفسه للقضية التي اختارها. همست الآنسة "**بيليفر**":

– إنه غير قادر على التفكير في أي شيء آخر. إنه لا ينظر حتى إلى زوجته ولا يهتم بها. إنها امرأة رائعة كما تعرفين يا آنسة "**ماربيل**" ويجب أن تجد الحب والاهتمام. لكن هنا، لا يفكر في شيء ولا يهتم بشيء آخر سوى في كومة من الصبية الذين يريدون الحياة في سهولة وليس لديهم أدنى رغبة في العمل الشاق. والصبية المناسبون الذين يأتون من العائلات المناسبة إذن؟ لماذا لا نفعل شيئًا لهؤلاء؟ بالنسبة إلى السيد "**سيروكولد**" والدكتور "**مافيريك**" والفريق الذي يعتمد على المشاعر لا تمثل لهم الأمانة أي صالح. لقد تربيت أنا وإخواني يا آنسة "**ماربيل**" في ظروف قاسية ولم يشجعنا أحد على الاستجداء.

عبرتا الحديقة وهما تتحدثان وسلكتا ممرًا أوصلهما إلى القوس الحجري الذي بناه "**إيريك جولبراندسين**" عند باب مدرسته وهو مبنى من الطوب الأحمر السميك. جاء في لقائهما الدكتور "**مافيريك**" الذي رأت الآنسة "**ماربيل**" أنه هو نفسه غير طبيعي.

– شكرًا يا آنسة "**بيليفر**". الآن يا آنسة... إيه... نعم.. آنسة "**ماربيل**"... أنا واثق بأنكِ ستهتمين بما نفعله هنا وبطريقتنا المدهشة في مواجهة مشكلتنا الكبيرة. السيد "**سَيروكولد**" رجل عظيم الذكاء، رجل له رؤية. ولدينا دعم السيد "**جون ستيلويل**" رئيسي القديم. وبفضله استطعنا أن نقيم مشروعنا. مشكلتنا مشكلة طبية هذا ما نريد أن نقنع به السلطات القانونية. لقد أصبح العلاج النفسي نظامًا مستقلاً بنفسه خلال الحرب. هذا كل ما حملته إلينا الحرب من إيجابيات. كمقدمة أريدك أن تشاهدي بنفسك بما سنبدأ.. انظري.

رفعت الآنسة "**ماربيل**" عينيها لكي تقرأ الكلمات المحفورة أعلى الباب.

يا من تدخل إلى هذا المكان

ستجد الأمل

– أليس هذا رائعًا؟ أليس ذلك ذهابًا إلى المهمة مباشرة؟ الأمر ليس قمع هؤلاء الصبية أو عقابهم. فضلاً على أننا نحاول أن نجعلهم يشعرون بأنهم أشخاص موهوبون. سألته الآنسة "**ماربيل**":

– مثل "**إيدجر لوسون**"؟

– إنه حالة مثيرة. هل تحدثت معه؟

– إنه هو من جاء وتحدث معي. وسألت نفسي أليس مجنونًا؟ انفجر الدكتور "**مافيريك**" في الضحك قائلا.

– نحن جميعًا مجانين يا آنستي العزيزة. هذا هو سر الحياة الكبير. ودخلا إلى المدرسة.

الفصل السادس

بالإجمال كان يومًا شاقًا. فكرت الآنسة "**ماربيل**" أن الحماس نفسه قد يكون تجربة. شعرت بغضب تجاه نفسها وتجاه ردود أفعالها. لقد كان هناك في "**ستونيجيتس**" مجموعة أحداث مثيرة للشكوك ربما عدة مجموعات. وعلى الرغم من ذلك كانت غير قادرة على تمييزها بشكل واضح. هذا القلق غير المحدد الذي يتملكها يدور حول الشخص المثير للشفقة الذي ليس سوى "**إيدجر لوسون**". إذا استطاعت فقط أن تعرف إلى من أو إلى ماذا يجعلها تفكر...

أخذت تبعد ذكرى تلو الأخرى للتصرفات الغريبة مثل السيد "**سيلكريك**" العامل الذي يسلم البضائع، وساعي البريد الشارد، والبستاني الذي يعمل يوم الاثنين في "**بنتكوت**".

كان هناك في "**إيدجر لوسون**" شيء لا تستطيع تحديده، شيء لا يستقيم شيء أبعد مما هو مرئي وملموس. لقد فكرت الآنسة "**ماربيل**" كثيراً ولا ترى كيف أن هذا الشيء مهم ربما قد كان يؤثر في صديقتها "**كاري لويز**". في النسيج المضطرب لحياة "**ستونيجيتس**"، مشاكل ورغائب كل شخص تؤثر فيمن يحيطون به. ولكن مرة ثانية لم تستطع أن تجد أيًا منها يستطيع أن يؤثر في "**كاري لويز**". "**كاري لويز**"... فجأة تذكرت الآنسة "**ماربيل**" أنها هي الوحيدة و"**روث فان ريدوك**" تستخدمان هذا التدليل لاسم صديقتها. زوجها يناديها "**كارولين**" والآنسة "**بيليفر**" تناديها "**كارا**" و"**ستيفان ريستاريك**" يناديها "**مادونا**" و"**وولي**" يناديها السيدة "**سيروكولد**" واختارت "**جينا**" "جدتي العزيزة".

هل من الممكن إيجاد معنى لهذه التسميات المختلفة لـ"**كارولين لويس سيروكولد**"؟ هل من المحتمل تصور أنها تمثل لكل واحد من أقاربها رمزًا أكثر من

كونها كائنًا من لحم ودم؟ في صباح اليوم التالي عندما جرَّت "**كاري لويز**" ساقها ونزلت إلى الحديقة لتجلس إلى جوار صديقتها وسألتها فيما تفكر، أجابتها الآنسة "**ماربيل**":

– فيك يا "**كاري لويز**".

– فيَّ أنا؟ لماذا؟

– سأخبرك بصراحة.. هل هناك شيء ما يثير قلقك؟

– ما يثير قلقي؟ نظرت "**كاري لويز**" إلى صديقتها بعينيها الزرقاوين في دهشة:

– لكن يا "**جان**" ما الذي يستطيع أن يقلقني؟ أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– حسن. أغلبنا لديه مشاكل، وأنا لديَّ مشاكل مع الحلزون مثلاً أو صعوبة الحصول على أقمشة جيدة للبياضات أو مع صعوبة إيجاد السكر لعمل عصير الدراق (الخوخ). أوه العديد من المشاكل وأعجب ألا أجد ما يشغلك. أجابت "**كاري لويز**":

– أفترض أنه يجب أن يكون لديَّ بعض المشكلات. "**لويس**" يعمل كثيراً، "**ستيفان**" يجمِّد نفسه كثيراً في المسرح حتى أنه ينسى أن يأكل، و"**جينا**" عصبية جدًّا... لكنني لم أكن قط قادرة على تغيير الناس ولا أعرف كيف أستطيع أن أفعل ذلك، كما أنه لا جدوى من الانشغال بالمشاكل.. أليس كذلك؟

– "**ميلدريد**" أيضًا ليست سعيدة.

– أوه! لا. "**ميلدريد**" ليست سعيدة على الإطلاق. كانت تعسة عندما كانت طفلة. ليست مثلاً "**بيبا**" التي كانت مشرقة دائماً. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– ربما كان لدى "**ميلدريد**" أسبابها حتى تشعر بالتعاسة. صرحت "**كاري لويز**" في هدوء:

– لقد كانت غيوراً. نعم.. أعتقد ذلك. ولكن لا يحتاج الناس حقًّا إلى أسباب حتى يشعروا بما يشعرون به. لقد خلقوا كذلك. ألا توافقينني الرأي يا "**جان**"؟

تذكرت الآنسة "**ماربيل**" الآنسة "**مونكريف**" التي خدمت خدمة عبودية لأم طاغية. الآنسة "**مونكريف**" المسكينة التي لم تحلم سوى بالسفر ورؤية العالم الفسيح. وسعدت كل قرية "**سان ماري ميد**" عندما ماتت السيدة "**مونكريف**" وحصلت الآنسة "**مونكريف**" على عائد مناسب وحصلت أخيراً على حريتها. انطلقت الآنسة "**مونكريف**" في الرحلات. وعندما ذهبت لزيارة إحدى صديقات والدتها، تأثرت بمرضها فالغت كل مشاريعها وبقيت معها في فيلتها لتقع مرة أخرى

في الطغيان مكبلة بالعمل تتمنى في حزن من جديد أن تنطلق إلى فرحة الآفاق الكبيرة. وافقتها قائلة:

– أعتقد أنك محقة يا "**كاري لويز**".

– بالتأكيد إذا كنت خالية من المشاكل فهذا يرجع بشكل جزئي إلى "**جولي**". عزيزتي "**جولي**".. لقد أتت عندما تزوجت أنا و"**جوني**" وكانت رائعة منذ اليوم الأول. اعتنت بي كأني طفلة أو عاجزة تماماً، وكانت مستعدة لأن تفعل أي شيء من أجلي. أحياناً أشعر ببعض الخجل. أعتقد يا "**جان**" أن "**جولي**" مستعدة للقتل من أجلي. أليس هذا شيئاً صعب البوح به؟

– إنها تحبك كثيراً بالتأكيد.

– إنها مستعدة للتضحية من أجلي لهذه الدرجة. ارتفعت ضحكة "**كاري لويز**" الرنانة وأردفت:

– إنها تريدني دائماً أن أشتري ملابس راقية، وأن أعيش في رفاهية تعتقد أن الجميع يجب أن يبجلوني. هي الوحيدة التي لا تقتنع بحماس "**لويس**". في رأيها أن كل هؤلاء الصبية المساكين ليسوا سوى مجرمين مدللين لا يستحقون العناء الذي نبذله من أجلهم. ترى أن هذا المكان رطب وسيئ للروماتيزم وأنني يجب أن أذهب إلى "**مصر**" أو إلى بلد جاف ودافئ.

– هل تعانين كثيراً الروماتيزم؟

– لقد تفاقم الأمر في الآونة الأخيرة. أجد صعوبة في المشي. وتقلصات شديدة في الساقين. ابتسمت ابتسامة ساحرة:

– في النهاية يجب أن تصيبنا الشيخوخة. ظهرت الآنسة "**بيليفر**" عند أحد الأبواب وأسرعت نحو الصديقتين.

– هناك تلغراف يا "**كارا**" مكتوب فيه: (سأحضر اليوم.. "**كريستيان جولبراندسين**"). صاحت "**كاري لويز**":

– "**كريستيان**"؟ كنت أجهل تماماً أنه في "**إنجلترا**".

– سنسكنه في الجناح المبطن؟

– نعم من فضلك يا "**جولي**"، بذلك لن يحتاج إلى استخدام السلم. اكتفت الآنسة "**بيليفر**" بهز رأسها وعادت نحو المنزل. قالت "**كاري لويس**":

– "**كريستيان جولبراندسين**" ابن زوجي السابق. إنه الابن الأكبر لـ"**إيريك**". إنه يكبرني بعامين. إنه أحد المديرين بالمعهد.. المدير الرئيسي. من المؤسف أن "**لويس**"

ليس هنا. لا يبقى "**كريستيان**" أكثر من ليلة واحدة. إنه رجل مشغول دائمًا، وأنا متأكدة أن لديه الكثير من المسائل التي يريد مناقشتها مع "**لويس**".

وصل "**كريستيان جولبراندسين**" وقت تناول الشاي. كان طويل القامة يتكلم في بطء. صافح "**كاري لويز**" بحرارة.

– كيف حال صغيرتي "**كاري لويز**"؟ لم يظهر عليكِ أي تجاعيد ولا واحدة. وضع يديه على كتفيها وابتسم إليها. تعلقت يدها في ذراعه.

– "**كريستيان**"! التفت.

– آه! "**ميلدريد**"؟ كيف حالك يا "**ميلدريد**"؟

– لست على ما يرام.

– هذا مثير للضجر. نعم مثير للضجر.

كان هناك شبه كبير بين "**كريستيان جولبراندسين**" وأخته غير الشقيقة. إنه يكبرها بثلاثين سنة فكان يبدو كأنه والدها. بدت "**ميلدريد**" سعيدة جدًا لرؤيته. في سعادة ومرح لم تكف منذ الصباح عن الحديث عن "أخي" "أخي "**كريستيان**"" أو "أخي السيد "**جولبراندسين**"". سأل "**جولبراندسين**" الشابة:

– وكيف حال ابنة أختي "**جينا**"؟ أنت وزوجك استقررتما هنا إذن.

– نعم. لقد استقررنا تقريبًا هنا. أليس كذلك يا "**وولي**"؟ نظر "**كريستيان جولبراندسين**" نظرة فاحصة إلى السيد "**وولي**" الذي بدا عابسًا كعادته. قال "**جولبراندسين**":

– حسن، هأنا من جديد مع العائلة. على الرغم من تظاهره بالسعادة شعرت الآنسة "**ماربيل**" بان "**كريستيان جولبراندسين**" لم يكن كذلك حقًّا. بدا عليه شيء من الانشغال. تم تقديمه للآنسة "**ماربيل**". رمقها بنظرة كأنها يقيِّم هذه السيدة التي يجهلها. قالت "**كاري لويز**":

– لم نكن نعرف قط أنك في "**إنجلترا**" يا "**كريستيان**".

– لا، لقد جئت دون إنذار.

– من المؤسف أن "**لويس**" ليس هنا. كم من الوقت ستبقى؟

– أنوي الرحيل غدًا. متى سيعود "**لويس**"؟

– غدًا بعد الظهر أو في المساء.

– إذن أعتقد أنني سأبقى ليلة أخرى.

– لو أخبرتنا بقدومك...

– عزيزتي "**كاري لويز**"، لقد اضطررت إلى ترتيب سفري على عجل.
– هل ستبقى لرؤية "**لويس**"؟
– نعم من الضروري أن أقابله. قالت الآنسة "**بيليفر**" للآنسة "**ماربيل**":
– السيد "**جولبراندسين**" والسيد "**سيروكولد**" هما الاثنان مديرا معهد "**جولبراندسين**". والآخران هما كاهن "**كرومر**" الدكتور "**جلبرث**" والسيد "**جيلفوي**".

من الممكن الافتراض إذن أن "**كريستيان جولبراندسين**" قد أتى إلى "**ستونيجيتس**" من أجل قضية تتعلق بمعهد "**جولبراندسين**" والجميع معتقد بهذا بدءًا بالآنسة "**بيليفر**". وعلى الرغم من ذلك بدأت الآنسة "**ماربيل**" تتساءل.

في فرصة أو فرصتين لاحظت الرجل العجوز يرمق "**كاري لويز**" بنظرة مفكرة وحائرة وهذا ما أدهشها ثم أخذ يرمق الآخرين واحدًا واحدًا كأنه يقيمهن سرًّا.. بعد تناول الشاي انسحبت الآنسة "**ماربيل**" وذهبت لتجلس بالقرب من المكتبة ومعها شغل الإبرة الخاص بها ولكن لدهشتها جاء "**كريستيان جولبراندسين**" لينضم إليها ويجلس بالقرب منها. بدأ قائلاً:

– أعتقد أنني فهمت أنكِ صديقة قديمة لعزيزتنا "**كاري لويز**".
– لقد كنا في المدرسة نفسها في "**إيطاليا**" يا سيد "**جولبراندسين**". كان ذلك من سنوات عديدة.
– نعم.. وأنتِ تحبينها كثيرًا؟ أكدت الآنسة "**ماربيل**" في حرارة:
– آه بالتأكيد.

– نعم. أعتقد أنه حال الجميع؛ لأنها امرأة رائعة وساحرة. منذ أن تزوجها أبي أحببناها أنا وأخوتي كثيرًا. كانت بالنسبة إلينا أختًا عزيزة. كانت زوجة وفية لأبي متعلقة بكل أفكاره. لم تفكر في نفسها بشكل أناني قط. وآثرت دائمًا الخير للآخرين. قالت الآنسة "**ماربيل**":
– لقد كانت مثالية دائمًا.

– مثالية؟ نعم. هذا صحيح. لهذا السبب لا تستطيع أن تعرف الشر الموجود في هذا العالم. نظرت الآنسة "**ماربيل**" إلى "**كريستيان جولبراندسين**" في دهشة بينما عبس وجهه واستطرد:
– أخبريني كيف حال صحتها؟ مفاجأة جديدة للآنسة "**ماربيل**":
– تبدو لي في حالة جيدة باستثناء الروماتيزم.

– روماتيزم؟ نعم. وقلبها؟ هل قلبها بخير؟

– وقلبها بخير بقدر ما أعرف. ذهبت الآنسة "**ماربيل**" من مفاجاة إلى أخرى.

– إلى الأمس لم أكن قد رأيتها منذ سنوات طويلة. إذا كنت تريد أن تعرف معلومات أكثر عن صحتها يجب أن تسأل أحداً من البيت.. الآنسة "**بيليفر**" مثلاً.

– الآنسة "**بيليفر**". نعم الآنسة "**بيليفر**". أو "**ميلدريد**"؟

– أو كما تقول "**ميلدريد**". شعرت الآنسة "**ماربيل**" ببعض الإحراج. نظر إليها "**كريستيان جولبراندسين**" وقال:

– هل تريدين القول بأنه ليس هناك توافق بين الأم وابنتها؟

– لا. في الواقع لا أعتقد.

– أوافقك. من المؤسف أنها ابنتها الوحيدة. الآن، هذه المدعوة الآنسة "**بيليفر**" هل تعتقدين أنها مرتبطة حقًّا بها؟

– مطلقًا.

– وأن "**كاري لويز**" تعتمد على الآنسة "**بيليفر**" تمامًا؟

– أعتقد ذلك. قطّب "**جولبراندسين**" حاجبيه. وعندما استطرد متحدثًا كأنه يتحدث إلى نفسه:

– هناك الصغيرة "**جينا**"... لكنها صغيرة جدًّا من الصعب أن... توقف ثم استطرد:

– أحيانًا من الصعب معرفة ما هو الأفضل فعله. أتمنى أن أتصرف للوصول إلى الأفضل. إني مهتم جدًّا حتى لا يحدث أي سوء أو أي مكروه لهذه السيدة الغالية. ولكن هذا ليس سهلاً، ليس سهلاً على الإطلاق. في هذه اللحظة دخلت "**ميلدريد**":

– أوه! أنت هنا يا "**كريستيان**". كنا نتساءل أين ذهبت. يسأل الدكتور "**مافيريك**" إذا كان هناك بعض المسائل التي تريد أن تناقشها معه.

– هل هذا هو الطبيب الجديد؟ لا.. سأنتظر عودة "**لويس**".

– إنه ينتظر في مكتب "**لويز**" هل تريد أن أقول له...

– سأذهب لمقابلته بنفسي لمدة دقيقتين. نهض "**كريستيان جولبراندسين**" ونظرت إليه "**ميلدريد**" وهو يذهب ثم نظرت إلى الآنسة "**ماربيل**".

– إني أتساءل إذا كان هناك شيء ليس على ما يرام. "**كريستيان**" ليس كعادته... هل أخبرك بشيء عن...

– سألني فقط عن حال والدتك الصحية.

– صحتها؟ لماذا سألك أنتِ عن صحتها؟ غضبت "**ميلدريد**" بشكل واضح بان على قسمات وجهها.

– ليس لديً أدنى فكرة.

– أمي في صحة ممتازة بشكل يثير الدهشة بالنسبة إلى امرأة في سنها. إنها في الحقيقة في صحة أفضل مني. توقفت لحظة ثم قالت:

– أتمنى أن تكوني قد أخبرته بذلك.

– في الواقع لست على دراية مطلقًا بهذه الأشياء لقد سألني عن قلبها.

– قلبها؟

– نعم.

– ليس لدى أمي مشاكل قلبية.

– أنا سعيدة بأن أسمعك تقولين ذلك يا عزيزتي.

– ما الذي وضع مثل هذه الأفكار في رأس "**كريستيان**"؟ أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– ليس لديً أي فكرة.

الفصل السابع

بالاعتماد على الظاهر مضى اليوم التالي دون أي عثرات، ولكن لم تنخدع الآنسة "**ماربيل**" بهذه المظاهر إذ استشفت بعض العلامات لتوتر داخلي. قضى "**كريستيان جولبراندسين**" النهار في تفقد المعهد مع الدكتور "**مافيريك**" والتناقش معه في النتائج التي حصل عليها الطلاب. في بداية فترة بعد الظهر اصطحبته "**جينا**" في نزهة وبعد ذلك لاحظت الآنسة "**ماربيل**" أنه دفع الآنسة "**بيليفر**" لكي تطلعه على شيء ما لا تعرف ماذا هو في الحديقة. تصورت الآنسة "**ماربيل**" أنه قد اتخذ من ذلك ذريعة لكي يدبر لقاء على انفراد مع هذه المرأة غير الودود.

وإذا كانت زيارة "**كريستيان جولبراندسين**" المفاجئة ليست سوى زيارة مهنية بحتة لماذا يصر على الحديث مع الآنسة "**بيليفر**" التي لا تهتم في "**ستونيجيتس**" إلا بالأعمال المنزلية؟ لكن مع ذلك استطاعت الآنسة "**ماربيل**" أن تحدث نفسها بأنها تتمتع بخيال خصب. الحدث الوحيد الذي يثير الانتباه كان نحو الساعة الرابعة. لفّت شغل الإبرة وخرجت إلى الحديقة لتتمشى قبل تناول الشاي. في أحد المنعطفات التقت وجهًا لوجه مع "**إيدجر لوسون**" الذي كان يمشي بخطوات واسعة. يدمدم

بمفرده وكاد أن يصطدم بها بشدة. قال في سرعة:
– أرجو المعذرة. دهشت الآنسة "**ماربيل**" لثبات نظرته:
– ألست بخير يا سيد "**لوسون**"؟
– بخير؟ كيف لي أن أشعر بأنني بخير؟ لقد تلقيت صدمة... صدمة مفزعة.
– أي نوع من الصدمات؟ ألقى الشاب نظرة خاطفة خلفه ثم نظر يمينًا ويسارًا. مما أصاب الآنسة "**ماربيل**" بالعصبية. نظر إليها في شك وقال:
– هل عليَّ أن أخبرك؟ لست أدري. لست أدري حقًا. هناك من يتجسس عليَّ. لم تتردد الآنسة "**ماربيل**" في أن تمسك ذراعه بقوة. وقالت:
– لنسلك هذا الممر. ليس هناك أي شجر. لا أحد يستطيع أن يتنصت علينا.
– لا.. لا. أنت محقة. تنفس بعمق ثم خفض رأسه وهمس:
– لقد اكتشفت اكتشافًا. اكتشافًا مفزعًا. أخذ "**إيدجر لوسون**" يرتعش وكاد أن يبكي.
– لنقل إنني وثقت بشخص ما. لنقل إنني آمنت به... ولم يكن ذلك سوى أكاذيب... لا شيء سوى الأكاذيب. أكاذيب لكيلا أكتشف الحقيقة. لا أستطيع أن أحتمل ذلك. هذا شيء قاسٍ جداً. هل تفهمين.. لقد كان الشخص الوحيد الذي أثق به وهأنا أكتشف الآن أنه منذ البداية كان هو من وراء كل ذلك. كان هو عدوي الحقيقي! كان هو من يتبعني ويتجسس عليَّ. ولكن لن يستطيع أن يستمر هكذا. سأتحدث. وسأخبره بأنني أعرف ماذا فعل. سألت الآنسة "**ماربيل**":
– ولكن من "هو"؟ انتصب "**إيدجر لوسون**". كان يريد أن يعبر عن موقف مأساوي ولكنه بدا في الحقيقة مضحكًا.
– إني أتحدث عن والدي.
– اللورد "**مونتجومري**"؟ أم أنك تشير إلى "**وينستون تشرشل**"؟ لمعت ومضة سخرية في عينيه.
– هذا ما كانوا يجعلونني أعتقده... حتى يمنعوني من اكتشاف الحقيقة لكني الآن أعرف. لقد وجدت صديقًا... إنه صديق حقيقي، صديق يكشف لي عن الحقيقة ويخبرني كيف خدعوني. سأواجه أبي بأكاذيبه! سأواجهه وأتحداه وأنا مسلح بالحق. سنرى بما سيجيب.

توقف "**إيدجر لوسون**" فجأة وذهب وهو يجري واختفى في الحديقة. لقد قال لها الدكتور "**مافيريك**": "نحن جميعًا مجانين يا آنستي". ولكن في حالة "**إيدجر**

لوسون" يبدو أن نسبة الجنون لديه أعلى.



عاد "**لويس سيروكولد**" الساعة السادسة والنصف مساءً. نزل من سيارته عند مدخل الحديقة وسار حتى المنزل بين الحدائق. كانت الآنسة "**ماربيل**" تقف في نافذة حجرتها عندما رأت "**كريستيان جولبراندسين**" يخرج من المنزل ويذهب لمقابلة "**لويس سيروكولد**"، وبعد أن تصافح الرجلان أخذا يمشيان في الشرفة.

حرصت الآنسة "**ماربيل**" على أن تحضر معها نظارتها المكبرة التي تراقب بها العصافير. قررت أن تستخدمها في هذه اللحظة، بالمصادفة لمحت سرب طيور بعيداً أعلى مجموعة أشجار.

استنتجت أن الرجلين يبدو عليهما الاضطراب. مالت أكثر. وصل إلى مسامعها بعض كلمات الحديث. إذا رفع "**جولبراندسين**" أو "**سيروكولد**" بصرهما فلن يلاحظا سوى هاوية تتأمل شغوفة بمتابعة الطيور وهي تنظر إلى نقطة بعيدة عنهما. قال "**كريستيان جولبراندسين**":

- كيف نبعد "**كاري لويز**" عن معرفة هذه الحقيقة... عندما مر الرجلان تحت نافذة الآنسة "**ماربيل**" كان "**لويس سيروكولد**" هو المتحدث.

- إذا استطعنا أن نجعلها بعيداً عن كل ذلك. إني متفق تماماً أننا يجب أن نهتم بأمرها... ووصل إلى أذنيْ الآنسة "**ماربيل**" بعض الكلمات الأخرى.

- الأمر جاد جداً... لا يمكن تبرير ذلك... إنها مسؤولية ضخمة يصعب تحملها... ربما علينا طلب رأي خارجي.. في النهاية سمعت الآنسة "**ماربيل**" "**كريستيان جولبراندسين**" ينهي كلامه قائلاً:

- بدأ الجو يبرد. يجب أن ندخل.

ابتعدت الآنسة "**ماربيل**" عن نافذتها وهي تشعر بالقلق. إن الكلمات التي سمعتها كانت متفرقة جداً حتى أنها لم تستطع أن تربط بينها لتحصل علي معنيٍ... ولكن أكدت لها شعورها، الخوف غير المبرر الذي أخذ يكبر في نفسها شيئا فشيئا، وكذلك مخاوف "**روث فان ريدوك**". مهما كان الأمر الذي لا يستقيم في "**ستونيجيتس**" فهو موجه مباشرة إلى "**كاري لويز**".



في هذا المساء كان جو العشاء كئيبًا. بدا كل من "**كريستيان جولبراندسين**" و"**لويس سيروكولد**" شارداً في أفكاره. و"**وولتر هود**" أكثر عبوساً من المعتاد، وللمرة الأولى على غير المعتاد بدا أن "**جينا**" و"**ستيفان**" لا يجدان ما يتحدثان فيه أو ما يحكيانه للآخرين. كان الموضوع الأساسي هو مناظرة الدكتور "**مافيريك**" العلمية مع السيد "**بومجارتن**" أحد المعالجين. عندما انتهى العشاء توجه المدعوون إلى الصالون الكبير، وتركهم "**كريستيان جولبراندسين**" على الفور مفسراً ذلك بأنه كان لديه خطاب لهم يجب أن يكتبه قال:

– عزيزتي "**كاري لويز**"، أرجو المعذرة سأذهب إلى غرفتي.

– هل لديك كل ما تحتاج إليه؟ هل قامت "**جولي**" بعمل اللازم؟

– نعم. نعم. لقد طلبت آلة كاتبة وأحضروا لي واحدة. لقد أبدت الآنسة "**بيليفر**" اهتماماً ومعاملة طيبة.

خرج من الصالون من خلال الباب الأيسر الذي يقود إلى السلم الكبير ثم إلى ممر يوجد في طرفه غرفة وحمام. سألت "**كاري لويز**" بعد رحيله:

– ألن تذهبي إلى المسرح هذا المساء يا "**جينا**"؟

اكتفت السيدة الشابة بأن هزت رأسها. ذهبت لتجلس بالقرب من النافذة التي تطل على الممر الرئيسي وعلى الفناء. رمقها "**ستيفان**" بنظرة ثم جلس أمام البيانو وأخذ يعزف في هدوء لحنًا حزينًا. المعالجان النفسيان السيد "**بومجارتن**" والسيد "**لاسي**" وكذلك الدكتور "**مافيريك**" ألقوا تحية المساء وغادروا بدورهم. أدار "**وولتر**" مفتاح المصباح الكهربائي فأحدث طقطقة مميزة فانطفأت نصف أنوار الصالون. قال "**وولي**":

– هذه الآلة لا تعمل أبداً. سأغير السلك. غادر الصالون وهمست "**كاري لويز**":

– "**وولي**" يجيد التصرف مع كل الآلات الكهربائية والأشياء من هذا القبيل... هل تذكرين كيف أصلح سخان الخبز؟ قالت "**ميلدريد**":

– يبدو أن هذا كل ما يجيد عمله هنا. أمي هل تناولت دواءك؟ أظهرت الآنسة "**بيليفر**" بعض الاضطراب:

– أعترف بأنني هذا المساء نسيت تماماً أن أعطيها إياه.

نهضت فجأة وذهبت إلى حجرة الطعام وعادت ومعها كوب صغير يحتوي على سائل لونه وردي. ابتسمت "**كاري لويز**" ومدت إليها يدها في إذعان. قائلة:

– هذا الشراب المفزع الذي لا يعطيني أحد الفرصة لكي أنساه. ولكن فجأة وفي دهشة أصابت الجميع قال "**لويس سيروكولد**":

– أعتقد أنك لا يجب أن تتناوليه اليوم يا عزيزتي. لست متأكداً إذا كان يناسبك تماماً. في هدوء، أخذ الكوب من يدي الآنسة "**بيليفر**" ووضعه على الطاولة الخشبية. اعترضت الآنسة "**بيليفر**" قائلة:

– سيد "**سيروكولد**"، بصراحة لست أوافقك. لقد تحسنت حال السيدة "**سيروكولد**" منذ أن...

توقفت فجأة ودارت حول نفسها عندما فُتح الباب في عنف ودخل "**إيدجر لوسون**" إلى الصالون كأنه نجم يدخل إلى خشبة المسرح وسط تصفيق الجمهور. صرخ في وجه "**لويس سيروكولد**" قائلاً:

– هكذا لقد كشفت. أنت عدوّي. لم يظهر "**لويس سيروكولد**" سوى مفاجأة متزنة.

– حسن يا عزيزي "**إيدجر**".. ماذا حدث؟

– أنت الذي يسألني!.. أنت!.. أنت تعرف ماذا حدث. لقد خدعتني، لقد تجسست عليّ، لقد تحالفت مع خصومي ضدي. أمسكه "**سيروكولد**" من ذراعه:

– تعال تعال يا بني، لا تنفعل هكذا. تعال إلى مكتبي لتروي لي كل هذا بهدوء.

جعله يمر بالصالون ودخل الاثنان من خلال باب على يمين الحجرة. وسُمع صوت المفتاح الذي يدور في القفل. تبادلت الآنسة "**بيليفر**" والآنسة "**ماربيل**" النظرات. كانت للاثنتين الفكرة نفسها: إن من أغلق الباب ليس "**لويس سيروكولد**". قالت الآنسة "**بيليفر**":

– في رأيي أن هذا الصبي قد فقد عقله. إنه خطير. عززت "**ميلدريد ستريت**" هذا الرأي وقالت:

– إنه غير متزن على الإطلاق، ليس لديه أي عرفان لما قدمناه له. يجب أن تضعي حداً لهذا الأمر يا أمي. همست "**كاري لويز**":

– إنه لا يسبب أي خطر. إنه يحب "**لويس**" كثيراً. نعم إنه يحبه كثيراً. نظرت الآنسة "**ماربيل**" إلى صديقتها في فضول. إنها لم تستشف أي حب في حديث "**إيدجر لوسون**" عن "**لويس سيروكولد**". وسألت نفسها إذا كانت "**كاري لويز**" تدير ظهرها للحقيقة. تدخلت "**جينا**" وقالت:

– إن معه شيئًا ما في جيبه، أقصد "**إيدجر**". رفع "**ستيفان**" يديه من على مفاتيح البيان.

– لو كان في فيلم سيكون مسدساً. سعلت الآنسة "**ماربيل**" وهمست:

– أعتقد أنه مسدس. خلف باب مكتب "**لويس**" تحول صوت الرجلين من صوت خافت إلى صوت مسموع بوضوح. كان "**لويس سيروكولد**" يتحدث برصانة بينما يصيح "**إيدجر لوسون**" :

– أكاذيب! أكاذيب! ليست سوى أكاذيب، أنت والدي. أنا ابنك. لقد حرمتني من حقي. أنا الذي يجب أن يمتلك هذا المكان. أنت تكرهني... أنت تريد أن تتخلص مني!

همس "**لويس**" بكلمات مهدئة. ولكن "**إيدجر**" أخذ يصيح في هيستيرية بموجة من الإهانات. أخذ "**لويس**" يتفوه ببعض الكلمات مثل: اهدأ... ابق هادئًا. ولكن بعيدًا عن تهدئة الرجل الشاب فقد زادت هذه الكلمات من ثورته. شيئًا فشيئًا صمت الجميع في الصالون وهم كلهم آذان صاغية لما يدور في مكتب "**لويس**". صاح "**إيدجر**" :

– إني أجبرك على الإصغاء إليَّ! سأخلع عن وجهك هذا القناع الكريه. سأنتقم، أؤكد لك ذلك! سأنتقم لكل المعاناة التي سببتها لي. فجأة تحدث "**لويس**" بصوت متهدج لا يتفق مع شخصيته:

– ضع هذا المسدس. صاحت "**جينا**" :

– سيقتله "**إيدجر**". إنه مجنون. أليس علينا أن ندعو الشرطة؟ أن نفعل شيئًا؟ ولكن "**كاري لويز**" قالت بهدوؤها المعهود:

– لا يوجد مجال للقلق يا "**جينا**". "**إيدجر**" يحب "**لويس**" كثيرًا. هذا الصبي يميل إلى الميلودراما فحسب.

من خلال الباب سمعوا صوت "**إيدجر**" يتغير، اعتقدت الآنسة "**ماربيل**" أنها ضحكة شيطانية.

– نعم، معي مسدس... وهو معمر بالرصاص! لا ولا كلمة واحدة! ولا حركة! ستسمعني. أنت الذي تآمر ضدي، والآن ستدفع الثمن. فزع الجميع عندما دوَّى صوت يشبه صوت طلق ناري. قالت "**كاري لويز**" :

– لا شيء. الصوت آتٍ من الخارج من الحديقة. خلف الباب المغلق تابع "**إيدجر**" صيحاته:

– أنت هنا تنظر إليَّ.. وتتظاهر بعدم المبالاة. يجب أن تركع على ركبتيك وتتوسل وتطلب العفو! سأطلق عليك النار أقسم لك. سأقتلك! أنا ابنك.. الابن الذي لم تعترف به والذي تحتقره.. أردت أن تخفيني، أن تجعلني أترك هذا العالم، ربما. لقد

جعلت جواسيسك تتبعني، لقد تآمرت ضدي. أنت أبي! أبي! أنا لست سوى ابن غير شرعي، لست سوى ابن غير شرعي. ضلَّلتني بأكاذيبك. أردت أن تجعلني أعتقد أنك طيب تجاهي، وكل هذا الوقت.. كل هذا الوقت لم تكن تستحق العيش، ولن أتركك تعيش.

وانطلق "**إيدجر**" من جديد في سيل من الشتائم. وسط هذا الصخب سمعت الآنسة "**ماربيل**" الآنسة "**بيليفر**" تقول قبل أن تخرج من الصالون:

– يجب أن نفعل شيئًا. بدا كأن "**إيدجر**" يلتقط أنفاسه ثم صاح:

– أنت ستموت، ستموت! ستموت الآن! خذ هذه أيها القذر وهذه!

دوت طلقتا رصاص ليس في الحديقة هذه المرة ولكن خلف الباب. سمعت الآنسة "**ماربيل**" صوت "**ميلدريد**" وهي تتأوه قائلة:

– آه! يا إلهي... ماذا يجب أن نفعل؟

أتى من مكتب "**لويس**" صوتًا أكثر فزعًا من كل الصيحات الأخرى. أحدهم أزاح الآنسة "**ماربيل**" وحاول أن يفتح باب المكتب. إنه "**ستيفان ريستاريك**". صاح:

– افتح هذا الباب! افتح هذا الباب .عادت الآنسة "**بيليفر**" ومعها مجموعة مفاتيح، وقالت لاهثة:

– حاول استعمال واحد من هذه المفاتيح.

في اللحظة نفسها أُضيئت الأنوار في الصالون الكبير فبدد الظلام الكئيب. جرب "**ستيفان ريستاريك**" المفتاح تلو الآخر. سمع المفتاح يسقط من الطرف الآخر. عاد "**وولتر هود**" بخطوات غير مبالية وتوقف فجأة:

– ماذا يحدث هنا؟ قالت "**ميلدريد**" وهي تبكي:

– هذا الفتى المفزع المجنون قتل السيد "**سيروكولد**". قاطعتها "**كاري لويز**":

– أرجوك لا تقولي ذلك. نهضت وتوجهت نحو باب المكتب وأبعدت "**ستيفان**" في هدوء:

– دعني أكلمه. "**إيدجر**".. "**إيدجر**" دعني أدخل من فضلك. أنا من يطلب منك ذلك يا "**إيدجر**".

سمعوا جميعًا المفتاح يوضع في الباب. وفتح الباب في هدوء ولكن ليس "**إيدجر**" من فتح الباب، لقد كان "**لويس سيروكولد**" لاهثًا كأنه كان يجري والجميع في صمت عميق. قال:

– كل شيء على ما يرام يا عزيزتي. قالت الآنسة "**بيليفر**":

– لقد اعتقدنا أنه أطلق النار عليك. قطّب "**لويس سيروكولد**" جبينه وأجاب في غيظ:

– بالتأكيد لا. لم يلمسني.

الآن يستطيع الجميع رؤية داخل المكتب. كان "**إيدجر لوسون**" منهاراً على الطاولة يبكي وينتحب، والمسدس الذي تركه ساكناً على الأرض. قالت "**ميلدريد**" في تعجب:

– لكننا سمعنا صوت إطلاق النار.

– نعم لقد أطلق النار مرتين.

– ولم يصبك؟ قال في حزم:

– بالتأكيد لم يصبني.

لم يكن هذا الكلام مقنعاً بالنسبة إلى الآنسة "**ماربيل**". يجب أن تكون الطلقتان قريبتين من الهدف. استطرد "**لويس**" في غيظ:

– أين "**مافيريك**"؟ إننا نحتاج إلى "**مافيريك**". أجابت الآنسة "**بيليفر**":

– سأذهب لأحضره. هل أتصل بالشرطة أيضاً؟

– الشرطة؟ لا بالتأكيد. أجابت "**ميلدريد**":

– يلزمنا بالتأكيد الاتصال بالشرطة. الأمر خطير. قاطعها "**لويس**":

– هذه حماقة! هذا الصبي المسكين... أتجدين أنه خطير؟

يجب القول بأن "**إيدجر لوسون**" لم يكن يبدو عليه أي خطورة، كان يبدو صغيراً مثيراً للشفقة ومقززاً شيئاً ما. أخذ يتحدث على طبيعته متخلياً عن التصنع الذي كان يستخدمه في حديثه:

– لا أريد. لا أعرف ماذا أصابني لكي أروي هذه الحماقات. إنني مجنون. كانت "**ميلدريد**" تبكي بصوت عالٍ. استطرد:

– بصراحة أعتقد أنني مجنون. لا أريد. من فضلك يا سيد "**سيروكولد**" لا أريد. ربت السيد "**سيروكولد**" كتفه:

– كل شيء على ما يرام يا بني. لا يوجد سوء.

– لقد كدت أن أقتلك يا سيد "**سيروكولد**". اخترق "**وولتر هود**" الحجرة ولاحظ الحائط خلف المكتب.

– لقد اخترق الرصاص الحائط. تفقد ببصره المكتب والمقعد الذي خلفه.

– لم تذهب الرصاصتان بعيداً.

– لقد فقدت عقلي. لم أعد أعرف ماذا أفعل. لقد تصورت أنه قد أساء إليّ. طرحت الآنسة "**ماربيل**" السؤال الذي كان يحرق شفتيها منذ لحظة:

– من الذي أخبرك إذن بأن السيد "**سيروكولد**" هو والدك؟ خلال لحظة بدا الحزن على وجه "**إيدجر لوسون**":

– لا أحد. لقد وضعت بنفسي هذه الفكرة في رأسي. "**وولي هود**" لم يترك المسدس بعينيه وسأل:

– ومن أين أتيت بهذا المسدس؟ سأل "**إيدجر**" فزعًا دون أن يفهم:

– مسدس؟

– إنه يشبه مسدسي. انحنى والتقط المسدس من على الأرض.

– يا إلهي إنه هو! لقد أخذته من حجرتي أيها اللص القذر. تدخل "**لويس سيروكولد**" ووقف بين "**إيدجر**" الفزع و"**وولتر**" الأمريكي الذي كان يهدده، وقال:

– يمكننا أن نبحث ذلك فيما بعد. آه! ها هو "**مافيريك**". اكشف عليه يا "**مافيريك**" من فضلك. تقدم الدكتور "**مافيريك**" نحو "**إيدجر**" وقال:

– هذا ليس صوابًا يا "**إيدجر**" ليس صوابًا على الإطلاق. صاحت "**ميلدريد**":

– إنه مجنون ثائر. إنه يهذي ويطلق النار بالمسدس. لقد أخفق في إصابة زوج أمي بمعجزة. تأوه "**إيدجر لوسون**" في ضعف. تدخل "**مافيريك**" في حزم:

– احذري ما تقولينه من فضلك يا سيدة "**ستريت**".

– لقد نلت ما يكفي. وأكثر مما يكفي في كل ما حدث! إني أقول لكم بأن هذا الرجل مجنون. انتزع "**إيدجر**" نفسه من قبضة الدكتور "**مافيريك**" وألقى بنفسه عند قدمي "**لويس سيروكولد**":

– ساعدني.. ساعدني لا تدعهم يسجنونني.. لا تدعهم. رددت "**ميلدريد**" غاضبة:

– أخبركم بأنه... قاطعتها أمها في لطف:

– أرجوك. ليس الآن. إنه يعاني. قال "**وولتر**":

– تقولين إنه يعاني. إنهم جميعًا مجانين هنا. قال الدكتور "**مافيريك**":

– سأعتني بك. تعال معي يا "**إيدجر**". ستنام بواسطة مهدئ، وسنوضح كل شيء صباح غد. أنت تثق بي أليس كذلك؟ وقف "**إيدجر**" على قدميه مرتعشًا. ثم نظر في شك إلى الطبيب الشاب أولاً ثم إلى "**ميلدريد ستريت**". وقال:

– لقد قالت.. لقد قالت إنني مجنون. سُمِع صوت خطوات أقدام الآنسة "**بيليفر**"

في الصالون. دخلت إلى الحجرة وشفتاها مزمومتان وخداها متوردان. قالت:

– لقد اتصلت بالشرطة. سيأتون خلال دقائق. صاحت "**كاري لويز**":

– "**جولي**"! تأوه "**إيدجر**". بدا الغضب على قسمات وجه "**لويس سيروكولد**":

– لقد أخبرتك يا "**جولي**" بأننا لا نريد الاتصال بالشرطة. إنها مشكلة طبية. أجابت الآنسة "**بيليفر**":

– ربما. ولكن لي رأي في هذه المسألة، يجب أن أتصل بالشرطة، لقد قتل السيد "**جولبراندسين**".

الفصل الثامن

استغرق الجميع بعض الوقت لكي يستوعبوا ما قالته السيدة "**بيليفر**". تمتمت "**كاري لويز**" غير مصدقة:

– "**كريستيان**"؟ قُتل؟ هذا مستحيل. أجابت الآنسة "**بيليفر**" مغتاظة وموجهة كلامها إلى الجميع سوى "**كاري لويز**":

– إذا كنتم لا تصدقونني فاذهبوا وشاهدوا بأنفسكم.

لقد كانت غاضبة وبدا ذلك في اهتزاز صوتها. ببطء، وكأنه رغمًا عنها، توجهت "**كاري لويز**" نحو الباب. ولكن "**لويس سيروكولد**"وضع يده على كتفها:

– لا يا عزيزتي، دعيني أنا أذهب.

اخترق عتبة الباب. تبعته الآنسة "**بيليفر**" والدكتور "**مافيريك**" لكن بعد أن رمق "**إيدجر لوسون**" بنظرة شك. قادت الآنسة "**ماربيل**" صديقتها "**لويز**" إلى أحد المقاعد، وتركتها تجلس شاردة كأنها حيوان جريح. رددت كأنها طفل حزين:

– "**كريستيان**"؟ قُتل؟ بقي "**وولتر هود**" بالقرب من "**إيدجر لوسون**" الذي تبعه بنظرات بغض وفي يده المسدس الذي التقطه. سألت "**كاري لويز**" في حيرة:

– ولكن من الذي قتل "**كريستيان**" إذن؟ وعلى الرغم من ذلك لم تكن تنتظر إجابة. قال "**وولتر هود**":

– كلهم مجانين.

كأنه يريد أن يحميها اقترب "**ستيفان**" من "**جينا**"، فقد كان وجهه الشاب المفعم بالحيوية هو العنصر النشط الوحيد. فجأة فُتح الباب الزجاجي الكبير. هبت نفحة هواء باردة إلى الحجرة عندما دخل رجل يرتدي معطفًا سميكًا إلى الغرفة. صاح في حيوية

غير مناسبة للموقف:

– مساء الخير جميعاً. ماذا يحدث هذا المساء؟ لقد كان هناك صخب على الطريق.

دهشت الآنسة "**ماربيل**". إنه يشبه تماماً "**ستيفان**" الواقف إلى جانب "**جينا**". ثم تبينت أنها ليست مصادفة. هذا الرجل ليس سوى شقيق "**ستيفان**"، والفرق بينهما أن "**ستيفان**" كان نحيفاً بينما يبدو أخوه مفعماً بالصحة. معطفه الأنيق يبرز قوة بنيته. إنه شاب جميل ينبعث منه ما يدل على قوة الإرادة التي تؤدي إلى النجاح. ولكن لاحظت الآنسة "**ماربيل**" شيئاً آخر وهو أنه بمجرد أن دخل التفت إلى "**جينا**". سأل في قلق:

– هل تنتظرونني؟ هل تسلمتم التلغراف؟

وجه كلامه الآن إلى "**كاري لويز**" واقترب منها. وبتلقائية قدمت إليه يدها لتصافحه. مال نحوها وقبل يدها في احترام وود حقيقيين. همست:

– بالتأكيد يا عزيزي "**أليكس**"، بالتأكيد. ولكن فقط لقد حدثت أشياء.

– أشياء. تطوعت "**ميلدريد**" بأن شرحت له الموقف قائلة:

– "**كريستيان جولبراندسين**"... أخي "**كريستيان جولبراندسين**"... وجدوه ميتاً. صاح "**أليكس ريستاريك**" في دهشة:

– يا إلهي! تقصدين أنه انتحر؟ تدخلت "**كاري لويز**":

– أوه، لا. لا يمكن أن يكون ذلك انتحاراً. ليس "**كريستيان**" أوه، لا. عززت "**جينا**" رأي جدتها قائلة:

– العم "**كريستيان**" لا يمكن أن ينتحر أبداً.

طاف "**أليكس ريستاريك**" ببصره على الموجودين واحداً تلو الآخر. هز أخوه "**ستيفان**" رأسه مؤكداً، وبادله "**وولتر هود**" النظرات ببعض الكراهية. وعندما لاحظ وجود الآنسة "**ماربيل**" قطب "**أليكس**" حاجبيه كأنه اكتشف قطعة زينة في فاترينة عرض. كان يتمنى أن يفسر له أحدهم أسباب وجودها، ولكن لم يفسر له أحد شيئاً. وبقيت الآنسة "**ماربيل**" بالنسبة إليه آنسة عجوزاً ذات شعر فضي يبدو عليها الدهشة. سأل "**أليكس**":

– متى؟ أقصد متى حدث ذلك؟ أجابت "**جينا**":

– قبل وصولك تماماً، منذ حوالي ثلاث أو أربع دقائق على ما أتصور، لقد سمعنا طلقة النار في الحقيقة، ولكننا لم نعرها أهمية..

– لم تعيروها أهمية؟ لماذا؟ ترددت "**جينا**":

– لقد كان هناك موقف آخر يدور. عزز "**وولتر**" كلامها:

– هذا صحيح. لهذا السبب نعم. وصلت "**جولييت بيليفر**" إلى المكتبة وقالت:

– يقترح السيد "**سيروكولد**" أن نذهب جميعًا وننتظر في المكتبة. سيكون ذلك أسهل بالنسبة إلى الشرطة باستثناء السيدة "**سيروكولد**". لقد تعرضت لصدمة كبيرة. يا "**كارا**"، سأصطحبك إلى غرفتك. وقفت "**كاري لويز**" وهزت رأسها:

– يجب أن أرى "**كريستيان**" أولاً.

– أوه. كلا يا عزيزتي. سيصيبك ذلك بالاضطراب. أبعدتها "**كاري لويز**" برفق:

– عزيزتي "**جولي**".. أنت لا تفهمين. التفتت نحو الآنسة "**ماربيل**":

– "**جان**"؟ كانت الآنسة "**ماربيل**" قد نهضت بالفعل.

– تعالي معي يا "**جان**" من فضلك. توجّهتا معًا نحو الباب وكادتا أن تصطدما بالدكتور "**مافيريك**" الذي أتى. صاحت "**بيليفر**":

– دكتور "**مافيريك**"! امنعها، لا داعي لذلك. اكتفت "**كاري لويز**" بأن ألقت نظرة هادئة إلى الدكتور الشاب. سألها الدكتور "**مافيريك**":

– هل تريدين رؤيته؟

– يجب ذلك.

– حسن. إذا كنت تعتقدين وجوب ذلك يا سيدة "**سيروكولد**". لكن قبل ذلك أوصيك بأن تتركي الآنسة "**بيليفر**" تأخذك إلى غرفتك لتسترخي. أنتِ الآن لا تشعرين بأثر الصدمة ولكن أؤكد لك أنك ستشعرين بها فيما بعد.

– نعم. أنت محق دون شك. سأكون عاقلة. تعالي يا "**جان**".

خرجت السيدتان من الصالون ومرتا بالسلم الكبير وتبعتا الردهة التي تفتح من اليمين على حجرة الطعام ومن اليسار على المطبخ مع باب جانبي على الشرفة والذي يقود إلى حجرة "**كريستيان جولبراندسين**". كان الجناح يتكون من غرفة مؤثثة بصالون صغير وسرير وباب يقود إلى حجرة صغيرة للزينة وحمام.

توقفت "**كاري لويز**" عند عتبة الباب. قبل أن يموت أمر "**كريستيان جولبراندسين**" بإدخال مكتب خشبي إلى الغرفة ووضع عليه آلة كاتبة. كان جسده في المكان نفسه دائمًا لكن مائلاً إلى جنبه يحتجزه مقبض المقعد.

وقف "**لويس سيروكولد**" بالقرب من النافذة. كان قد أبعد الستارة قليلاً وينظر إلى الليل. التفت وقطّب حاجبيه:

– عزيزتي.. لم يكن من الضروري أن تأتي. اقترب منها. مدت إليه يدها. ابتعدت الآنسة "**ماربيل**" خطوتين.

– أوه بلى يا "**لويس**"! يجب أن آتي لأراه. أحتاج إلى أن أعرف بالضبط ماذا

حدث. اقتربت من المكتب بخطوات صغيرة. أخبرها "**لويس**" :

– لا تلمسي شيئًا. يجب أن تجد الشرطة كل شيء على حالته وقت اكتشاف الحادث.

– بالتأكيد. لقد أطلق عليه أحدهم الرصاص، أليس كذلك؟

– بالتأكيد. بدا "**لويس سيروكولد**" دهشًا لأنها طرحت هذا السؤال.

– كنت أعتقد... أنك تعرفين.

– أعرف ذلك في الواقع. لا يمكن أن ينتحر "**كريستيان**". وهو رجل قدير لا يمكن أن يكون ذلك حادثًا. توقفت قليلاً :

– لا يوجد احتمال آخر... سوى القتل. دارت حول المكتب ونظرت إلى الجثة طويلاً. بدا على وجهه الحزن. زفرت :

– عزيزي "**كريستيان**". لقد كان لطيفًا دائمًا معي. لمست شعر الميت في لطف واستطردت :

– ليباركك الله وشكرًا لك يا عزيزي "**كريستيان**". قال "**لويس سيروكولد**" في عطف لم تلاحظه عليه الآنسة "**ماربيل**" من قبل :

– "**كارولين**".. أردت أن أوفر عليك كل ذلك. هزت رأسها في رفق :

– في الحقيقة، لا يمكن أن توفر شيئًا على أحد. يجب أن نواجه الحقائق آجلاً أم عاجلاً. كلما كان ذلك مبكرًا كان ذلك أفضل. سأذهب لأسترخي الآن. أعتقد يا "**لويس**" أنك ستبقى هنا حتى وصول الشرطة؟

– نعم. استدارت "**كاري لويز**" وأحاطت الآنسة "**ماربيل**" خصرها بذراعها لتساعدها.

الفصل التاسع

عندما وصل المفتش "**كوري**" ومساعدوه وجدوا الآنسة "**بيليفر**" بمفردها في الصالون الكبير. أبدت مهارتها العملية المعتادة :

– أنا "**جولييت بيليفر**" مديرة المنزل وسكرتيرة السيدة "**سيروكولد**".

– هل أنت من اكتشف الجثة واتصل بنا؟

– نعم. الجميع تقريبًا في المكتبة.. هذا الباب، من هنا... لقد بقي السيد "**سيروكولد**" في غرفة السيد "**جولبراندسين**" لكيلا يتم تغيير أي شيء. الدكتور

"**مافيريك**" الذي فحص الجثة سيكون هنا بين لحظة وأخرى. لقد اضطر إلى أن يأخذ أحد المرضى إلى الجناح الآخر سأطلعك على الطريق.

- من فضلك. فكر المفتش: "إنها امرأة مؤهلة. يبدو أنها تجيد السيطرة على الموقف". تبعها بطول الردهة.

خلال العشرين دقيقة التالية توالت إجراءات التحقيق الروتينية وأخذ المصور بعض الصور الضرورية. أجرى طبيب الشرطة ومعه الدكتور "**مافيريك**" الفحص. بعد نصف ساعة حملت سيارة الإسعاف جثة "**كريستيان جولبراندسين**"، وشرع المفتش "**كوري**" في استجوابه الرسمي.

قاده السيد "**سيروكولد**" إلى المكتبة وجال بين وجوه الحاضرين بنظرة حادة وأخذ بعض النقاط المختصرة مثل: امرأة عجوز شعرها أبيض، امرأة متوسطة العمر، المرأة الجميلة التي رآها في سيارتها في المنطقة وزوجها الأمريكي العابس دائمًا. شابان أو ثلاثة يلعبون دوراً ما في المنزل، وهذه المرأة المتمكنة الآنسة "**بيليفر**" التي استدعته بالتليفون واستقبلته عندما جاء. كان المفتش "**كوري**" قد أعد خطابًا ولم يفُته أن يلقيه:

- أخشى أن يكون هذا الأمر قد أصابكم بالاضطراب جميعًا، ولا أنوي أن احتجزكم كثيراً هذا المساء. يمكننا الحديث باستفاضة عما حدث غداً. إنها الآنسة "**بيليفر**" هي من وجدت السيد "**جولبراندسين**" ميتًا وسأطلب منها أن تعطيني تصوراً للموقف العام مما سيجنبنا التكرار. سيد "**سيروكولد**" إذا أردت الصعود لرؤية زوجتك فلا تتردد ولكن أود أن أتحدث معك بعد أن أنتهي مع الآنسة "**بيليفر**". هل كل هذا واضح؟ ربما يكون هناك حجرة صغيرة، أين؟ اقترح "**لويس سيروكولد**" قائلاً:

- مكتبي، "**جولي**"؟ أذعنت الآنسة "**بيليفر**":

- كنت سأقترح ذلك تمامًا. تقدمت الآنسة "**بيليفر**" كلاً من "**كوري**" والرقيب "**لاك**" خلال الصالون الكبير أجلستهما الآنسة "**بيليفر**" وجلست بالطريقة التي وجدتها في رأيها الأكثر ملاءمة. كان يبدو أنها هي المسؤولة عن التحقيق وليس المفتش.

في هذه الأثناء كان الوقت قد حان لكي يأخذ المبادرة. كان يبدو هادئًا جاداً كتومًا والبعض كان يحذر من خطإ سوء تقديره. لكن في الحقيقة كان قديراً في مجاله كما كانت الآنسة "**بيليفر**" قديرة في مجالها، ولكنه كان يفضل عدم الاستعراض. تنحنح

ثم قال:

– لقد عرض السيد "**سيروكولد**" الأحداث الرئيسية. السيد "**كريستيان جولبراندسين**" كان الابن الأكبر للمتوفى "**إيريك جولبراندسين**" منشئ مؤسسة "**جولبراندسين**"، وبورصات "**جولبراندسين**" ولقد جاء بالأمس دون إنذار.. هل هذا صحيح؟

– نعم. أعجب المفتش بإجابة الآنسة "**بيليفر**" القاطعة واستطرد:

– كان السيد "**سيروكولد**" في "**ليفربول**" وقد عاد في قطار الساعة السادسة والنصف مساءً.

– نعم.

– هذا المساء في نهاية العشاء، أعلن السيد "**جولبراندسين**" عن رغبته في الذهاب للعمل في غرفته وترك باقي الرفاق بعد تناول القهوة.. هل هذا صحيح؟

– نعم.

– الآن يا آنسة "**بيليفر**" هل تريدين أن تروي لي كيف اكتشفت موته؟

– حسن، لقد حدث موقف سخيف هذا المساء. لقد أحدث شاب مضطرب نفسيًّا أزمة عندما هدد السيد "**سيروكولد**" بمسدس. كانا حبيسي هذه الحجرة نفسها. وفي النهاية أطلق الشاب النار، تستطيع أن ترى آثار الرصاص هناك على الحائط. وبعد أن أطلق النار انهار الشاب تمامًا. وأرسلني السيد "**سيروكولد**" لكي أحضر الدكتور "**مافيريك**". استدعيته بالتليفون الداخلي ولكنه لم يكن في غرفته. وجدته مع أحد زملائه، نقلت إليه الرسالة وجاء إلى هنا على الفور. في طريق عودتي توجهت إلى غرفة السيد "**جولبراندسين**". أردت أن أعرف إذا كان يحتاج إلى بعض اللبن الدافئ قبل أن ينام. طرقت الباب ولم تكن هناك إجابة. عندئذ فتحت الباب ورأيت أن السيد "**جولبراندسين**" قد مات، وعندئذ استدعيتكم.

– ما هي مخارج المنزل؟ وكيف يتم إغلاقها؟ وهل من الممكن أن يأتي أحد ما من الخارج ويدخل دون أن يراه أحد؟

– أي شخص يمكنه الدخول من الباب الجانبي باب الشرفة، هذا الباب لا يوصد إلا قبل أن نذهب لننام جميعًا، ولأن الجميع يتنقلون بين المنزل وبنايات المدرسة الأخرى.

– أعتقد أن لديكم ما بين مائتين ومائتين وخمسين شابًّا يتم تأهيلهم في المدرسة.

– نعم. ولكن هناك حراسة جيدة على أبنية المدرسة وكذلك هناك إشراف دائم. أقصد أن لا أحد من الشباب يستطيع مغادرة المدرسة دون أن يرافقه مشرف.

– سنتأكد من هذه النقطة طبعًا. هل كان هناك ضغائن بين السيد "**جولبراندسين**" وأي شخص؟ هل اتخذ قرارات أثارت استياء الأغلبية خلال إدارته للمدرسة؟ هزت الآنسة "**بيليفر**" رأسها:

– أوه لا. لم يكن للسيد "**جولبراندسين**" شأن بإدارة المدرسة ولا بالإدارة اليومية لها.

– ماذا كان هدف زيارته؟

– ليس لديَّ أية فكرة.

– ولكنه بدا منزعجًا لغياب السيد "**سيروكولد**" وقرر انتظار عودته؟

– نعم.

– إذن من الواضح أنه أراد مناقشة شيء ما مع السيد "**سيروكولد**".

– نعم. لكن هذا منطقي لأن الأمر كان يتعلق بالتأكيد بشؤون المعهد.

– هذا ما يمكن افتراضه. هل كان هناك بينه وبين السيد "**سيروكولد**" اجتماع عمل؟

– لا لم يكن هناك وقت، لقد عاد السيد "**سيروكولد**" هذا المساء قبل العشاء مباشرة.

– وعلى الرغم من ذلك أعلن السيد "**جولبراندسين**" أن لديه خطابات مهمة يجب أن يكتبها وذهب لتحقيق ذلك. ألم يقترح على السيد "**سيروكولد**" الاجتماع معه؟ ترددت الآنسة "**بيليفر**" لحظة:

– نعم. نعم لم يفعل.

– هذا غريب إلى حد ما، أليس كذلك؟ لقد تحمل مشقة انتظار عودة السيد "**سيروكولد**".

– بلى هذا أمر غريب. ولكن بدا أن هذه الغرابة لفتت انتباه الآنسة "**بيليفر**" لأول مرة.

– ألم يرافقه السيد "**سيروكولد**" إلى غرفته؟

– نعم لم يرافقه. لقد بقي السيد "**سيروكولد**" في الصالون الكبير.

– أليس لديك فكرة عن الوقت الذي قد يكون السيد "**جولبراندسين**" قتل خلاله؟

– أعتقد أنه من الممكن بما أننا قد سمعنا طلقة النار. لقد كان ذلك الساعة التاسعة و23 دقيقة مساءً.

– هل سمعتِ طلقة نار؟ ألم يثر ذلك انتباهك؟

– لقد كانت الظروف خاصة إلى حد ما. سردت "**جولييت بيليفر**" أحداث الموقف بين السيد "**سيروكولد**" و"**إيدجر لوسون**" مفصلة. قال المفتش:

– إذن لم يخطر على بال أحد أن هذا الطلق الناري قد أطلق داخل المنزل؟

– كلا. كلا بالتأكيد. لقد شعرنا جميعًا بالارتياح؛ لأن هذا العيار الناري لم يطلق هنا في هذه الحجرة. بدا عليها الحزن وهي تقول:

– عندما يشهد المرء محاولة اغتيال لا يمكن أن يتصور أن هناك عملية اغتيال قد وقعت في الوقت نفسه وفي المنزل نفسه. وافقها المفتش "**كوري**" الرأي. استطردت الآنسة "**بيليفر**":

– على أية حال أعتقد أن هذا ما دفعني للذهاب إلى حجرته، لم تكن لديَّ النية حقًّا في أن أسأله إذا كان يحتاج إلى شيء ما، ولكني اتخذت ذلك ذريعة لكي أطمئن أن كل شيء على ما يرام. دقق المفتش "**كوري**" النظر إليها لحظة.

– ما الذي دفعك للتفكير بأن هناك شيئًا ليس على ما يرام؟

– لست أدري. أعتقد أنه صوت الطلق الناري الذي سمعناه بالخارج. لحظتها لم أعر ذلك أي انتباه، ولكني فكرت بعد قليل وقلت لنفسي ربما تكون فرقعة صادرة عن سيارة السيد "**ريستاريك**".

– سيارة السيد "**ريستاريك**".

– نعم. "**أليكس ريستاريك**". لقد وصل هذا المساء بسيارته بعد أن حدث ذلك مباشرة.

– سأرى ذلك. عندما اكتشفت مقتل السيد "جولبراندسين" هل لمستِ شيئًا في حجرته؟

– بالتأكيد لا. بدت السيدة "**بيليفر**" مصدومة.

– أعرف طبعًا أنه لا يجب أن ألمس أو أنقل أي شيء. لقد أصيب السيد "**جولبراندسين**" برصاصة في رأسه لكني لم أر أي مسدس عندئذ أدركت أنها جريمة قتل.

– وهناك الآن عندما أوصلتنا إلى الغرفة هل كان كل شيء تمامًا كما كان وقت اكتشافك للجثة؟ فكرت الآنسة "**بيليفر**" وهي تغمض عينيها. فكر المفتش في أنها من هؤلاء أصحاب الذاكرة الفوتوغرافية. انتهت بأن قالت:

– لقد كان هناك اختلاف. لم تكن هناك ورقة مثبتة على الآلة الكاتبة.

– تريدين القول بأنك عندما دخلتِ أول مرة كان هناك خطاب على الآلة الكاتبة قد

شرع السيد "**جولبراندسين**" في كتابته وأن هذا الخطاب قد اختفى؟

– نعم أكاد أكون متأكدة أنني رأيت هذا الخطاب.

– أشكرك يا آنسة "**بيليفر**" من آخر من دخل الغرفة قبل وصولنا؟

– السيد "**سيروكولد**" بالتأكيد. لقد بقي فيها عندما أتيت لاستقبالكم، ثم السيدة "**سيروكولد**" والآنسة "**ماربيل**" قد ذهبتا إلى الغرفة. لقد أصرت السيدة "**سيروكولد**" على دخول الغرفة.

– السيدة "**سيروكولد**" والآنسة "**ماربيل**"... أيهما الآنسة "**ماربيل**"؟

– الآنسة العجوز ذات الشعر الأبيض. إنها زميلة دراسة قديمة للسيدة "**سيروكولد**". إنها مقيمة هنا منذ ثلاثة أو أربعة أيام.

– حسن، شكرًا جزيلاً يا آنسة "**بيليفر**". كل ما أخبرتنا به يبدو واضحًا بالقدر الكافي. سأراجع هذه الأشياء مع السيد "**سيروكولد**" الآن. ربما تكون الآنسة "**ماربيل**".. آنسة عجوز أليس كذلك؟ ربما ترغب في الذهاب إلى النوم. من القسوة إجبار سيدة عجوز مثلها على البقاء مستيقظة حتى وقت متأخر، لابد أنها كانت صدمة كبيرة بالنسبة إليها.

– هل تريدني أن أطلب منها المجيء؟

– ما لم يزعجك ذلك. خرجت الآنسة "**بيليفر**" من المكتب. تأمل المفتش "**كوري**" السقف. سأل:

– "**جولبراندسين**"؟ لماذا "**جولبراندسين**"؟ يوجد أكثر من مائتي شاب منحرف في المكان ولا يوجد سبب لكي يقوم أحدهم بقتله. وعلى الأرجح قد فعلها أحدهم. لكن لماذا "**جولبراندسين**"؟ إنه غريب زائر. قال الرقيب "**لاك**":

– ما زلنا لا نعرف كل شيء. أجاب المفتش:

– لهذه اللحظة نحن لا نعرف شيئًا على الإطلاق. نهض في أدب عند وصول الآنسة "**ماربيل**". بدت مضطربة قليلاً فأسرع ليهدئها:

– لا تقلقي يا سيدتي. قال في نفسه: "المسنات يفضلن مناداتهن بلقب "سيدة". بالنسبة إليهن ينتمي أفراد الشرطة إلى الطبقة الدنيا من المجتمع وعليهم تقديم الاحترام لمن هم أعلى مرتبة منهم في الترتيب الاجتماعي". استطرد المفتش:

– أعرف أن كل ما حدث مثير للانزعاج، لكننا مضطرون إلى كشف غموض هذه الأحداث؛ لإيضاح كل هذه القصة. أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– أوه! نعم! أعرف. الأمر صعب جدًا، أليس كذلك؟ أقصد إيضاح كل شيء،

لأنك عندما ترى عنصراً لا تستطيع أن ترى عنصراً آخر في الوقت نفسه. وغالبًا ما نميل إلى الاهتمام بالأشياء التي لا قيمة لها. المشعوذون يسمون ذلك تغيير مسار الانتباه. إنهم أقوياء جداً أليس كذلك؟ لم أفلح قط في اكتشاف كيفية قيامهم بذلك... نظر إليها المفتش "**كوري**" في دهشة، وأجاب:

– تماماً... حسن. لقد روت لي الآنسة "**بيليفر**" أحداث هذا المساء. أتصور أنها لحظات قاسية بالنسبة إليكم جميعا.

– نعم بالتأكيد. لقد كان كل شيء مأساويًا.

– في البداية كانت هذه المواجهة بين السيد "**سيروكولد**" و.... نظر المفتش إلى أوراقه:

– وهذا المدعو "**إيدجر لوسون**". قالت الآنسة "**ماربيل**":

– شاب غريب الأطوار تماماً. منذ البداية أدركت أن لديه شيئًا غريبًا.

– أنا مقتنع بذلك. وبعد أن انتهى هذا الموقف وهدأت الأمور علمتم بموت السيد "**جولبراندسين**". لقد علمت أنك ذهبت أنت والسيدة "**سيروكولد**" لرؤية... الجثة.

– نعم، لقد طلبت مني أن أذهب معها. نحن صديقتان حميمتان.

– أعرف. ذهبتما معا إذن إلى غرفة السيد "**جولبراندسين**". هل لمست واحدة منكما أي شيء؟

– أوه! كلا. أخبرنا السيد "**سيروكولد**" بألا نفعل.

– هل لاحظت مصادفة يا سيدتي أنه كان هناك خطاب أو ورقة مثبتة على الآلة الكاتبة؟ أجابت الآنسة "**ماربيل**" دون تردد:

– لا لم تكن هناك ورقة. لقد لاحظت ذلك على الفور لأن هذا يبدو مثيراً للفضول. لقد كان السيد "**جولبراندسين**" جالسًا أمام الآلة الكاتبة. فقد كان إذن يكتب عندما قُتِل. نعم لقد وجدت أن هذا أمر غريب. نظر إليها المفتش "**كوري**" نظرة ثاقبة:

– هل كانت هناك فرصة لكي تتحدثي مع السيد "**جولبراندسين**" عندما وصل؟

– قليل.

– هل تذكرين شيئًا خاصًا أو معبراً عن شيء ما؟ استغرقت الآنسة "**ماربيل**" بعض الوقت لتفكر.

– سألني عن صحة السيدة "**سيروكولد**". عن قلبها على الأخص.

– قلبها؟ هل لديها مشاكل في القلب؟

– أبداً مثلما قالوا لي. صمت المفتش "**كوري**" لحظة ثم قال:

– في أثناء المشاجرة بين السيد "**سيروكولد**" و"**إيدجر لوسون**" هل سمعت صوت طلقة رصاص؟

– لا. لست أنا. سمعي ثقيل قليلاً. لكن السيدة "**سيروكولد**" قالت إن الصوت آتٍ من الحديقة.

– مثلما علمت أن السيد "**جولبراندسين**" قد انسحب فور انتهاء العشاء؟

– نعم. قال إن لديه خطابات يريد أن يكتبها.

– ألم يظهر أي رغبة في الحديث مع السيد "**سيروكولد**"؟

– نعم. كانا قد تحدثا بالفعل.

– حقًّا؟ متى؟ أعتقد أن السيد "**سيروكولد**" لم يصل سوى قبل العشاء بقليل.

– هذا صحيح تمامًا، لكنه عبر الحديقة سيرًا على قدميه وذهب السيد "**جولبراندسين**" للقائه وتحدثا معًا في الشرفة.

– من غيرك يعرف ذلك؟

– لا أحد إلا إذا كان السيد "**سيروكولد**" قد أخبر زوجته. لقد كنت في غرفتي أراقب العصافير.

– العصافير؟

– نعم. المفتش "**كوري**" لا يهتم بالعصافير على الإطلاق.

– بالمصادفة.. ألم تسمعي عما كانا يتحدثان؟ نظرت الآنسة "**ماربيل**" إلى المفتش بعينيها الزرقاوين البريئتين.

– ليس سوى بعض الكلمات المتناثرة.

– وما هي هذه الكلمات؟ توقفت الآنسة "**ماربيل**" قليلاً قبل أن تجيب:

– لم أفهم عما يتحدثان ولكن كان همهما الأكبر هو أن تبقى السيدة "**سيروكولد**" جاهلة بأمر شيء ما: "الحفاظ عليها"... هذا هو ما قاله السيد "**جولبراندسين**". وأجابه السيد "**سيروكولد**": "أنا متفق معك يجب التفكير فيها أولاً". ولقد تحدثا أيضًا عن مسؤولية ثقيلة وأضافا أنه ربما يكون عليهما الاستعانة برأي خارجي. توقفت الآنسة "**ماربيل**" لحظة:

– أعتقد أنه من الأفضل أن تسأل السيد "**سيروكولد**" نفسه عن هذا الموضوع.

– لن يفوتنا هذا يا سيدتي. هل هناك شيء آخر غير مألوف لفت انتباهك هذا

المساء؟ فكرت الآنسة "**ماربيل**" لحظة:

– كل شيء كان غير مألوف. طرأ على ذهن الآنسة "**ماربيل**" ذكرى.

– لقد كان هناك حدث غريب، لقد منع السيد "**سيروكولد**" زوجته من تناول دوائها، وغضبت الآنسة "**بيليفر**" من ذلك. واستطردت:

– لكن هذا أمر بسيط.

– نعم واضح. شكراً يا آنسة "**ماربيل**". خرجت الآنسة "**ماربيل**" من الحجرة. قال الرقيب "**لاك**":

– إنها متقدمة في السن ولكن لديها ذهنًا واعيًا.

الفصل العاشر

دخل "**لويس سيروكولد**" بدوره إلى المكتب وتحول الجو المحيط على الفور. استدار ليغلق الباب خلفه فأوجد بذلك جواً من الخصوصية. ثم ذهب ليجلس لكن ليس في المقعد الذي أخلته الآنسة "**ماربيل**" ولكن في مقعده المعتاد خلف طاولة العمل. أجلست الآنسة "**بيليفر**" المفتش "**كوري**" في المقعد الموجود بجوار الطاولة وكأنها لاشعوريًّا أرادت أن تحتفظ بمقعد "**لويس سيروكولد**" المعتاد خاليًا.

نظر إلى الشرطيين مفكراً. كانت قسمات وجهه مشدودة ويبدو عليها التعب: وجه رجل يمر بتجربة شاقة. وقد أدهش ذلك المفتش "**كوري**" إلى حد ما.. بالتأكيد لقد كان موت "**كريستيان جولبراندسين**" صدمة بالنسبة إلى "**لويس سيروكولد**" ولكنه لم يكن بالنسبة إليه صديقًا حميماً أو قريباً، إنه قريب بعيد وبالمصاهرة.

لقد تغيرت نسبة القوى بشكل غريب. كان يبدو وكأن "**لويس سيروكولد**" لم يأت ليجيب عن استجواب الشرطة ولكن لكي يتأكد سيادة لجنة التحقيق. شعر المفتش "**كوري**" بشيء من الغيظ بسبب ذلك. بدأ قائلاً:

– حسن يا سيد "**سيروكولد**"... بدا أن "**لويس سيروكولد**" ما زال شارداً في أفكاره.. زفر قائلا:

– كم هو صعب أن تعرف ما هو أفضل شيء تستطيع القيام به. أجاب المفتش:

– أعتقد أننا "نحن" المسؤولون عن ذلك يا سيد "**سيروكولد**". فيما يتعلق بالسيد "**جولبراندسين**"، لقد فهمت أنه قد جاء على غير موعد.

– لقد جاء فجأة في الحقيقة.

– ألم تكن تعرف أنه لابد أن يحضر؟
– لم يكن لديَّ أي فكرة عن ذلك.
– وأنت لا تعرف أيضًا لماذا قد جاء؟ أجاب "**لويس سيروكولد**" في هدوء:
– أوه! بلى أعرف لماذا جاء. لقد أخبرني بسبب مجيئه.
– متى حدث ذلك؟
– عدت من المحطة سيرًا على قدميَّ. كان ينتظرني وجاء في استقبالي. في هذه اللحظة أخبرني بما أتى به.
– أتصور أنها مسائل متعلقة بمعهد "**جولبراندسين**"؟
– أوه! لا، لا علاقة لها بمعهد "**جولبراندسين**".
– إن الآنسة "**بيليفر**" تعتقد ذلك.
– شيء طبيعي أن تتوقع ذلك. ولم يقم "**جولبراندسين**" بعمل أي شيء ليصحح هذا الانطباع ولا حتى أنا.
– ولماذا يا سيد "**سيروكولد**"؟ أجاب "**لويس**" في بطء:
– لأنه بدا لنا مهمًّا ألا يعرف أحد شيئًا عن سبب مجيئه.
– وماذا كان الهدف الحقيقي من مجيئه؟ احتفظ "**لويس سيروكولد**" بالصمت لحظة ثم زفر قائلاً:
– كان "**جولبراندسين**" يأتي إلى هنا بشكل منتظم، حوالي مرتين في السنة من أجل اجتماع مجلس الإدارة. عقد آخر اجتماع منذ خمسة أشهر. كان لا يجب إذن أن يأتي قبل خمسة أشهر ونتيجة لذلك اعتقد الجميع أن المشكلة التي أحضرته كانت ذات طبيعة عاجلة. وأعتقد أنه أمر طبيعي افتراض سبب مجيئه أنها زيارة عمل وأن المشكلة مهما كانت عاجلة فهي متعلقة بالمؤسسة، ولم يحاول "**جولبراندسين**" أن ينفي هذه الفكرة أو أنه اعتقد ذلك.
– أخشى أنني لا أتابعك جيدًا. توقف "**لويس سيروكولد**" ثم قال في جدية شديدة:
– إني مدرك تمامًا أن موت "**جولبراندسين**" أو على الأحرى قتله أوجب عليَّ أن أخبرك بكل شيء. ولكني بكل صراحة قلق بشأن سعادة زوجتي وهدوء بالها. سيدي المفتش من غير المفترض أن أملي عليك سلوكًا معينًا ولكني سأدين لك بالعرفان إذا أبقيتها بعيدة عن هذه الأمور. لقد جاء "**كريستيان جولبراندسين**" إلى هنا لهدف واحد هو أن يخبرني بأنه يعتقد أن شخصًا ما يسمم زوجتي ببطء.

– ماذا؟ مال المفتش نحو "**لويس**" غير مصدق.

– نعم لقد أصابني هذا الكشف بصدمة مفزعة. لم أكن أشك قط في ذلك. ولكن بمجرد أن حدثني "**كريستيان**" أدركت أن بعض الأعراض التي كانت تشكو منها زوجتي في الأسابيع الأخيرة تتوافق مع ما أخبرني به. كل ما تشكو منه من: روماتيزم وتقلصات الساقين والآلام المختلفة... في الواقع كل ذلك يتوافق تماماً مع أعراض التسمم بالزرنيخ.

– لقد أخبرتني الآنسة "**ماربيل**" بأن "**كريستيان جولبراندسين**" سألها عن صحة قلب السيدة "**سيروكولد**".

– آه حسن؟ هذا أمر مهم. لقد ظن أنهم يستخدمون سُمًّا يؤثر في عمل القلب ويؤدي إلى وفاة لا تثير الشكوك حول سببها ولكنني أميل أكثر إلى الاعتقاد بأن السم المستخدم هو الزرنيخ.

– هل تعتقد أن شكوك "**كريستيان جولبراندسين**" لها أساس من الصحة؟

– أوه! نعم هذا ما أعتقد، ليس فقط لأن "**جولبراندسين**" لم يكن ليأتي إلى هنا لمجرد شكوك ليس واثقا بصحتها. ولكن لأنه كان رجلاً حريصاً وعنيداً صعب الإقناع ولكنه عاقل تماماً.

– هل كان لديه براهين؟

– لم يكن لدينا الوقت لنتحدث في ذلك. كان حديثنا قصيراً. شرح لي باختصار سبب مجيئه واتفق كلانا بألا نفصح بشيء لزوجتي بما أننا لسنا متأكدين بشكل مطلق.

– فيمن كان يشك في أنه يقدم لها السم؟

– لم يخبرني، ولكني الآن أفكر في الأمر وأحدث نفسي بأنه – لابد – كان يشك في شخص ما... وإلا لماذا قتل؟

– لكنه لم يخبرك باسم محدد؟

– ليس اسماً محدداً... خلصنا إلى أن هذه القصة يجب أن تخضع لبحث عميق، واقترح أن نلجأ إلى رأي الدكتور "**جالبريث**" ومساعده كاهن "**كرومر**". وهو صديق قديم لعائلة "**جولبراندسين**" وأحد المسؤولين عن إدارة المعهد. إنه رجل حكيم ومفعم بالتجارب كان سيقدم الكثير من المساعدة لزوجتي... إذا استطعنا أن نبلغه مخاوفنا. كنا ننوي أن نأخذ رأيه بشأن القرار بإبلاغ الشرطة أو لا. زفر المفتش "**كوري**":

– هذا ما يخرج عن المألوف.

– بعد العشاء تركنا "**جولبراندسين**" ليكتب خطابًا إلى "**جالبريث**". كان يكتب هذا الخطاب على الآلة الكاتبة عندما قتل.

– كيف عرفت؟ قال السيد "**سيروكولد**" في هدوء:

– لأني أخذت الخطاب من على الآلة الكاتبة. ها هو. سحب من جيب سترته الداخلي الخطاب المطوي وأعطاه للمفتش. قال الشرطي:

– لم يكن من الواجب أن تلمس أي شيء في الغرفة.

– لم ألمس أي شيء آخر. أعرف أنني في نظرك قد اقترفت خطأً كبيرًا ولكن كانت لديَّ الأسباب. كنت متأكدًا أن زوجتي سوف تصر على دخول غرفة "**جولبراندسين**" وخشيت أن تقرأ ما في هذا الخطاب. أعترف بالخطإ ولكني أعترف أيضًا بأني كنت سأفعل ذلك مهما حدث. إني أفعل أي شيء للحفاظ على سعادة زوجتي. دون أن يضيف أي كلمة أخرى أخذ المفتش يقرأ الخطاب بصوت عالٍ:

« عزيزي دكتور "**جالبريث**".

سأشعر تجاهك بالعرفان إذا جئت إلى "**ستونيجيتس**" إذا أمكنك ذلك بمجرد أن تتسلم هذا الخطاب. لقد طرأت مشكلة خطيرة وأشعر بالعجز أمامها. أعرف بمودتك العميقة تجاه العزيزة "**كاري لويز**" وباهتمامك بأي شيء قد يصيبها.

ما الذي يجب أن تعرفه؟ ماذا نستطيع أن نخفيه عنها؟ هذه هي الأسئلة التي لا أجد لها إجابة. دون أن تعتقد بأنني أبالغ لديَّ أسباب تجعلني أعتقد بأنه يتم تسميم هذه السيدة الرقيقة البريئة ببطء. لقد بدأت في الشك عندما...» وتوقف الخطاب عند هذا الحد، آخر ما كتب "**كريستيان جولبراندسين**". سأل المفتش:

– وقتل "**جولبراندسين**" عندما وصل إلى هذه الكلمات؟

– نعم.

– لكن تبًّا، لماذا بقي هذا الخطاب على الآلة الكاتبة؟

– لا أرى سوى دافعين، الأول: أن القاتل لم يكن يعرف لمن كان يكتب الضحية ولا حتى موضوع الخطاب، الثاني: أن القاتل لم يجد الوقت ليطَّلع على الخطاب. أقصد أنه ربما سمع بقدوم أحد ما وكان عليه أن يهرب قبل أن يراه.

– ولم يفصح لك "**جولبراندسين**" عن الشخص المشكوك فيه. تردد "**سيروكولد**" لحظة قبل أن يجيب:

– على الإطلاق. ثم أضاف:

– لقد كان "**كريستيان**" عادلاً.
– في رأيك كيف كان السم أيًّا كان زرنيخًا أو مادة أخرى يُقدم لزوجتك؟
– فكرت في ذلك عندما كنت أبدل ملابسي للعشاء، وتوصلت إلى أنه من المحتمل أن يُقدم إليها في شكل الدواء المقوي الذي تأخذه زوجتي؛ لأن الطعام نأكل منه جميعًا ولا يتم تجهيز طعام خاص بها. لكن أي شخص يمكنه أن يضع الزرنيخ في زجاجة صيدلية.
– يجب أن نأخذ هذا الدواء ونحلله. قال "**لويس**":
– لقد أخذت عينة قبل العشاء. أخرج من درج الطاولة زجاجة بها سائل أحمر نظر إليها المفتش "**كوري**" في فضول:
– أنت تفكر في كل شيء يا سيد "**سيروكولد**".
– أؤمن بالعمل الفوري. هذا المساء منعت زوجتي من تناول الجرعة المعتادة من هذا الدواء. هذا الدواء ما زال موجوداً في زجاجة على طاولة الصالون. زجاجة المقوي في غرفة الطعام. انحنى المفتش نحو السيد "**سيروكولد**" وسأله:
– أرجو المعذرة يا سيد "**سيروكولد**" لماذا تحرص على إبقاء زوجتك بعيدة عن كل ذلك؟ هل تخشى عليها من الإصابة بالفزع؟ أنا متأكد أنه من صميم مصلحتها أن تخبرها.
– نعم.. نعم ربما، في الواقع... لكنني أعتقد أنك لا تفهم تمامًا. إن زوجتي يا سيدي المفتش مثالية، شخص يثق بالجميع. وهي لا ترى الشر ولا تتوقعه ولا تتحدث عنه. بالنسبة إليها لن تصدق أن هناك أحداً يريد قتلها. لكن هناك ما هو أكثر من ذلك. الأمر لا يتعلق بأي شخص. إنه يتعلق بشخص قريب تمامًا لي.
– هل هذا ما تعتقده؟
– يجب مواجهة الأمور. لدينا تحت أيدينا 200 شخص فاسد وقاموا من قبل بأعمال عنف. ولكن بطبيعة الأمور لا يمكن الشك في أحدهم. الذي يدس السم يجب أن يكون شخصاً مقربًا للعائلة. ولنفكر فيمن هم في البيت: زوجها – ابنتها – حفيدتها – زوج حفيدتها – ابن زوجها السابق الذي تعتبره ابنها – الآنسة "**بيليفر**" سيدة المنزل المتفانية وصديقتها منذ عدة سنوات. الجميع مقربون لها. الجميع عزيزون لديها. وعلى الرغم من ذلك يجب أن نتحقق من شكوكنا: هل الشخص المشكوك فيه من بينهم؟ قال المفتش:
– وهناك غرباء.

– نعم.. إلى حد ما. هناك الدكتور "**مافيريك**" وعضوان أو ثلاثة من فريقنا غالبًا ما يكونون معنا، هناك أيضًا الخدم... ولكن للحق ما هو دافعهم؟

– كما أن هناك هذا المدعو "**إيدجر لوسون**".

– نعم. ولكنه لم يأتِ إلينا سوى زائرٍ، ولا أجد لديه دافعًا، بالإضافة إلى أنه مرتبط بشكل كبير بـ"**كارولين**"... مثلنا جميعًا.

– لكنه مختل. ألم يهجم عليك هذا المساء؟ نفى "**سيروكولد**" الاعتراض قائلاً:

– عمل صبياني. لم يكن لديه أي نية لعمل الشر.

– وهذان الأثران للطلق الناريِ؟ ألم يطلق عليك النار؟

– لم يرد إصابتي. كان عملاً تمثيليًّا ليس أكثر.

– عمل تمثيلي.. ربما ولكنه خطير يا سيد "**سيروكولد**".

– أنت لا تفهم، يجب أن تتحدث مع الدكتور النفساني الدكتور "**مافيريك**". "**إيدجر**" طفل غير شرعي. يعوض غياب الأب وأصله المتواضع عن طريق إقناعٍ الآخرين بأنه ابن رجل مهم. إنها ظاهرة قديمة أؤكد لك. "**إيدجر**" يتحسن كثيرًا، ولست أدري لماذا انتابته هذه الانتكاسة. لقد وصفني بأنني والده وهاجمني بهذه الطريقة المأساوية ملوحًا بالمسدس في وجهي. لم أقلق بشأن ذلك لحظة واحدة. وعندما انتهى بإطلاق النار انهار باكيًا. أخذه الدكتور "**مافيريك**" وأعطاه مهدئًا، وسيكون طبيعيًا صباح غد.

– ألا تريد تقديم بلاغٍ ضده؟

– سيكون ذلك أمرًا بالغ السوء بالنسبة إليه.

– بصراحة يا سيد "**سيروكولد**"، يبدو لي أنه يجب وضع هذا الشاب تحت الحراسة. لقد قام بعمل خطير.

– تحدث في ذلك مع الدكتور "**مافيريك**" وسوف يعطيك رأيه كمتخصص. على أية حال هذا المسكين "**إيدجر**" لم يقتل بالتأكيد "**جولبراندسين**". لقد كان هنا يهددني أنا شخصيًّا بالقتل.

– أردت أن أصل إلى ذلك يا سيد "**سيروكولد**". لقد قمنا بجولة في الخارج. أي شخص يستطيع أن يأتي من الخارج ويطلق النار على السيد "**جولبراندسين**" بما أن باب الشرفة غير مغلق، ولكن يجب أن يمتد مجال بحثنا إلى الداخل أيضًا. ويبدو لي أن علينا أن نهتم بداخل المنزل اهتمامًا خاصًّا. لم يشاهدك أحد باستثناء الآنسة العجوز... نعم الآنسة "**ماربيل**" التي كانت تقف في النافذة بالمصادفة، أنت

و "**كريستيان جولبراندسين**" تتحدثان. وإذا تحدثنا عن الدافع لقتل "**جولبراندسين**" أفترض أنه كان ثريًا.

– نعم. إن لديه أبناء وبنات وأحفاداً وجميعهم سيستفيد من موته، ولكني أعتقد أن لا أحد منهم موجود في البلد. جميعهم أشخاص مسؤولون ومحترمون.

– هل كان لديه أعداء؟

– في رأيي أن هذا ليس محتملاً. إنه ليس من النوع الذي يثير العداءات.

– هذا إذن يعود بنا إلى المنزل وإلى المقيمين فيه. مَنْ من داخل المنزل من المحتمل أن يكون قد قتله؟ أجاب "**لويس سيروكولد**" في بطء:

– من الصعب أن أقول ذلك. هناك الخدم، أفراد العائلة، والضيوف. من وجهة نظرك جميعهم مشتبه بهم. ولكني أستطيع أن أجزم بأن الجميع باستثناء الخدم كانوا في الصالون الكبير عندما خرج منه "**كريستيان**" ولم يرحل أحد عندما كنت هناك.

– لا أحد على الإطلاق؟

– أعتقد... قطّب "**لويس سيروكولد**" حاجبيه:

– آه! بلى... لقد حدث عطل في الكهرباء... وذهب "**وولتر هود**" ليصلحه.

– هذا هو الشاب الأمريكي؟

– نعم... ولا أعرف ماذا حدث بعدما دخلت أنا و"**إيدجر**" إلى حجرة المكتب.

– ألا تستطيع أن تذكر لي شيئًا أكثر تحديداً يا سيد "**سيروكولد**"؟ هز "**لويس سيروكولد**" رأسه:

– لا، أخشى أنني لا أستطيع أن أساعدك أكثر من ذلك. هذه القضية لا أستطيع أن أتصورها. زفر المفتش "**كوري**" بعمق:

– قُتل السيد "**جولبراندسين**" بمسدس آلي عيار صغير. هل تعرف ما إذا كان أحد في المنزل يمتلك هذا السلاح؟

– ليس لديَّ أدنى فكرة، لكن هذا قليل الاحتمال. زفر المفتش زفرة جديدة:

– تستطيع أن تخبر الآخرين بأنهم يستطيعون الذهاب إلى النوم. سأراهم غداً.

بعد رحيل "**لويس سيروكولد**" التفت المفتش نحو الرقيب "**لاك**" وقال:

– حسن، ما رأيك؟

– إنه يعرف أو يعتقد أنه يعرف المذنب.

– نعم. أنا متفق معك، وهذا لا يعجبه على الإطلاق.

الفصل الحادي عشر

في صباح اليوم التالي، عندما نزلت الآنسة "**ماربيل**" لتناول الإفطار قابلتها "**جينا**" بموج من الكلمات:

– لقد عاد رجال الشرطة. في هذه المرة يجلسون في المكتبة. إن "**وولي**" مبهور بهم. لا يستطيع أن يفهم كيف يحتفظون بهدوئهم. أشعر بأن كل هذه القصة تثيره كثيراً. أما أنا فأكره هذا، وأجده مفزعاً. لماذا أشعر بالاضطراب في رأيك؟ هل لأن نصفي إيطالي؟ ابتسمت الآنسة "**ماربيل**" وقالت:

– هذا محتمل، وهذا يفسر عدم شعورك بالخجل في التعبير عما تشعرين به. استطردت "**جينا**" ممسكة بذراع الآنسة "**ماربيل**" لتدخلها إلى حجرة الطعام:

– إن "**جولي**" غاضبة تماماً. في الواقع أعتقد أنها غاضبة لأن الشرطة هي التي تتولى التحقيق وهي لا تستطيع أن تقود سير الأمور كما تفعل مع الجميع. أضافت وهي تدخل حجرة الطعام حيث أنهى الشقيقان إفطارهما.

– "**أليكس**" و"**ستيفان**" لا يهتمان بالأمر تماماً. أجاب "**أليكس**":

– عزيزتي "**جينا**" أنت شريرة. أوه صباح الخير يا آنسة "**ماربيل**". لا، أنا لا أهتم بشيء باستثناء أنني أعرف بالكاد العم "**كريستيان**" وأنا لست مشتبهاً بي. أتمنى أن تضعي ذلك في الحسبان.

– لماذا؟

– حسن، يبدو أنني كنت في الطريق إلى المنزل لحظة الجريمة تقريباً. لقد تحققوا من الأمر ووجدوا أن المسافة بين بيت الحراس وهنا طويلة، وهذا يعني أنه يلزم وقت طويل لكي أقفز من السيارة وأجري وأدخل من باب الشرفة وأقتل "**كريستيان جولبراندسين**" وأعود ثانية إلى السيارة.

– وماذا كنت تفعل في الواقع؟

– أعتقد أنه أول ما يتم تعليمه للفتيات الصغيرات هو عدم طرح الأسئلة التي لا شأن لهن بها. لقد بقيت كالأحمق أراقب ضوء مصابيح سيارتي في الضباب وأدرس كيف أستخدمها للإخراج في عرض الباليه الجديد الذي أخرجه "**ليمهاوس**".

– لكن تستطيع أن تخبرهم بذلك.

– بالتأكيد. لكنك تعرفين كيف هم رجال الشرطة. سيقولون لك "شكراً كثيراً" في أدب ويكتبون كل شيء ولن تعرفي أي شيء عما يظنون حقاً. قال "**ستيفان**" في

ابتسامة شريرة:

– يسعدني أن أراك تحت أضواء المحققين. لكني أنا لا يهددني أي خطر. إني لم أغادر الصالون الكبير مساء أمس. صاحت "**جينا**":

– لكن لا يمكن أن يعتقدوا أن من ارتكب الجريمة واحد منا. قال "**أليكس**" وهو يغترف من وعاء المربى:

– لا تخبريني بأن من اقترف الجريمة أحد المارة. ظهرت الآنسة "**بيليفر**" عند عتبة الباب:

– آنسة "**ماربيل**" من فضلك بعد أن تنتهي من الإفطار توجهي إلى المكتبة. تمتمت "**جينا**" في غيظ:

– أنت ثانية. سأل "**أليكس**":

– كيفَ حدث القتل؟ قال "**ستيفان**":

– لقد كانت طلقة مسدس. قالت "**جينا**":

– لقد أطلق النار في الغرفة التي قتل فيها العم "**كريستيان**". لست أدري لماذا؟ ولقد أطلق النار بالخارج أيضا.

فُتحِ الباب مرة أخرى ودخلت "**ميلدريد ستريت**". كانت ترتدي ملابس سوداء وعقدا من الأونكس. ألقت تحية الصباح متمتمة دون أن تنظر إلى أحد واتخذت مكانها إلى الطاولة. سألت بصوت منخفض:

– القليل من الشاي يا "**جينا**" من فضلك.

مسحت أنفها وعينيها بمنديلها في رقة، ثم ألقت نظرة إلى الأخوين كأنها لا تراهما. وأخيراً شعر "**ستيفان**" و"**أليكس**" بالإحراج. خفضا صوتهما حتى تحول إلى همس ثم نهضا وخرجا. قالت "**ميلدريد ستريت**" في حدة:

– إنهما لا يضعان حتى رابطة عنق سوداء. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– يجب أن تلتمسي لهما العذر. إنهما لم يعرفا مقدماً أن حادث قتل سيحدث. انفلتت ضحكة منخفضة من بين شفتي "**جينا**" مما استدعى توجيه اللوم الصامت لها من جانب "**ميلدريد**" ثم سألتها:

– أين "**وولتر**" هذا الصباح؟ توردت وجنتا "**جينا**" وهي تقول:

– لست أدري. إني لم أره. وانكمشت في مقعدها كالطفل المذنب. نهضت الآنسة "**ماربيل**":

– سأذهب إلى المكتبة. كان "**لويس سيروكولد**" واقفًا بالقرب من نافذة المكتبة.

كان بمفرده في الحجرة. توجه إليها وأمسك يدها. قال:

– أتمنى ألا تكوني شاعرة بصدمة. التواجد عن قرب في عملية قتل تجربة صعبة على أي شخص لم يمر بها من قبل.

منع التواضع الآنسة "**ماربيل**" من أن تقول له بأنها معتادة مثل هذه المواقف. اكتفت بأن المحت إلى أن الحياة في "**سان ماري ميد**" أكثر صخباً مما هو متوقع.

– هناك أعمال شريرة كثيرة تحدث في القرية صدقني. وفي القرية لديك إمكانية أكبر لدراسة الطبيعة البشرية مما هو الحال في المدينة. سمعها "**لويس سيروكولد**" وهو شارد. أجاب ببساطة:

– إني أحتاج إلى مساعدتك.

– بالتأكيد يا سيد "**سيروكولد**".

– الأمر يتعلق بمشكلة تواجه زوجتي... "**كارولين**". أعتقد أنك كنت مرتبطة بها كثيراً.

– نعم بالتأكيد مثل الجميع.

– هذا ما كنت أعتقده. يبدو أنني كنت مخطئاً. بعد أن أخذت إذن المفتش "**كوري**" سأكشف لك عن أمر لا يعرفه سواك أو قد يعرفه شخص واحد.

باختصار روى للآنسة "**ماربيل**" الحديث الذي دار بينه وبين المفتش "**كوري**" بالأمس. بدا الفزع على وجه الآنسة "**ماربيل**":

– لا أستطيع أن أصدق ذلك يا سيد "**سيروكولد**". لا أستطيع حقًّا أن أصدق ذلك.

– كان هذا هو رد فعلي عندما أخبرني "**كريستيان جولبراندسين**" بالأمر.

– إني على يقين تام بأن عزيزتي "**كاري لويز**" ليس لها أي أعداء في العالم.

– من غير المعقول أن يكون لها أعداء هذا ما يبدو، ولكن انظري إلى ما يحدث. تعرضها للتسميم.. التسميم البطيء، وهذا يحدث في العائلة. لا يمكن أن يقوم بذلك شخص بعيد عن دائرة العائلة.

– إذا كان هذا حقيقيًّا فهل أنت متأكد أن السيد "**جولبراندسين**" غير مخطئ؟

– "**كريستيان**" لم يخطئ. لقد كان ذا طبيعة شديدة الحرص حتى لا يؤكد على أمر ما إلا إذا كان واثقاً. من ناحية أخرى أخذت الشرطة عينة من الدواء الذي تستخدمه "**كارولين**" لقد أخذت عينة منه وقمت بتحليلها. ووجدت أن به زرنيخاً بينما لم يصف لها الطبيب الزرنيخ ستأخذ التحاليل لدى الشرطة بعض الوقت، ولكن

وجود الزرنيخ أمر قاطع.

– إذن الروماتيزم... صعوبة السير وكل ذلك...

– نعم تقلصات الساقين مؤشر قاطع. كما أنها قبل مجيئك قد تعرضت لنوبتين حادتين لآلام المعدة، ولكني لم أشك في الأمر قط حتى أخبرني "**كريستيان**". توقف. همست الآنسة "**ماربيل**":

– لقد كانت "**روث**" محقة إذن.

– "**روث**"؟ لم يخفِ "**لويس سيروكولد**" دهشته. توردت الآنسة "**ماربيل**":

– هناك شيء لم أخبرك به. لم يكن مجيئي إلى هنا بريئًا تمامًا. إني لا أجيد التعبير جيداً. من فضلك كن صبوراً.

استمع "**لويس سيروكولد**" باهتمام إلى الآنسة "**ماربيل**" التي أخبرته عن قلق "**روث فان ريدوك**" بشأن أختها "**كاري**" قال:

– هذا غير معقول. أنا لم أشك قط في كل ذلك. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– إنها لم تكن واثقة بشكوكها، ولم تستطع "**روث**" أن تحدد أصل هذه الشكوك. لقد أخبرتني فقط بشعورها بأن هناك شيئًا ليس على ما يرام. تمتم "**لويس**":

– يبدو أنها كانت محقة. الآن يا آنسة "**ماربيل**" أنت تفهمين موقفي.. هل يجب أن أخبر "**كارولين**" بكل ذلك؟ اعترضت الآنسة "**ماربيل**" بشدة:

– أوه! لا. هز رأسه:

– أنت تفكرين مثلي إذن كما كان يفكر "**كريستيان جولبراندسين**". هل نحن نفكر هكَذا في شأن امرأة عادية؟

– "**كاري لويز**" ليست امرأة عادية. إن إيمانها يقودها. أوه! يا إلهي أعتقد أننا طالما لا نعرف من هو...

– نعم، هذه هي العقدة. لكن هل تجدين خطورة في عدم إخبارها...

– أنت تريدني أن أحرسها؟

– أنت الشخص الوحيد الذي أستطيع أن أثق به. هنا يبدو أن الجميع يعشقونها، لكن هل هذا صحيح؟ أما أنتِ فإن حبك لها يعود إلى سنوات. أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– وأنا لم آت إلى هنا سوى منذ بضعة أيام. ابتسم "**لويس سيروكولد**":

– تمامًا. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– لديَّ سؤال مهم. من المستفيد من موت "**كاري لويز**"؟ قال "**لويس**" في مرارة:

– المال! نعود دائمًا إلى المال.

– نعم أعتقد أننا يجب أن نعود إليه في هذه الحالة؛ لأن "**كاري لويز**" امرأة رقيقة جدًا ومليئة بالسحر ولا يمكن أن نتصور أن شخصًا ما يكرهها، أقصد أنها لم يكن لها أعداء. إذن كما تقول هذا يعود بنا إلى المال وأنا لا أحتاج إلى أن أذكرك يا سيد "**سيروكولد**" بأن الناس على استعداد لعمل أي شيء للحصول على المال.

– نعم إني متفق معك في ذلك. إن المفتش "**كوري**" مهتم بهذا الجانب. سيأتي السيد "**جيلفوي**" من "**لندن**" اليوم وسيعطينا معلومات مفصلة. إن مكتب "**جيلفوي**" مكتب مشهور. كان والد السيد "**جيلفوي**" من أوائل مديري المؤسسة وهم ممن أعدوا وصية "**كارولين**" كما أعدوا وصية "**جولبراندسين**" هذا باختصار.

– شكرًا.. إني أرى الأعمال القانونية غامضة دائمًا.

– قرر "**إيريك جولبراندسين**" بعد المنح التي أعطاها للمدرسة والمؤسسات المختلفة والأعمال الخيرية أن يعطي مبلغًا متساويًا لكل من ابنته "**ميلدريد**" وابنته بالتبني "**بيبا**" والدة "**جينا**"، وباقي ثروته تم إيداعه في مشروع ويذهب عائده إلى "**كارولين**" طوال حياتها.

– وبعد موتها؟

– بعد موتها يتم تقسيمه بالتساوي بين "**ميلدريد**" و"**بيبا**" أو بين أطفالهما إذا كان موتهما قبل "**كارولين**".

– وبقول آخر يذهب إلى "**ميلدريد**" و"**جينا**".

– نعم. إن "**كارولين**" من ناحيتها تتمتع بثروة كبيرة وليست بحجم ثروة "**جولبراندسين**" في الواقع. لقد أعطتني نصف ثروتها هبة منذ أربع سنوات، والنصف الآخر خصصت منه عشرة آلاف جنيه لـ"**جولييت بيليفر**" والباقي يقسم بالتساوي بين "**أليكس**" و"**ستيفان ريستاريك**". همست الآنسة "**ماربيل**":

– يا إلهي. هذا مؤسف جدًا.

– حقًا.

– هذا يعني أن لكل فرد في هذه العائلة دافعًا ماديًا.

– هذا مؤكد... وعلى الرغم من ذلك لا أستطيع أن أتصور أن أيًا منهم يمكنه ارتكاب جريمة قتل. "**ميلدريد**" ابنتها ولا ينقصها شيء و"**جينا**" تعشق جدتها. وهي كريمة. "**جولي بيليفر**" تحب "**كارولين**" ومتفانية في خدمتها. أما الأخوان "**ريستاريك**" فهما يحبانها كأنها والدتهما الحقيقية. إنهما ليس لديهما الكثير من

المال ولكن "**كارولين**" تمنحهما ما يريدان لتمويل مشروعاتهما خاصة مشروعات "**أليكس**" . لا أستطيع أن أتصور أن أحداً منهما يسممها ببساطة لكي يرثها بعد موتها، لا أصدق ذلك يا آنسة "**ماربيل**" .

– هناك أيضاً زوج "**جينا**" ، أليس كذلك؟ قال "**لويس**" في حدة:

– بلى هناك زوج "**جينا**" .

– أنت لا تعرف الكثير عنه. من الواضح أنه ليس راضياً على الإطلاق. زفر "**لويس سيروكولد**" :

– لم يجد مكانه هنا. ليس لديه اهتمام ولا حب لما نحاول أن نفعله هنا، ولكنه شاب ومعروف في بلاده أنه في أوج نجاحه. أجابت الآنسة "**ماربيل**" :

– وهذا المكان لا يقبل سوى المتأخرين. نظر إليها "**لويس سيروكولد**" في تشكك. شعرت الآنسة "**ماربيل**" بالإحراج وقالت متوردة:

– تعرف، أفكر أحياناً في أن الإنسان قد يبالغ في الطريق الخطإ... أظن أن الشباب الذين يتمتعون بإرث كبير والذين تلقوا تربية صحيحة في بيت سوي... لهم أصول ولهم شجاعة ويستطيعون مواجهة صعاب الحياة... هؤلاء هم من يحتاج إليهم الوطن. قطَّب "**لويس سيروكولد**" حاجبيه. ظهر الإحراج على وجه الآنسة "**ماربيل**" التي استطردت في حديثها قائلة:

– لا تعتقد أنني لا أقدر عملكما أنت و"**كاري لويز**" .. على العكس فإن ما تقومان به عمل نبيل.. ومليء بالعاطفة الإنسانية... التي يجب أن يتحلى بها كل فرد...لأن بعد كل شيء المهم هو الإنسان.. وهناك الشخص الذي يجد الفرصة ومن لا يجدها، ونتوقع المزيد من هؤلاء الذين يحصلون على الحظ لكني أعتقد أن سوء التقدير... أوه أنا لا ألح إليك يا سيد "**سيروكولد**" . في الواقع لا أجيد التعبير... لكن في هذا المجال يتصرف الإنجليز بطريقة غريبة. حتى في أثناء الحرب كانوا أكثر فخرا بهزيمتهم وتأخرهم عن انتصارهم. لا يفهم الأجانب أبداً لماذا يوحي إلينا حصار "**دانكريك**" بمثل هذا الفخر، لكننا نحن نشعر بالإحراج من النصر... ونتصرف كأنه من المزعج التمتع بالنصر، وإذا فكرت في كل شعرائنا فإنهم جميعهم لهم خصائص غريبة! توقفت الآنسة "**ماربيل**" لتلتقط أنفاسها:

– أقصد أن كل ما يحدث يبدو غريباً على "**وولتر هود** " . أجاب "**لويس سيروكولد**" :

– نعم. أفهم ذلك. ولقد تميز "**وولتر**" في أثناء الحرب. لا يمكن أن يشك أحد في

شجاعته. اعترفت الآنسة "**ماربيل**" قائلة:

– هذا ما لا يساعدنا؛ لأن الحرب شيء والحياة اليومية شيء آخر، ولارتكاب جريمة يجب التحلي ببعض الشجاعة أو بقدر معقول من الكفاية، نعم الكفاية.

– لكني لا أرى دافع "**وولتر هود**". سألت الآنسة "**ماربيل**":

– حقًا؟ إنه يكره هذا البيت، ويريد أن يرحل. يريد أن يخرج "**جينا**" من كل ذلك. وفيما يتعلق بالمال فهو الذي يبحث عنه فمن المهم بالنسبة إليه أن يكون هذا المال في حوزة "**جينا**" قبل أن... قبل أن ترتبط "**جينا**" بغيره. دهش "**لويس**" وردد:

– قبل أن ترتبط بغيره؟ بدأت الآنسة "**ماربيل**" تسأل نفسها عن عدم إدراك هؤلاء الذين يريدون تغيير الكون.

– لقد سمعتني جيداً. إن الأخوين "**ريستاريك**" يحبان "**جينا**". أجاب "**لويس**":

– لكني لا أعتقد ذلك. بالنسبة إلينا "**ستيفان**" شخص ممتاز. طريقته في الاهتمام بالآخرين وتزويدهم بالحماس جيدة. منذ شهر قدم مسرحية رائعة. الإخراج واختيار الملابس... هذا يبرهن –كما قلت لـ"**مافيريك**"– أن نقص الشعور بقيمة الذات هو ما يدفع هؤلاء الشباب إلى الجريمة. بالنسبة إلى الأطفال الغريزة المأساوية هي كل ما هو طبيعي. "**مافيريك**" يقول ذلك دائماً... توقف "**لويس**" ثم استطرد:

– أريد أن يتحدث "**مافيريك**" إلى المفتش "**كوري**" عن حالة "**إيدجر لوسون**". هذه القصة سخيفة تماماً.

– ماذا تعرف حقًا عن "**إيدجر لوسون**" يا سيد "**سيروكولد**"؟ قال "**لويس**":

– أعرف عنه كل شيء. في الواقع كل ما يجب أن أعرف: أصوله، تربيته... شعوره بالنقص في الثقة بالنفس. قاطعته الآنسة "**ماربيل**":

– هل يستطيع "**إيدجر لوسون**" أن يسمم السيدة "**سيروكولد**"؟

– أشك في ذلك. لقد أتى هنا منذ بضعة أسابيع وهو أبله في النهاية! لماذا يريد "**إيدجر**" أن يسمم زوجتي؟ ماذا سيجني من ذلك؟

– لا أعرف شيئًا ملموساً، لكن ربما يكون لديه دافع.. دافع غريب.

– تريدين أن تقولي غير متزن؟

– نعم، أعتقد. لا.. ليس تماماً.

– كانت حالة هذا الشاب المسكين تتحسن. لا أعرف لماذا حدثت له هذه الانتكاسة. أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– نعم هذا ما كنت أسأله لنفسي. إذا... صمتت؛ لأن المفتش "**كوري**" دخل الغرفة.

الفصل الثاني عشر

ذهب "**لويس سيروكولد**"، وجلس المفتش "**كوري**" وعلى وجهه ابتسامة غامضة للآنسة "**ماربيل**".

– إذن لقد طلب منكِ السيد "**سيروكولد**" أن تقومي بدور كلب الحراسة.

– حسن... أقصد نعم... أتمنى ألا تجد في ذلك سوءا.

– لا أجد في ذلك أي سوء. أعتقد أنها فكرة طيبة. لكن هل يعلم السيد "**سيروكولد**" إلى أي درجة أنت مؤهلة لهذا العمل؟

– لا أفهمك جيداً يا سيدي المفتش.

– أعتقد أنه يراكِ آنسة عجوزاً ساحرة كنتِ في المدرسة مع زوجته. هز المفتش رأسه:

– لكنك لست كذلك يا آنسة "**ماربيل**". الجريمة تخصصك. السيد "**سيروكولد**" لا يعرف سوى وجه واحد من مظاهر الجريمة: مظهر المبتدئين الواعدين... أحياناً أشعر بالسأم تجاه ذلك. من الممكن القول إنني مخطئ، أو إن أفكاري قديمة. إن أصحاب الملايين الذين ينشئون المؤسسات الخيرية لمساعدة هؤلاء الصبية المارقين يعتقدون أن هؤلاء لا ينقصهم سوى الدفعة الأولى لتحقيق النجاح. لقد رأت صبية وفتيات كل الظروف ضدهم: أسرة مفزعة، سوء حظ وكل المعوقات ولكن كانت لديهم العزيمة ليخرجوا من هذه الصعوبات. هؤلاء هم الأناس الذين أترك لهم ثروتي طواعية إذا كان لديَّ ثروة. ولكن من الواضح أنني لن تكون لي هذه الثروة أبداً. لا شيء سوى معاشي وحديقتي الصغيرة. ثم ابتسم واستطرد:

– حدثني المساعد "**بليكار**" عنك مساء أمس. أخبرني بأن لديك خبرة في الجوانب الشريرة في الطبيعة البشرية. حسن.. إني انتظر وجهة نظرك.. في هذا المرعى من هي العنز الضالة؟ هل هو الزوج؟ أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– سيعيد ذلك الترتيب لكل شيء. ارتسمت بسمة على شفتي "**كوري**":

– من تعتقدين أنه يضع السم للسيدة "**سيروكولد**" يا آنسة "**ماربيل**"؟ أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– حسن، إن البشر مهما كانوا يميلون دائماً إلى التفكير في الزوج أو العكس في الزوجة. في عملية التسميم هذه هي أول نظرية. ألا تعتقد ذلك؟

– أوافقك تماماً.

– لكن حقًّا في هذه القضية... هزت الآنسة "**ماربيل**" رأسها:

– لا، بصراحة لا.. لا أستطيع أن أتوقف جديًّا عند السيد "**سيروكولد**" لأنه يعشق زوجته. إنه حب صامت لكنه صادق. إنه يحب زوجته وأنا متأكدة أنه لا يستطيع تسميمها.

– دون الحديث عن أنه ليس لديه حافز. لقد أعطته زوجته مالاً. استطردت الآنسة "**ماربيل**":

– لكن هناك أسبابا أخرى تدعو الزوج للتخلص من زوجته، كأن تكون لديه علاقة بسيدة أخرى مثلاً... لكني لا أجد أي إشارة لذلك. لا يبدو أن السيد "**سيروكولد**" من هذا النوع الذي يقيم علاقة عاطفية خفية. أخشى أن... شاب صوت الآنسة "**ماربيل**" شيء من الأسف.

– لكننا لا نستطيع أن نستبعده تمامًا. ابتسم المفتش.

– خسارة، أليس كذلك؟ وعلى أية حال ليس هو من قتل "**جولبراندسين**" على الرغم من أنني أرى ارتباط الموضوعين. الشخص الذي يسمم السيدة "**سيروكولد**" هو الذي قتل "**جولبراندسين**" ليمنعه من إفشاء سره، هذا ما يجب أن نتعلق به الآن، أن نكتشف من استطاع أن يقتل "**جولبراندسين**" مساء أمس. هناك شك في "**وولتر هود**". إنه هو من أضاء المصباح الذي أصابه العطل وهذا ما أعطاه الفرصة لمغادرة الصالون الكبير والذهاب إلى لوحة الفيوزات. هذه اللوحة توجد في الردهة الصغيرة للمطبخ التي تؤدي إلى الردهة الكبيرة. وخلال هذا الغياب سُمعت طلقة الرصاص. هذا هو المشتبه به رقم 1 في موقف مثالي لارتكاب الجريمة.

– والمشتبه به رقم 2؟

– المشتبه به رقم 2 هو "**أليكس ريستاريك**" الذي كان بمفرده في سيارته في المنطقة بين مكان إقامة الحرس والبيت، والذي قطع وقتًا طويلاً لكي يصل إلى هنا.

– ومن آخر؟ كان الفضول يأكل الآنسة "**ماربيل**" ولكنها لم تنسَ قواعد اللياقة.

– هذا لطف شديد منك أن تخبرني بكل ذلك. أجاب المفتش:

– هذا ليس لطفًا. إني أحتاج إلى مساعدتك. لقد وضعت أصبعك على المهم عندما سألت "ومن آخر؟" لأني أحتاج إليك في هذه النقطة. مساء أمس كنتِ في الصالون الكبير وتستطيعين أن تقولي من خرج منه...

– نعم.. نعم، يجب أن أخبرك بذلك.. لكن هل أستطيع ذلك في مثل هذه الظروف...

– تقصدين أن كلكم سمعتم الصخب الذي دار في مكتب السيد "**سيروكولد**"؟ أذعنت الآنسة "**ماربيل**":

– كنا جميعا قلقين جداً. كان السيد "**لوسون**" تحت تأثير نوبة جنون حقيقية باستثناء السيدة "**سيروكولد**" التي بدت غير مبالية لكل ما يحدث. كان يصرخ ويتفوه بكلمات بشعة... كنا نسمعهما بوضوح... ومع كل ذلك ورغم أن كل المصابيح كانت مضاءة... لم يعر انتباهي شيء آخر سوى هذه المشاجرة.

– تقصدين أن خلال هذا الموقف كان أي فرد يستطيع أن يتسلل من الصالون ويعبر الردهة ويقتل السيد "**جولبراندسين**" ويعود في هدوء؟

– أعتقد أنه لا يمكن استبعاد هذه الفكرة.

– هل تستطيعين أن تذكري لي هؤلاء الذين لم يغادروا الصالون؟ توقفت الآنسة "**ماربيل**" لحظة لتفكر:

– السيدة "**سيروكولد**" بالتأكيد... لأني كنت أنظر إليها. كانت جالسة بالقرب من باب المكتب ولم تتحرك من مقعدها. وهذا ما أدهشني لأنها بقيت ساكنة.

– والآخرون؟

– خرجت الآنسة "**بيليفر**"، نعم أنا متأكدة تقريبًا... وكان ذلك بعد طلقة الرصاص. السيدة "**ستريت**"؟ لا أعرف. كانت خلفي. كانت "**جينا**" تقف بالقرب من النافذة الكبيرة. أعتقد أنها بقيت في مكانها فترة طويلة. ولكني لا أستطيع أن أجزم. كان "**ستيفان**" يجلس أمام البيان ولكنه توقف عن العزف عندما حمى وطيس المشاجرة... قال المفتش:

– دعينا لا نذهب بعيداً في تأمل اللحظة التي تم فيها إطلاق الرصاص، لقد كانت خدعة. لقد تم إطلاق الرصاص للإيحاء بوقوع الجريمة. ربما غادرت الآنسة "**بيليفر**" الغرفة على مرأى ومسمع الجميع بعد إطلاق الرصاص عن قصد. لا نستطيع أن نأخذ هذا الطلق الناري كمؤشر، الحدود التي يجب أن نأخذ بها تقع بين اللحظة التي وصل فيها "**كريستيان جولبراندسين**" إلى غرفته واللحظة التي اكتشفت فيها الآنسة "**بيليفر**" مقتله، الأشخاص الوحيدون الذين نستطيع أن نستبعدهم هم الذين لا يمتلكون الإمكانية المادية للقتل، وهم السيد "**سيروكولد**"، "**إيدجر لوسون**" اللذين كانا في المكتب والسيدة "**سيروكولد**". إنه أمر مزعج أن يُقتل السيد "**جولبراندسين**" في المساء نفسه الذي دارت فيه هذه المشاجرة بين "**سيروكولد**" والشاب "**لوسون**". همست الآنسة "**ماربيل**":

– هل تجد ذلك مزعجًا؟
– أوه فيم تفكرين؟
– لقد طرأ على ذهني أن هذه المشاجرة قد تكون مفتعلة.
– هذه هي نظريتك إذن؟
– لقد دهش الجميع للانتكاسة المفاجئة التي حدثت لـ"**إيدجر لوسون**". إنه يعاني هذه العقدة الغريبة بالنسبة إلى أبيه المجهول. لقد كان يدَّعي أنه ابن "**وينستون تشرشل**"، أو المارشال "**مونتجومري**" أو أي رجل مشهور يخطر بذهنه. ولكن هناك من أوعز إليه بفكرة أن "**لويس سيروكولد**" هو والده ويضطهده؛ لأنه الأمير الوارث لـ"**ستونيجيتس**" ونظرًا لضعف ذهنه قبل هذه الفكرة... وأخذت هذه الفكرة تغلي في رأسه، وكان عاجلاً أم آجلاً سيقوم بهذا الموقف الذي شاهدناه جميعًا! ويا له من تورية جميلة! الجميع سينتبه للموقف الخطير المتصاعد... خاصة وأن أحدهم قد زوده بمسدس.
– نعم... مسدس "**وولتر هود**".
– نعم. لقد فكرت في هذا الأمر. ولكن رغم أن "**وولتر**" لا يجيد الاتصال بالآخرين وعابسًا دائمًا لكنه ليس غبيًّا.
– أنت تستبعدين "**وولتر**" إذن؟
– أعتقد أن الجميع كانوا سيشعرون بالراحة لو كان هو. قد يبدو ذلك غير عادل ولكن لأنه غريب عن العائلة. سأل المفتش:
– وزوجته؟ هل ستشعر بالراحة هي أيضًا؟
لم تجب الآنسة "**ماربيل**". تذكرت "**جينا**" و"**ستيفان ريستاريك**" كم هما متقاربان مثلما رأتهما أول يوم. تذكرت أيضًا الطريقة التي كان ينظر بها "**أليكس ريستاريك**" إلى "**جينا**" عندما دخل الصالون الكبير مساء أمس. كيف ترى "**جينا**" كل ذلك؟ بعد ساعتين استند المفتش "**كوري**" إلى ظهر مقعده وتمدد. زفر قائلا:
– حسن لقد مشَّطنا المنطقة. تدخل الرقيب "**لاك**":
– الخدم خارج القضية. الذين يقيمون هنا كانوا جميعًا معًا في أثناء الفترة الحرجة، والآخرون كانوا قد عادوا إلى منازلهم. وافق المفتش بإشارة من رأسه. كان يشعر بإجهاد ذهني. لقد سأل تباعًا المعالجين البدنيين وأعضاء هيئة التدريس والشابين اللذين تناولا العشاء مع العائلة في مساء وقوع الجريمة، توافقت كل أقوالهم. الجميع كانوا يتميزون بمزاج جماعي لم يكن هناك روح الفرد. من الممكن إذن استبعادهم.

ترك المفتش الدكتور "**مافيريك**" للنهاية بما أنه كان المسؤول الرئيسي عن المعهد.

– سنراه الآن يا "**لاك**".

بذلك دخل الطبيب الشاب. أكد "**مافيريك**" أقوال فريقه واتفق مع ما انتهى إليه المفتش. لم يكن هناك أي خلل أو تسيب في عملية مراقبة المدرسة. لا علاقة إذن بين هؤلاء "الشباب المرضى" – كما يطلقون عليهم – وموت "**جولبراندسين**". ابتسم "**مافيريك**" وقال:

– ولكن مرضانا هم كما هم تمامًا.

كانت ابتسامة الطبيب متعالية، لو لم يكن المفتش "**كوري**" منتميًا للبشر لما شعر بالغيظ. حاول أن يتخذ نبرة مهنية تماما:

– الآن.. فيما يتعلق بتحركاتك الشخصية يا دكتور "**مافيريك**" هل تستطيع أن تقدم لي تفاصيلها؟

– بالتأكيد، لقد دونتها من أجلك مع التوقيت التقريبي.

غادر الدكتور "**مافيريك**" الصالون الكبير الساعة 9:15 بصحبة السيد "**لاسي**" والدكتور "**بومجارتن**". توجه ثلاثتهم إلى مسكن الدكتور "**بومجارتن**" حيث تناقشوا في تطور بعض العلاجات حتى جاءت الآنسة "**بيليفر**" وطلبت من الدكتور "**مافيريك**" الذهاب إلى الصالون الكبير بسرعة، كان هذا حوالي الساعة 9:30 مساء. نزل على الفور ووجد "**إيدجر لوسون**" في ذروة ثورته العصبية. تحرك المفتش في مقعده قليلاً.

– لحظة يا دكتور "**مافيريك**". في رأيك، هل نستطيع أن نؤكد أن هذا الشاب يعاني اضطرابات عقلية؟ ارتسمت على شفتيه من جديد ابتسامة غرور.

– جميعنا يعاني اضطرابات عقلية يا سيدي المفتش "**كوري**". فكر الشرطي أنه شخصيًّا لا يعاني اضطرابات عقلية ولكن قد يكون الدكتور "**مافيريك**" كذلك.

– هل هو مسؤول عن أعماله؟ هل يدرك ما يفعل؟

– تماما.

– نتيجة لهذا القول فإنه عندما أطلق الرصاص على السيد "**سيروكولد**" لم يكن الأمر سوى محاولة قتل.

– لا، لا أيها المفتش، لا توجد علاقة بذلك.

– انظر يا دكتور "**مافيريك**". إني رأيت آثار طلقات الرصاص على الحائط. لابد أنها مرت بالقرب من رأس السيد "**سيروكولد**".

– ربما. ولكن لم يكن "**لوسون**" ينوي قتله ولا حتى جرحه. إنه يحب السيد "**سيروكولد**" كثيرا.

– هذه طريقة غريبة ليعبر بها له عن حبه. ابتسم الدكتور "**مافيريك**" مرة أخرى. وجد المفتش هذه الابتسامة غير محتملة.

– كل أفعالنا ليست إرادية أيها المفتش. أحيانًا تنسى اسمًا ما أو وجهًا ما ذلك لأنك في عقلك الباطن تتمنى أن تنساه. أظهر المفتش "**كوري**" عدم اقتناعه بهذا القول. استطرد الدكتور:

– لكل اضطراب عصبي إشارة. لم يكن "**إيدجر لوسون**" يقف إلا على بعد بضع خطوات من السيد "**سيروكولد**"، كان يستطيع أن يقتله بسهولة وبدلاً من أن يقتله أخفق في التصويب. ولماذا أخفق؟ لأنه أراد ذلك. لم يكن السيد "**سيروكولد**" في خطر علي الإطلاق... وكان يعرف ذلك تمامًا. لقد قدر فعل "**إيدجر**" حق تقديره: عمل تحدٍ وثورة ضد العالم الذي حرمه من هذا الشيء المهم لكل طفل: الأمان والحب.

– أعتقد أنني يجب أن أرى هذا الشاب...

– بالتأكيد إذا أردت ذلك. أصابته نوبة الأمس بالإجهاد. أتوقع أن يكون قد تحسن اليوم وسيسعد السيد "**سيروكولد**" بذلك. رمقه المفتش بنظرة حادة ولكن كان الدكتور "**مافيريك**" جاداً أكثر من المعتاد. زفر الشرطي:

– هل تحتفظ بمادة الزرنيخ؟

– الزرنيخ؟ بدت الدهشة على الدكتور "**مافيريك**".

– يا له من سؤال مثير للدهشة! لماذا الزرنيخ؟

– أجب فقط عن سؤالي من فضلك.

– لا. لا أحتفظ بالزرنيخ في أي شكل من أشكاله.

– لكن هل عندك عقاقير؟

– نعم بالتأكيد. مهدئات، مورفين، الأدوية المعتادة.

– هل تقوم بعلاج السيدة "**سيروكولد**"؟

– لا. طبيب العائلة هو الدكتور "**جانتر**" أما أنا فإنني أهتم بالناحية النفسية.

– حسن.. شكرًا كثيرًا يا دكتور "**مافيريك**". بينما كان الدكتور "**مافيريك**" يغادر الحجرة همس "**كوري**" للرقيب "**لاك**" بأن الأطباء النفسيين يثيرون أعصابه وأضاف:

– سننتقل الآن إلى العائلة. في البداية سأرى "**وولتر هود**". أثار سلوك "**وولي**

هود" شيئًا من الشك، ولكنه بدا متعاوناً إلى حد معقول. قال "**وولي**" :

– هناك جزء من التوصيلة الكهربائية في "**ستونيجيتس**" بها عطل كبير. في "**الولايات المتحدة**" لم نكن لنقبل مثل هذا العطل. ابتسم المفتش وقال :

– أعتقد أن المتوفى "**جولبراندسين**" هو من أدخل الكهرباء عندما كانت استخداماً حديثًا.

– لقد خمنت ذلك. إن هذه التوصيلات تعود إلى زمن بعيد ولم يتم تحديثها قط. استطرد "**وولتر هود**" :

– تعرضت توصيلة الكهرباء التي تعتمد عليها إضاءة الصالون الكبير إلى عطل وذهبت إلى اللوحة لإصلاحها. وعندما انتهيت من إصلاحها عدت إلى الصالون.

– كم من الوقت تغيبت؟

– لا أستطيع أن أحدد الوقت بالضبط. لوحة المنصهرات في مكان له وضع سيئ. اضطررت إلى أن آخذ سلماً وشمعة. لنقل حوالي عشر دقائق... ربما ربع ساعة.

– هل سمعت صوت طلقة نار؟

– لا. لم أسمع شيئًا من هذا القبيل. الممر المؤدي إلى المطبخ مغلق بأبواب مزدوجة. وهناك باب مبطن بنوع من اللباد.

– فهمت. وعندما عدت إلى الصالون الكبير ماذا رأيت؟

– كان جميعهم ملتفين حول باب مكتب السيد "**سيروكولد**"، والسيدة "**ستريت**" تقول إن السيد "**سيروكولد**" قد تعرض للإصابة ولكن في الواقع لم يكن هذا صحيحاً. كان السيد "**سيروكولد**" سليماً وأخفقته طلقة الرصاص.

– هل عرفت المسدس؟

– أظن أنني عرفته جيداً.. لقد كان مسدسي.

– متى رأيته آخر مرة؟

– منذ يومين أو ثلاثة.

– أين كنت تضعه؟

– في أحد الأدراج في غرفتي.

– من كان يعرف أنه هناك؟

– في هذا البيت لا أحد يعرف من يعرف ماذا.

– ماذا تقصد بذلك يا سيد "**هود**"؟

– إن جميعهم مصابون.

– عندما عدت إلى الصالون الكبير هل كان جميعهم موجودين؟
– ماذا تقصد بجميعهم؟
– الأشخاص نفسهم الذين كانوا موجودين عندما ذهبت لإصلاح عطل الكهرباء.
– كانت هناك "**جينا**"... الآنسة العجوز ذات الشعر الأبيض... والآنسة "**بيليفر**"... لم ألاحظ ذلك بدقة... لكن هذا ما أستطيع أن أذكره.
– جاء السيد "**جولبراندسين**" أول أمس على غير المتوقع أليس كذلك؟
–بلى كما أعتقد. لم يكن معتاداً أن يحضر دون سابق إنذار هذا ما فهمته.
– هل بدا لك أن مجيئه قد تسبب في انزعاج أحد ما؟ فكر "**وولتر هود**" لحظة قبل أن يجيب في حرص:
– لا، لا أستطيع أن أقول ذلك.
– هل لديك أدنى فكرة عن سبب مجيئه؟
– كان ذلك بسبب مؤسسة "**جولبراندسين**"، أفترض ذلك. هذه المؤسسة لا يُعرف لها رأس أو ذيل.
– لكن لديكم أيضاً في "**الولايات المتحدة**" مثل هذه المؤسسات التي ليس لها رأس أو ذيل.
– هناك فرق بين إنشاء مؤسسة وإدارتها بأي شكل هذا هو ما يحدث هنا. المعالجون النفسيون موجودون في كل مكان ويعلمون هؤلاء الشباب الغوغاء كيف يصنعون السلال، ألعاب أطفال!
لم يعترض المفتش "**كوري**" على تعليقات "**وولتر هود**".. ربما كان يشاركه هذه الاعتراضات. نظر إلى "**وولتر هود**" باهتمام وسأله:
– أنت لا تعرف إذن من قد يكون قد قتل السيد "**جولبراندسين**"؟
– أحد عباقرة المدرسة الذي أراد أن يقوم بتطبيق عملي.
– لا يا سيد، "**هود**" هذا الافتراض مستبعد. على الرغم من جو الحرية الذي تعيش فيه المدرسة فإن لا أحد يستطيع أن يدخل أو يخرج منها بعد ارتكاب جريمة قتل.
– يستطيعون ذلك! ولكن إذا كنت تبحث بين الأقرباء فإني لو كنت مكانك لراهنت على "**أليكس ريستاريك**".
– ما الذي يجعلك تقول ذلك؟
– كانت لديه الإمكانية. كان في الركن بمفرده في سيارته.
– وما السبب الذي يدفعه لقتل "**جولبراندسين**؟ رفع "**وولتر هود**" كتفيه:

– أنا أجنبي. لا أعرف خصوصيات العائلة، ربما علم شيئًا ما عن "**أليكس**" وكان سيشي به عند آل "**سيروكولد**".

– وبعد؟

– كانا يستطيعان أن يمنعا عنه المصروفات، وهو يحتاج إلى المال الذي يصرفه في تبذير.

– تقصد أنه يصرف الكثير من المال على مشروعاته المسرحية.

– إنه يطلق عليها كذلك.

– تقصد أنها قد تكون مشروعات أخرى؟ رفع "**وولتر هود**" كتفيه من جديد وقال:

– لا أعرف شيئًا عن هذا.

الفصل الثالث عشر

كان "**أليكس ريستاريك**" ذلق اللسان فأخذ يتحدث:

– إني أعرف! أنا المشتبه به الأول. لقد كنت أقود سيارتي بمفردي لأصل إلى هنا، وفي الطريق جاءتني فكرة مبدعة لكني أعتقد أنك لا تستطيع أن تفهم ذلك. وكيف تستطيع؟ قاطعه المفتش في حدة:

– أستطيع. ولكن "**أليكس**" استطرد:

– هكذا يسقط الأمر على رأسي دون أن أعرف كيف. إنها فكرة وهذا كل شيء. إن العرض المسرحي "**ليمهاوس نايتس**" الشهر القادم. فجأة، مساء أمس وجدت جوًّا ساحرًا... الضوء المثالي، الضباب، ضوء مصابيح السيارة الذي يخترق الضباب بين كتلة المباني. توافق رائع: طلقات الرصاص، خطوات الأقدام المسرعة. قلت لنفسي: هذا ما أبحث عنه... ولكن ماذا أفعل لكي أحصل على هذا الأثر نفسه و... قاطعه الشرطي:

– هل سمعت طلقات الرصاص؟ أين ذلك؟

– في الضباب أيها المفتش. قام "**أليكس**" بإشارات هائمة بيديه.

– في الضباب وهذه هي روعة الحدث.

– ألم يخطر ببالك أن هناك أمرًا خطيرًا؟

– خطير؟ لماذا كنت سأفكر في ذلك؟

– هل طلقات الرصاص تبدو لك أمرًا عاديًّا؟

– آه، كنت أعرف أنك لن تفهم. اندمجت طلقات الرصاص مع السيناريو الذي كنت أتخيله. لقد كنت أحتاج إلى صوت طلقات الرصاص الخطر... الأفيون... الجنون.. لماذا أهتم إذن بالحقيقة؟ فرقعة شاحنة على الطريق أو صياد مخالف يطلق النار على أرنب؟

– كم طلقة رصاص سمعت؟ أجاب "**أليكس**" غير مبالٍ:

– لست أدري. اثنان أو ثلاثة... لا، طلقتان متقاربتان أذكر ذلك. هز المفتش رأسه:

– أعتقد أنك تحدثت عن شخص ما كان يجري. أين ذلك؟

– في الضباب أيضًا. في مكان ما بالقرب من البيت. قال المفتش بصوت منخفض:

– هذا قد يدفعنا إلى الاعتقاد بأن القاتل قادم من الخارج.

– لِمَ لا؟ وربما يكون قادمًا من داخل المنزل. أجاب المفتش في هدوء:

– يجب مواجهة كل الاحتمالات. أجاب "**أليكس**":

– نعم. أفهم. لكن يا له من عمل بلا روح أيها المفتش! كل هذه التفاصيل.. كل هذه التوقيتات التي يجب تحديدها... كل هذه الإجراءات... لِمَ كل هذا؟ هل سيعيد هذا الحياة إلى المسكين "**كريستيان جولبراندسين**"؟

– نحن نشعر بالرضا يا سيد "**ريستاريك**" عندما نقبض على المجرم.

– هذا يشبه أفلام الغرب الأمريكي.

– هل كنت تعرف السيد "**جولبراندسين**" جيدًا؟

– ليس بالقدر الكافي الذي يجعلني أرغب في قتله أيها المفتش. منذ أن عشت هنا عندما كنت مراهقًا كنت أراه من وقت لآخر. كان نادرًا ما يأتي. كان رجل صناعة... استطرد "**أليكس**":

– أقصد أنه كان نموذجًا للرجل الثري. نظر إليه المفتش "**كوري**" مفكرًا وقال:

– هل تهتم بالسموم يا سيد "**ريستاريك**"؟

– السموم؟ ولكن لم يتسمم السيد "**جولبراندسين**"، ثم أطلق عليه الرصاص، وإلا لكانت قصة بوليسية صريحة.

– لم يتم تسميمه، لكنك لم تجب عن سؤالي.

– للسم سحر ما... ليس في قسوة طلقة المسدس أو طعنة السلاح الأبيض. لكن ليس لديَّ معرفة خاصة بهذا الموضوع إذا كنت تقصد ذلك.

– هل كان في حوزتك مادة الزرنيخ ذات مرة؟

– من أجل السندويتشات؟ بعد العرض؟ هذه فكرة مثيرة. ألا تعرف "**روز جيلدون**"؟ يا إلهي، هؤلاء الممثلات اللاتي يعتقدن أن شهرتهن فاقت كل شيء! لا إني لا أفكر في الزرنيخ أبداً.

– هل تأتي كثيراً إلى هنا يا سيد "**ريستاريك**"؟

– على حسب الظروف، أحياناً. أتغيب أسابيع ولكني أحاول دائماً المجيء في عطلة نهاية الأسبوع. لقد اعتبرت "**ستونيجيتس**" دائماً بيتي الحقيقي؟

– هل شجعتك السيدة "**سيروكولد**" على ذلك؟

– لا أستطيع أن أرد لها جميل ما صنعت معي... وما أنا مدين لها به من لطف وتفهم وحب.

– ومبلغ كبير من المال على حد معرفتي. ارتسم الاشمئزاز على وجه "**أليكس ريستاريك**":

– إنها تعاملني كابنها وهي مؤمنة بعملي.

– هل حدثتك من قبل عن وصيتها؟

– بالتأكيد. لكن هل لي أن أسألك لماذا كل هذه الأسئلة أيها المفتش؟ ليس هناك مشكلة مع السيدة "**سيروكولد**". أجاب المفتش:

– ليت لا يكون هناك مشكلة معها.

– ماذا تقصد بذلك أرجوك؟

– ما لم تكن تعرف فلا يهم، وإذا كنت تعرف فاعتبر ذلك إنذاراً. وبعد رحيل "**أليكس**" قال الرقيب "**لاك**":

– إنه مراء أليس كذلك؟ نظر المفتش "**كوري**" في تشكك:

– من الصعب قول ذلك. ربما تكون لديه موهبة مبدعة أو ربما يريد أن يدعي ذلك. لا أحد يستطيع أن يعرف. لقد سمع شخصاً ما يجري أليس كذلك؟ أستطيع أن أراهن على أن ذلك من تأليفه.

– هل هذا لسبب محدد؟

– لهدف شديد التحديد. لم نصل إليه بعد ولكننا سنصل إليه.

– على أية حال يا سيدي الرئيس قد يكون أحد هؤلاء الصغار المكارين قد تسلل من المدرسة في رفق.

– هذا ما يريدنا أن نعتقده. قال "**ستيفان ريستاريك**":

– لقد كنت جالسًا إلى البِيان، كنت أعزف عندما بدأت المشاجرة بين "**لويس**" و"**إيدجر**" .

– ماذا ظننت؟

– للحق.. لم آخذ هذا مأخذ الجد. هذا المسكين قد مر بالعديد من النوبات المماثلة. إنه ليس أبله تمامًا. كل هذه الأزمات التي يثيرها ليست إلا لجذب الانتباه. للحق لقد أثار انزعاجنا وخاصة "**جينا**" .

– "**جينا**"؟ السيدة "**هود**"؟ ولماذا "**جينا**"؟

– لأنها امرأة... امرأة جميلة جدًا... ولأنها تظن أنه مجنون. إن نصفها إيطالي كما تعرف والإيطاليون لديهم جنوح إلى الوحشية. إنهم دون شفقة للعجائز أو القبيحين، إنهم يشيرون إليهم ويضحكون، وهذا ما فعلته "**جينا**" معه. كانت تسخر من "**إيدجر**" . إنه مثير للسخرية، مغرور ويفتقد الثقة بنفسه. أراد أن يجعل من نفسه عاطفيا ولكنه لم يفلح إلا في أن يبدو غبيًا. لم يكن الأمر مهمًا بالنسبة إليها.

– هل تقصد أن "**إيدجر لوسون**" مغرم بالسيدة "**هود**"؟ أضاء وجه "**ستيفان ريستاريك**" ابتسامة عريضة:

– أوه! نعم. في الواقع جميعنا مغرمون بها! إنها تفضل ذلك.

– هل هذا يعجب زوجها؟

– لا يعجبه ذلك طبعًا. إنه تعس وعابس دائمًا. لا يمكن أن يستمر ذلك، أقصد زواجهما. سينفصلا عاجلاً أو آجلاً. أنت تعرف هذه الزيجات التي تتم في الحرب.

قاطعه المفتش:

– كل هذا مثير للغاية ولكن هذا يبعدنا عن موضوعنا وهو معرفة قاتل "**كريستيان جولبراندسين**" .

– تمامًا. لكنني لا أستطيع أن أخبرك بأي شيء عن ذلك. كنت جالسًا إلى البِيان وبقيت هناك حتى جاءت "**جولي**" ومعها مجموعة من المفاتيح الصدئة القديمة وحاولت أن تجد واحدًا يفتح باب المكتب.

– بقيت جالسًا إلى البيان. هل كنت مستمرًا في العزف؟

– خلفية موسيقية لمعركة الموت؟ لا، لقد توقفت عن العزف عندما توسعت المشاجرة. لقد تشككت دائمًا في نتيجة هذه المشاجرة. إن "**لويس**" يتمتع بتأثير قوي في "**إيدجر**" ويستطيع أن يخضعه بنظرة واحدة منه.

– على الرغم من ذلك أطلق "**إيدجر لوسون**" طلقتي رصاص عليه. هز "**ستيفان**

ريستاريك" رأسه مبتسماً:

– إنها خدعة. كان يمزح. لقد اعتادت والدتي القيام بالشيء نفسه. لقد ماتت أو ربما رحلت مع شخص ما عندما كان عمري أربع سنوات، ولكني أذكر أنها كانت تلوح بمسدس في كل مرة لا يعجبها أمر ما. ذات مرة قامت بالفعل نفسه في ملهى ليلي، وأحدثت ثقوباً كثيرة في الحوائط. لقد كانت راقصة روسية.

– بالتأكيد. هل تستطيع أن تخبرني يا سيد "**ريستاريك**" من خرج من الصالون الكبير مساء أمس عندما كنت موجوداً فيه في الوقت المفترض للجريمة؟

– "**وولي**" لإصلاح عطل الكهرباء، "**جوليت بيليفر**" لتحضر المفاتيح. لا أحد آخر على حد معرفتي.

– لو خرج شخص آخر فهل كنت ستلاحظ ذلك؟ توقف الشاب برهة ليفكر:

– من المحتمل ألا ألاحظ إذا مشى هذا الشخص على أطراف أصابعه.. كان المكان مظلماً في الصالون الكبير... ثم كان هناك هذه المشاجرة التي تابعناها جميعاً باهتمام.

– هل هناك شخص ما أنت متأكد أنه قد بقي هناك طوال الوقت؟

– السيدة "**سيروكولد**" ثم "**جينا**". أنا واثق بذلك؟

– أشكرك يا سيد "**ريستاريك**". توجه "**ستيفان**" نحو الباب ثم تردد وعاد أدراجه وسأل:

– ما قصة الزرنيخ؟

– من الذي حدثك إذن عن الزرنيخ؟

– أخي.

– آه. نعم. سأل "**ستيفان**":

– هل كان هناك من يضع الزرنيخ للسيدة "**سيروكولد**"؟

– لماذا تشير إلى السيدة "**سيروكولد**"؟

– قرأت في مكان ما عن آثار التسمم بمادة الزرنيخ. إنه يسبب التهاب الأعصاب، وهذا يشبه ما تعانيه السيدة "**سيروكولد**" في الآونة الأخيرة. ثم كان هناك "**لويس**" الذي طلب منها عدم تناول الدواء أمس. هل الأمر يتعلق بتعرضها للتسميم حقًّا؟

أجاب المفتش في لهجة مهنية:

– هذا الأمر موضع التحقيق.

– هل تعلم بذلك؟

– السيد "**سيروكولد**" حريص على عدم إفزاعها.

– إفزاعها لا يعبر تمامًا عن الأمر أيها المفتش. السيدة "**سيروكولد**" لا تفزع أبدًا... لكن هل هذا هو سبب موت "**كريستيان جولبراندسين**"؟ هل اكتشف أن أحدًا ما يسممها؟ لكن كيف استطاع أن يكتشف ذلك؟ على أية حال الأمر كله يبدو لي صعب التصديق.

– الأمر يثير دهشتك تمامًا أليس كذلك يا سيد "**ريستاريك**"؟

– بلى بالتأكيد. عندما حدثني "**أليكس**" عن ذلك لم أصدق أذني.

– في رأيك من يستطيع أن يضع الزرنيخ للسيدة "**سيروكولد**"؟ في لحظة أضاءت ابتسامة عريضة قسمات وجه "**ستيفان ريستاريك**".

– ليس المذنب المعتاد. يمكنك أن تستبعد الزوج. لن يستفيد "**لويس سيروكولد**" شيئًا من ذلك، بالإضافة إلى أنه يحب زوجته. إنه لا يحتمل أن يصيبها جرح صغير في إصبعها.

– من إذن؟ هل لديك فكرة؟

– أكثر من مجرد فكرة. إنه أمر مؤكد.

– وضح قصدك من فضلك.

– إنه يقين من الناحية النفسية ليس غير ذلك. لا يوجد دليل وأعتقد أنك لن تتفق معي. وبعد أن انتهى ذهب "**ستيفان ريستاريك**" بخطوات غير مبالية بينما أخذ المفتش "**كوري**" يرسم قططًا في دفتره. لقد استخلص من كل ذلك ثلاث استنتاجات.

أ) "**ستيفان ريستاريك**" لديه فكرة طيبة عن نفسه.

ب) "**ستيفان ريستاريك**" وأخوه يشكلان جبهة متحدة.

جـ) "**ستيفان ريستاريك**" شاب جميل بينما يبدو "**وولتر هود**" في هيئة جسمانية عادية. وطرح المفتش على نفسه أيضًا سؤالين: ماذا يقصد "**ستيفان ريستاريك**" بقوله "من الناحية النفسية"؟ وهل استطاع أن يرى "**جينا**" من خلف البيان الذي كان يجلس أمامه؟ فكر المفتش في أن الإجابة هي لا.

❖❖❖❖❖

في ظلام المكتبة كانت "**جينا**" مشرقة وجميلة. ورغمًا عنه وجد المفتش "**كوري**" نفسه مبهورًا بهذه الشابة المتألقة الجالسة إلى الطاولة. قالت:

– حسن.. لاحظ المفتش أنها ترتدي قميصًا أحمر وبنطلونًا أخضر غامقًا فقال:
– أرى أنك لا تلبسين ملابس الحداد يا سيدة "**هود**"؟
– ليس لديَّ ملابس حداد لأرتديها. أعرف أن جميع السيدات يجب أن يكون في دولابهن فستان أسود ومعه عقد من اللؤلؤ، لكني أكره اللون الأسود. أعتقد أنه بشع، يجب أن يقتصر استخدامه على موظفات الاستقبال والمربيات وأناس من هذا القبيل. وعلى أية حال أنا لست قريبة "**كريستيان جولبراندسين**" لم يكن سوى ابن زوج جدتي.
– أتخيل أنكِ لا تعرفينه جيداً. هزت "**جينا**" رأسها:
– لقد جاء هنا ثلاث أو أربع مرات عندما كنت طفلة، لكني رحلت في أثناء الحرب إلى "**الولايات المتحدة**" ولم أعد لأقيم هنا إلا منذ ستة أشهر.
– هل حضرتِ إلى هنا لتقيمي بصفة نهائية أم أنها مجرد زيارة؟
– لم أفكر حقًّا في هذا الأمر.
– مساء أمس هل كنتِ في الصالون الكبير عندما ذهب السيد "**جولبراندسين**" إلى غرفته؟
– نعم.. لقد ألقى تحية المساء وخرج. سألته جدتي إذا كان يلزمه شيء وأجابها أن لا شيء ينقصه وأن "**جولي**" قد اهتمت به جيداً.
– ثم؟ بدأت "**جينا**" الحديث عن المشاجرة التي نشبت بين "**إيدجر لوسون**" و"**لويس سيروكولد**". لقد استمع المفتش إلى هذه القصة عدة مرات ولكن من فم "**جينا**" فقد اكتسبت بعداً جديداً ومذاقًا دراميًّا.
– لقد كان مسدس "**وولي**". تصور أن "**إيدجر**" قد تسلل إلى غرفته وسرقه! لم أكن أتصور قط أنه يستطيع ذلك.
– هل كنت قلقة عندما دخلا إلى حجرة المكتب وعندما سمعت "**إيدجر لوسون**" يقفل الباب بالمفتاح؟ أجابت "**جينا**" وعيناها السوداوان تلمعان:
– أوه لا. لقد كنت مفتونة. كان أمراً مهينًا للغاية. إن كل ما يفعله "**إيدجر**" مثير للسخرية. لا يمكن الاعتقاد لحظة واحدة أن ما يفعله أمر جاد.
– ولكنه أطلق الرصاص.
– نعم وجميعنا اعتقدنا أنه أصاب "**لويس**". لم يستطع المفتش أن يمنع نفسه من أن يسألها:
– هل كان هذا يسليكِ؟

– أوه لا، في هذه اللحظة كنت مرعوبة. كان الجميع مرعوبين إلا جدتي، لم تهتز.
– هذا مدهش حقًا.
– ليس صحيحًا. هذه طبيعتها. إنها ليست من هذا العالم. إنها شخص لا يقتنع أيضًا بأن هناك شرًا قد يحدث. إنها رائعة.
– خلال هذا الموقف من كان بالصالون الكبير؟
– أوه! كان جميعنا هناك باستثناء العم "**كريستيان**" بالتأكيد
– ليس جميعكم يا سيدة "**هود**". هناك أشخاص خرجوا وعادوا. سألت "**جينا**":
– حقًا؟
– زوجك مثلاً خرج ليصلح عطل الكهرباء.
– أوه "**وولي**" موهوب في إصلاح مثل هذه الأعطال.
– أعتقد أن خلال غيابه سُمع صوت طلق رصاص، وظننتم جميعًا أنه آت من الحديقة.
– لا أذكر.. آه! إذا كان هذا صحيحًا فقد حدث بعد أن عاد "**وولي**" وأضاء الصالون.
– هل غادر شخص آخر الصالون؟
– لا أعتقد. لا أتذكر.
– أين كنتِ تجلسين يا سيدة "**هود**"؟
– بالقرب من النافذة.
– بالقرب من باب المكتبة.
– نعم.
– أنت نفسك هل خرجت من الصالون؟
– خرجت؟ مع كل ما كان يحدث؟ بالتأكيد لا. بدت "**جينا**" دهشة من هذا الافتراض.
– وأين كان الآخرون يجلسون؟
– حول المدفأة أعتقد. كانت الخالة "**ميلدريد**" تعمل التريكو والخالة "**جان**" – أقصد الآنسة "**ماربيل**". لم تكن جدتي تعمل شيئًا خاصًا.
– والسيد "**ستيفان ريستاريك**"؟
– "**ستيفان**"؟ في البداية جلس إلى البِيان. لا أعرف أين ذهب بعد ذلك.
– والآنسة "**بيليفر**"؟

– كانت تتحرك كعادتها. إنها لا تجلس أبداً. كانت تبحث عن مفاتيح أو شيء من هذا القبيل. ثم سألت فجأة:

– وما هذه القصة عن الدواء المقوي الذي تتناوله جدتي؟ هل أخطأ الصيدلي في تحضيره أم ماذا؟

– ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟

– لقد اختفت الزجاجة وكادت "**جولي**" أن تجن وهي تبحث عنها، وقال "**أليكس**" إن الشرطة هي التي أخذتها. هل هذا صحيح؟ وبدلاً من أن يجيبها استطرد المفتش:

– هل كانت الآنسة "**بيليفر**" كثيرة الحركة كما تقولين؟ أجابت "**جينا**" شاردة:

– أوه "**جولي**" تتحرك بشكل دائم، إنها تعشق الحركة. أحياناً أسأل نفسي كيف تستطيع جدتي أن تحتملها.

– سؤال أخير يا سيدة "**هود**" . أليس لديك فكرة عمن يكون قد قتل "**كريستيان جولبراندسين**" ولماذا؟

– أعتقد أنه أحد المجانين الموجودين بالمدرسة. إنهم معتادون ارتكاب الجرائم مثل كسر الخزائن وسرقة المال والمجوهرات لكن ليس للتسلية. أحد المجانين الذين يطلق عليهم غير متأقلمين عقليًا قد يفعل ذلك ليضحك. ألا تصدق؟ لأني شخصيًا لا أجد سببًا لقتل العم "**كريستيان**" سوى للضحك. وأنت؟ في النهاية لا أقصد الضحك بمعنى الضحك ولكن...

– ولكنك لا تجدين دافعًا؟ أجابت "**جينا**" :

– هذه هي الكلمة التي أبحث عنها. لم يُسرق منه شيء أليس كذلك؟

– لكنك تعرفين جيداً يا سيدة "**هود**" أن أبواب المدرسة مغلقة وموصدة. لا أحد يستطيع أن يخرج دون إذن.

– لا تصدق ذلك. هؤلاء الصبية يستطيعون الخروج من أي مكان. لقد علموني عدة حيل. وبعد أن رحلت "**جينا**" صرح الرقيب "**لاك**" :

– إنها شابة جميلة حقًّا، هذه هي المرة الأولى التي أراها عن قرب. نظر إليه المفتش "**كوري**" في حدة مما دعا مساعده إلى أن يسرع قائلاً:

– يبدو أنها تجد في كل ما حدث تسلية لها. على الرغم من توقع "**ستيفان ريستاريك**" لقرب انفصالها عن زوجها إلا أنها حرصت على الإشارة إلى أن "**وولتر هود**" قد عاد إلى الصالون قبل سماع طلقة الرصاص.

– وهذا عكس ما أشار إليه الآخرون.

– تمامًا.
– لم تخبرنا بأن الآنسة "**بيليفر**" قد خرجت من الصالون لإحضار المفاتيح. أجاب المفتش مفكرًا:
– لا. لم تخبرنا بذلك.

الفصل الرابع عشر

في المكتبة، كانت "**ميلدريد ستريت**" أكثر توافقًا مع الديكور مما كانت عليه "**جينا**". حيث كانت ترتدي ملابس سوداء مع بروش من الحجر الأسود وتضع على رأسها طرحة سوداء خفيفة لتجمع شعرها الرمادي المصفف بدقة.
فكر المفتش في أنها صورة مثالية لأرملة رجل دين من الكنيسة الإنجليزية. كان هذا غريبًا لأن القليل من الناس يبدون كما هو بداخلهم.
وحتى خط شفتيها الرفيع يعبر عن الزهد الكنسي. كانت "**ميلدريد ستريت**" تجسد الصبر وربما قوة الروح المنتظرة من المسيحي، ولكنها من وجهة نظر المفتش لا تمثل الشفقة المسيحية . بالإضافة إلى أنه كان من الواضح أن السيدة "**ستريت**" كانت تشعر بالإهانة. قالت:
– كنت أتوقع أيها المفتش أن يتم إخباري بالموعد الذي ستقابلني فيه. لقد اضطررت إلى انتظارك طوال اليوم.
كانت تشعر بجرح لكرامتها واستهانة بأهميتها، فأسرع الشرطي إلى وضع البلسم على الجرح.
– إني مضطرب تمامًا يا سيدة "**ستريت**" ولكن ربما لا تعلمين بدقة كيف ننظم تحقيقنا. نحن نبدأ بالشهود الأقل أهمية لنتخلص منهم إذا جاز القول. من المهم أن نترك للنهاية هؤلاء الذين نستطيع أن نثق بهم، ونتحقق من خلال أقوالهم من صحة ما سمعناه من الجميع. يبدو أن السيدة "**ستريت**" قد اقتنعت بهذا التبرير.
– أوه! فهمت .لم أكن أعرف.
– حسن. أنت امرأة ذات خبرة يا سيدة "**ستريت**" . ثم إن هذا هو بيتك.. أنت ابنة البيت وتستطيعين أن تحدثيني عن الذين يعيشون فيه.
– أستطيع ذلك بالتأكيد.
– إذن إذا سألتك من تعتقدين أنه قتل "**كريستيان جولبراندسين**" ستقدمين لي

العون الكثير.

– لكن هل هذا سؤال حقيقي؟ أليست الإجابة واضحة؟ استند المفتش "**كوري**" إلى ظهر مقعده، وحك ذقنه بإصبعه.

– حسن! يجب أن نكون حذرين. هل تعتقدين أن الإجابة واضحة؟

– هذا بديهي. هذا الأمريكي المقيت زوج المسكينة "**جينا**". إنه الغريب الوحيد هنا. لا نعرف شيئًا عنه. إنه دون شك أحد المجرمين الأمريكيين.

– لكن هذا لا يبرر قيامه بقتل "**كريستيان جولبراندسين**". لماذا قتله؟

– لأن "**كريستيان**" اكتشف شيئًا ما بشأنه لهذا السبب عاد بسرعة إلى "**ستونيجيتس**" بعد زيارته الأخيرة.

– هل أنت واثقة بذلك يا سيدة "**ستريت**"؟

– للمرة الثانية يبدو هذا واضحًا. لقد جعلنا نظن أن مجيئه المفاجئ خاص بالمؤسسة.. لكن لم يكن هذا صحيحًا. لقد كان هنا منذ شهر فقط، ولم يحدث شيء مهم منذ هذا الوقت. إذن لقد جاء من أجل عمل خاص. في أثناء زيارته الأخيرة قُدم له "**وولتر**"، ربما تعرف إليه... ربما حصل على معلومات خاصة به من "**الولايات المتحدة**". كان أخي لديه ممثلون في كل أنحاء العالم، وربما علم شيئًا خطيرًا عنه. و"**جينا**" فتاة طائشة وهي كذلك دائمًا. كان المتوقع أن تتزوج رجلاً لا تعرف عنه شيئًا، لقد كانت تجري دائمًا خلف الرجال! ربما يكون شخصًا تبحث عنه الشرطة أو متزوجًا بالفعل. ولكن لا يمكن خداع رجل مثل أخي "**كريستيان**" بسهولة. لقد حضر إلى هنا –أنا متأكدة– لكي ينهي أمرًا ما، ليكشف "**وولتر**". ولهذا السبب كان من الطبيعي أن يقتله "**وولتر**". أخذ المفتش "**كوري**" يرسم شوارب للقطط التي رسمها في دفتره. قال:

– همم. نعم.

– ألست متفقًا معي أن هذا لابد هو ما حدث؟ قال الشرطي:

– هذا ليس مستحيلاً...

– ما الافتراض الآخر الذي من الممكن مواجهته؟ لم يكن لـ"**كريستيان**" أعداء. لا أفهم لماذا لم تقبضوا على "**وولتر**" حتى الآن.

– لكن يا سيدة "**ستريت**" يلزمنا الدلائل.

– لن تجدوا صعوبة دون شك في إيجاد الدلائل إذا تكبدتم عناء الاتصال بـ"**أمريكا**".

– أوه نعم، سنتحقق من ملف السيد "**وولتر هود**" على الفور أؤكد لك. ولكن بما أنه ليس هناك دافع واضح فإن بحثنا لا يرتكز على شيء كبير.

– لقد ذهب بعد "**كريستيان**" مباشرة مدعيًا أن هناك عطلاً في الكهرباء.

– لقد كان هذا صحيحًا.

– كان يستطيع أن يرتب هذا الأمر بسهولة.

– هذا صحيح.

– لقد أعطاه ذلك ذريعة. تبع "**كريستيان**" حتى غرفته وقتله ثم أصلح الكهرباء وعاد إلى الصالون الكبير.

– زوجته تؤكد أنه عاد إلى الصالون قبل سماع طلقة الرصاص الخارجية.

– هذا غير صحيح! "**جينا**" تقول أي شيء. هؤلاء الإيطاليون يكذبون كثيرًا، بالإضافة إلى أنها كاثوليكية.

– هل تعتقدين أن زوجته مشتركة معه في الجريمة؟ توقفت "**ميلدريد ستريت**" لحظة مترددة:

– لا... لا، لن أذهب إلى هذا الحد. بدت نادمة على أنها تستطيع أن تلقي على "**جينا**" مثل هذا الاتهام.

– لكن لابد أن يكون هذا جزءًا من دافعه... منع "**جينا**" من أن تعرف حقيقته. على أية حال فإن "**جينا**" مصدر رزق له.

– إنها امرأة رائعة الجمال أيضًا.

– بالتأكيد. لقد قلت دائمًا إنها نبتة جميلة، من نوع عادي جدًا في "**إيطاليا**" بالتأكيد. لكن إذا أردت رأيي فإن "**وولتر هود**" لا يريد سوى المال، لهذا السبب أتى إلى هنا وأقام في "**ستونيجيتس**".

– لكن تتمتع السيدة "**هود**" بثروة طيبة إذا كنت قد فهمت جيدًا.

– ليس الآن. أعطى والدي مبلغًا طيبًا لوالدة "**جينا**" وأعطى لي مثل هذا المبلغ. لكنها اضطرت إلى أن تأخذ جنسية زوجها – أعتقد أن القانون قد تغير الآن – ومع الحرب وباعتبار أنه فاشي... باختصار لم يعد لدى "**جينا**" الكثير... أمي تدللها بطريقة سيئة وخالتها الأمريكية السيدة "**فان ريدوك**" أنفقت مبالغ طائلة عليها واشترت لها كل ما تحتاج إليه في أثناء الحرب.. مهما كان الأمر من وجهة نظر "**وولتر**" فهو لا يستطيع أبدًا أن يضع يده على مبلغ جيد قبل موت أمي الذي سيسمح لـ"**جينا**" بأن ترث ثروة طائلة.

– وسيسمح لك بذلك أيضًا يا سيدة "**ستريت**". توردت وجنتا "**ميلدريد ستريت**".

– هذا بالنسبة إليَّ أيضًا كما قلت. لقد عشت أنا وزوجي حياة شديدة النظام. كان ينفق القليل إلا من أجل الكتب وتضاعفت ثروتي وهي تزيد على احتياجاتي المتواضعة. ولكن يستطيع الإنسان دائمًا أن ينفق المال لصالح الآخرين. ومنذ ذلك الوقت اعتبرت أي مبالغ تصل إليَّ وقفًا لعمل الخير. أظهر المفتش عدم فهمه لما قالت:

– أيًّا كان اعتبارك لها فإن المال سيصل إليك بشكل شخصي دون مانع.

– أوه نعم! سيكون المال ملكي الخاص.

استوقفت نبرة "**ميلدريد ستريت**" مفتش الشرطة. رفع بصره نحوها لم تنظر إليه "**ميلدريد**". لمعت عيناها وأضاءت شفتيها ابتسامة انتصار. استطرد المفتش "**كوري**" بنبرة متأملة:

– إذن في رأيك – وأنت في وضع يسمح لكِ بحسن التحكيم – أن صديقنا السيد "**وولتر هود**" ينتظر أن ترث زوجته عند موتَ السيدة "**سيروكولد**". بالمناسبة هل صحة والدتك ليست على ما يرام يا سيدة "**ستريت**"؟

– لقد كانت صحتها رقيقة دائمًا.

– لكن الأناس أصحاب الصحة الرقيقة يستطيعون أن يحيون فترة طويلة وأحيانًا أطول ممن يتمتعون بصحة حديدية.

– نعم، دون شك.

– ألم تلاحظي أن صحة والدتك قد تدهورت في الآونة الأخيرة؟

– إنها تعاني الروماتيزم. لكن هذا متوقع مع تقدم السن. أعترف بأنني لا أتعاطف كثيرًا مع هؤلاء الذين ينسجون القصص حول الآلام التي لا يمكن تجنبها.

– هل تصنع السيدة "**سيروكولد**" قصة من هذه الآلام؟ اتخذت "**ميلدريد**" بعض الوقت للتفكير:

– إنها لا تنسج الحكايات ولكنها اعتادت أن يهتم بها الآخرون، وزوج أمي يساعدها على ذلك. أما الآنسة "**بيليفر**" فهي سخيفة حقًّا. على أية حال إن للآنسة "**بيليفر**" تأثيرًا سيئًا جدًّا في هذا البيت. إنها هنا منذ سنوات وتفانيها في خدمة والدتي على الرغم مما يبدو أنه عمل طيب إلا أنه قد تحول إلى أمر سيئ حقًّا. إنها طاغية حقيقية، تتحكم في الجميع. أحيانًا أشعر بأن ذلك يثير غيظ "**لويس**". لن أندهش إذا طُلب منها ذات يوم أن ترحل. ليس لديها أدنى رقة أو ذوق، وأعتقد أنه

بالنسبة إلى رجل مثله يصبح صعبًا احتمال رؤية زوجته تتحكم فيها امرأة متسلطة. أجاب المفتش "**كوري**" :

– فهمت... فهمت. تأمل وجه "**ميلدريد ستريت**" مفكرًا. ثم استطرد:

– هناك شيء لا أفهمه جيداً يا سيدة "**ميلدريد**". ما موقع الأخوين "**ريستاريك**" في كل هذا؟

– هذا أيضًا أمر عاطفي. تزوج والدهما أمي المسكينة من أجل ثروتها. بعد عامين رحل مع مغنية يوغسلافية مشكوك في أخلاقياتها. وعطفت والدتي على ولديه، بما أنه كان من المستحيل أن يقضيا الإجازة مع امرأة صاحبة فضائح فأخذتهما أو بمعنى أصح تبنتهما. ومنذ ذلك الوقت وهما يقيمان بصفة دائمة هنا متطفلين.

– كان هناك فرصة أمام "**أليكس ريستاريك**" لقتل "**كريستيان جولبراندسين**". لقد كان بمفرده في سيارته. بين مكان إقامة الحراس وبين البيت... و"**ستيفان**"؟

– كان "**ستيفان**" معنا في الصالون الكبير. إني لا أقدر "**أليكس ريستاريك**" كثيراً. إنه يتصرف بغوغائية. إني مقتنعة بأنه يعيش حياة غير سوية ولكني لا أرى فيه قاتلاً. فضلاً على أنه ما هو السبب الذي يدفعه لكي يقتل أخي؟

– نعود دائمًا إلى هذا السؤال. ما الذي عرفه "**كريستيان جولبراندسين**" عن شخص ما مما دفع هذا الشخص إلى أن يقتله؟ أجابت السيدة "**ستريت**" :

– بالضبط! إنه بالتأكيد "**وولتر هود**".

– باستثناء إذا كان شخصًا أكثر قربًا. سألت "**ميلدريد**" في جفاف:

– ماذا تقصد أرجوك؟ قال المفتش:

– من الواضح أن السيد "**جولبراندسين**" قد اهتم كثيراً في أثناء إقامته هنا بصحة السيدة "**سيروكولد**". قطّبت "**ميلدريد ستريت**" حاجبيها:

– الرجال يهتمون دائمًا بوالدتي؛ لأنهم يتأثرون بضعفها، وأتصور أن هذا يعجبها شخصيًا أو أن "**كريستيان**" قد استمع كثيرًا لـ"**جولييت بيليفر**".

– أنت نفسك يا سيدة "**ستريت**" ألست قلقة بشأن صحة والدتك؟

– لا. أعتقد أنني امرأة عاقلة. من الواضح أن أمي لم تعد شابة. واستطرد المفتش:

– والموت ينتظرنا جميعًا لكن عندما يحين وقته. ونحن – رجال الشرطة – هنا لنمنع من يحاول تقديم موعد الموت. وضع المفتش "**كوري**" كل قوته على الإقناع في عبارته. انفعلت "**ميلدريد**" فجأة.

– آه! هذا فظيع... فظيع! لا أحد في هذا البيت يهتم بجريمة القتل التي وقعت.

ولماذا سيهتمون؟ أنا القريبة الوحيدة التي تجمعها صلة الدم بـ"**كريستيان**" . إنه ليس سوى ابن زوج أمي. وهو لا يمت بصلة قرابة لـ"**جينا**" . أما أنا فهو أخي الشقيق. صحح لها المفتش:

– إنه أخوك من الأب.

– أخي من الأب نعم. لكن على الرغم من اختلاف العمر بيننا فكلانا ينتمي إلى "**جولبراندسين**" . همس الشرطي:

– نعم... نعم أفهم. غادرت "**ميلدريد**" المكتبة وعيناها مملوءتان بالدموع. التفت المفتش "**كوري**" نحو الرقيب "**لاك**" :

– إنها أكثر من متأكدة أن "**وولتر هود**" هو القاتل... ولا تستطيع أن تتصور لحظة واحدة أن القاتل شخص آخر.

– بالتأكيد، كل الشبهات تحوم حول "**وولي**" .. الإمكانية والدافع؛ لأنه إذا أراد المال السريع فيجب أن تموت جدة زوجته. واكتشف "**كريستيان جولبراندسين**" ما يقوم به "**وولي**" من تسميم السيدة "**سيروكولد**" . توقف لحظة ثم استطرد:

– بالمناسبة.. إن "**ميلدريد ستريت**" تحب المال... ربما لا تنفقه ولكنها تحبه. لست واثقًا بمعرفة السبب... ربما تكون بخيلة أو ربما تأمل في السلطة التي يمنحها المال أو استخدام المال في أعمال الخير إذا وجدت أنها من آل "**جولبراندسين**" لذا ربما تحب الأعمال الخيرية كما كان والدها. قال الرقيب "**لاك**" وهو يحك رأسه:

– الأمر معقد أليس كذلك؟ قال المفتش:

– من الأفضل مقابلة هذا الأبله "**لوسون**" . وبعد ذلك نتجه إلى الصالون لندرس كل الأسئلة المطروحة. أعتقد أننا استمعنا هذا الصباح إلى شيئين أو ثلاث جديرين بالاهتمام.

فكر المفتش في أنه من الصعب تكوين فكرة عن شخصية ما من خلال ما يسمعه من الآخرين عن هذه الشخصية. لقد رسم العديد من الأشخاص شخصية "**لوسون**" ، مما نُقل إليه انطباعًا بأنها شخصية كوميدية.

لم يبد "**إيدجر**" مخبولاً أو خطرًا ولا متكبرًا ولا غير عادي. أعطاه انطباعًا بأنه شاب عادي محبط وضيع يبدو حديث السن ومثيرًا للشفقة. لم يهتم سوى بأن يقدم الاعتذار، قال "**إيدجر**" :

– أعرف أنني أسأت السلوك. لا أعرف ماذا أصابني... لا أعرف حقًّا أتسبب في مثل هذا الموقف.. والسبب في أن أطلق الرصاص... على السيد "**سيروكولد**" الذي

يظهر لي كل طيبة وصبر. أخذ يلوي يديه النحيفتين في عصبية، واستطرد قائلاً:
- إذا كانت هناك عقوبة لما بدر مني فأنا مستعد للذهاب معك.. إني أستحق العقوبة. أنا مذنب. قاطعه المفتش:
- لم يُقدم ضدك أي بلاغ. ليس لدينا سبب قانوني للقبض عليك. لقد قال السيد "**سيروكولد**" بأن الرصاص قد أطلق عن طريق الخطإ.
- إنه يقول ذلك لأنه رجل طيب جداً. لا يوجد على الأرض قط رجل في مثل طيبته! لقد فعل كل شيء من أجلي، وأنا أسأت رد الجميل عندما تصرفت معه بهذا الجحود.
- ما الذي دفعك للتصرف بهذه الطريقة؟ اعترف "**إيدجر**" محرجًا:
- لقد ادعيت فكرة سخيفة.
- يقال ذلك. لقد صرحت - في وجود شهود - أنك اكتشفت أن السيد "**سيروكولد**" أبوك. هل هذا صحيح؟
-نعم، هذا صحيح.
- ما الذي وضع هذه الفكرة في رأسك؟ هل أوحى لك شخص ما بهذه الفكرة؟
- حسن. من الصعب أن أشرح ذلك. نظر إليه المفتش بدقة وقال في لطف:
- حاول. نحن لا ننوي أن نصعب عليك الأمر.
- عندما كنت صبيًا مررت بوقت عصيب. كان الصبية الآخرون يسخرون مني؛ لأني لم يكن لي أب. كانوا يقولون إني ابن سفاح وهذا صحيح بالتأكيد. كانت أمي ثملة في أغلب الوقت وكانت تستقبل الرجال دون توقف. أعتقد أن أبي كان بحارا أجنبيًا. كان المنزل دائمًا في وضع مقزز والحياة تشبه الجحيم. عندئذ بدأت في التفكير ماذا لو لم يكن أبي بحارا أجنبيًا ولكن كان شخصًا مهمًا... وأخذت أروي القصص. قصص صبي صغير في البداية بأنني قد تم استبدالي عندما كنت وليدًا... وأنني وريث شرعي.. وأشياء من هذا القبيل. ثم تم تسجيلي في مدرسة جديدة وأشعت أن والدي أميرال في البحرية الملكية، وانتهى بي الأمر بأنني صدقت أنا نفسي هذه القصص، وبذلك شعرت بتحسن. توقف لحظة.
- وبعد ذلك بدأت أصطنع أفكارا أخرى. كنت أقيم في الفنادق وأروي قصصًا غبية... بأنني كنت أعمل طيارًا أو جاسوسًا. لم أكن أتوقف عن سرد الأكاذيب، لكني لم أكن أحاول قط أن أجني المال من هذا. كان ذلك فقط من أجل جذب الانتباه. لم أرد أن أكون غير شريف. السيد "**سيروكولد**" والدكتور "**مافيريك**"

يستطيعان أن يخبراك بأنهما يعرفان كل ذلك. هز المفتش "**كوري**" رأسه. لقد قرأ بالفعل السيرة الذاتية لـ"**إيدجر لوسون**" وملفه لدى الشرطة. استطرد "**إيدجر لوسون**":

– أخرجني السيد "**سيروكولد**" واصطحبني إلى هنا. قال إنه يحتاج إلى سكرتير ليساعده.. ولقد ساعدته! ساعدته حقًا، ولكن كان الآخرون يسخرون مني، يسخرون مني طوال الوقت.

– من هم الآخرون؟ هل هي السيدة "**سيروكولد**"؟

– لا، ليست السيدة "**سيروكولد**". إنها سيدة كريمة ولطيفة دائمًا معي. لكن "**جينا**" تعاملني كأنني كلب، وكذلك "**ستيفان ريستاريك**"، والسيدة "**ستريت**" تنظر إليَّ من أعلى لأني لست شريفًا، وكذلك الآنسة "**بيليفر**".. من تظن نفسها؟! إنها ليست سوى جليسة السيدة "**سيروكولد**". لاحظ المفتش انفعال "**إيدجر لوسون**".

– بقول آخر أنت ترى أنهم غير متعاطفين معك؟ أجاب "**إيدجر**":

– ذلك لأني ابن سفاح. لو كان لديَّ أب، أب حقيقي لما تصرفوا معي على هذا النحو.

– ولهذا السبب نسبت إلى نفسك مجموعة من الآباء المشهورين؟ تورد خدًا "**إيدجر**". ثم قال:

– لم أستطع أن أتوقف عن الكذب.

– لكنك انتهيت بأن ادعيت أن السيد "**سيروكولد**" والدك. لماذا؟

– لأن ذلك سيوقف الجميع نهائيا عن الإساءة إليَّ. إذا كان هو والدي فلن يستطيع أحد أن يفعل لي أي شيء.

– فهمت هدفك، لكنك اتهمته بأنه عدوك، وأنه يضطهدك. حكَّ "**إيدجر لوسون**" جبينه:

– لقد أسأت الفهم. هناك أوقات لا أفهم فيها الأمور جيداً.. أتشوش.

– هل أخذت المسدس من غرفة السيد "**هود**"؟ بدا "**إيدجر** دهشًا:

– هل فعلت ذلك؟! هل أخذته من هناك؟!

– ألا تتذكر ذلك؟

– أردت استخدامه لتهديد السيد "**سيروكولد**". أردت أن أخيفه. كان هذا عملاً طفوليًا. طرح المفتش سؤاله في صبر:

– كيف حصلت على المسدس؟
– لقد قلت أنت توًا... من غرفة "وولتر هود".
– هل تتذكر الآن؟
– اضطررت إلى أخذه من غرفته. لم أكن أستطيع أن أحصل عليه بطريقة أخرى.
– لست أدري. ربما أعطاك إياه أحد ما. بقي "**إيدجر لوسون**" صامتًا عابس الوجه.
أصر المفتش:
– هل حدث الأمر هكذا؟ أجاب "**إيدجر**":
– لا أتذكر. لقد كنت عصبيًا للغاية. عندما نزلت إلى الحديقة كنت في قمة الغضب. كنت أظن أن هناك من يتجسس عليّ من يتبعني، حتى هذه الآنسة العجوز ذات الشعر الأبيض... لم أعد أفهم الآن. أعتقد أنني كنت مجنونًا. لم أعد أتذكر أين كنت أو ماذا كنت أفعل.
– لكنك تتذكر بالتأكيد من قال لك إن السيد "**سيروكولد**" والدك. عبس "**إيدجر**" من جديد.
– لم يقل لي أحد. لقد خطرت هذه الفكرة برأسي. زفر المفتش. إن الإجابة لا ترضيه ولكنه لا يستطيع أن يتقدم في الاستجواب الآن. قال له ناصحًا:
– في المستقبل، انتبه أين تضع قدميك.
– نعم يا سيدي. نعم سأنتبه. عندما ذهب "**إيدجر**" هز المفتش رأسه في بطء.
– هذه الحالات المرضية صعب التعامل معها.
– هل تعتقد أنه مجنون يا سيدي الرئيس؟
– أقل جنونًا مما كنت أتصور. ذهن ضعيف، متعالٍ، كاذب... وعلى الرغم من ذلك لديه بساطة، وهو سهل الانقياد.
– هل تعتقد أن هناك من يوحي إليه بعمل أشياء ما؟
– أوه! نعم.. لقد كانت الآنسة "**ماربيل**" العجوز محقة. إنها شديدة الحساسية، لكنني أريد أن أعرف من هو ذلك الشخص. من الواضح أنه لن يقول. إذا عرفنا ذلك... هيا يا "**لاك**" لنذهب إلى الصالون الكبير لنحصل على صورة كاملة لما حدث.



جلس المفتش "**كوري**" على مقعد البِيان. كان الرقيب "**لاك**" جالسًا على أحد

المقاعد بالقرب من النافذة المطلة على البحيرة. قال المفتش:

– من مكاني إذا التفت نحو باب المكتب لن أستطيع أن أراك. نهض الرقيب "**لاك**" في بطء وتسلل إلى باب المكتبة. واستطرد المفتش قائلاً:

– كان كل هذا الجزء من الغرفة مظلماً. كان كل الضوء بالقرب من باب المكتب. لا يا "**لاك**" لم أرك تخرج. بمجرد أن تكون في المكتبة تخرج منها من خلال الباب المؤدي إلى الردهة... دقيقتان لتذهب وتقتل "**جولبراندسين**" وتعود إلى مقعدك بالمرور بالمكتبة. السيدات الجالسات أمام المدفأة يُدرن لك ظهورهن. السيدة "**سيروكولد**" كانت جالسة هنا على يمين المدفأة بالقرب من باب المكتب. الجميع متفقون أنها لم تتحرك وهي الوحيدة التي في مجال الرؤية المباشرة. كانت الآنسة "**ماربيل**" هنا تنظر إلى باب المكتب خلف السيدة "**سيروكولد**" والسيدة "**ستريت**" على يسار المدفأة وبالقرب من باب الردهة وهو ركن مظلم جداً. تستطيع أن تخرج وتعود. نعم هذا ممكن. قال المفتش:

– وأنا أيضاً أستطيع أن أهرب. ترك مقعده أمام البيان وسار بجانب الحائط وعبر عتبة الباب حيث توقف.

– الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يلاحظ عدم وجودي أمام البيان هي "**جينا هود**". هل تذكر ماذا قالت لنا: "في البداية كان "**ستيفان**" جالساً خلف البيان ولا أعرف أين ذهب بعد ذلك".

– هل تظن أن "**ستيفان**" هو المذنب إذن؟

– لا أعرف من هو المذنب. إنه ليس "**إيدجر لوسون**" ولا "**لويس سيروكولد**" ولا السيدة "**سيروكولد**" ولا الآنسة "**ماربيل**" ولكن بالنسبة إلى الآخرين... زفر المفتش:

– من المحتمل أن يكون الأمريكي. عطل الكهرباء كان مصادفة حقيقية، وعلى الرغم من ذلك فهذا الشاب يعجبني كثيراً. هذا لا يشكل دليلا. مفكراً تأمل المفتش نوتة موسيقية موجودة إلى جانب البيان.

– "**هيندمث**"؟ من هذا؟ إني لم أسمع بهذا المؤلف الموسيقي قط. نهض ورفع غطاء المقعد حيث وجد مجموعة من المؤلفات الموسيقية.

– أخيراً ها هي مقطوعات كلاسيكية. لابد أنها تعود إلى عهد "**جولبراندسين**" الكبير.

توقف فجأة، والأوراق الصفراء بين يديه. أسفل الأوراق وعلى افتتاحيات "**شوبان**"

كان يوجد مسدس آلي صغير. صاح الرقيب "**لاك**" في سعادة:
– إنه "**ستيفان ريستاريك**"! أحبط المفتش حماسه قائلاً:
– لا تذهب بأفكارك بعيداً. عشرة إلى واحد.. هناك من يحاول أن يقنعنا بأن "**ستيفان**" هو القاتل.

الفصل الخامس عشر

صعدت الآنسة "**ماربيل**" السلم ودقت باب غرفة السيدة "**سيروكولد**".
– هل أستطيع أن أدخل يا "**كاري لويز**"؟
– بالتأكيد يا عزيزتي "**جان**". كانت "**كاري لويز**" جالسة أمام التسريحة تصفف شعرها الفضي. استدارت وتحدثت إلى "**جان**":
– هل تريدينني من أجل الشرطة؟ سأكون جاهزة خلال دقائق.
– هل أنت بخير؟
– نعم بالتأكيد. لقد أصرت "**جولي**" على أن أتناول إفطاري في السرير. وأحضرت إليَّ "**جينا**" الصينية على أطراف أصابعها كأنني قد متُّ بالفعل! لا أعتقد أن الناس يفهمون أن مأساة مثل موت "**كريستيان**" أقل فزعًا بالنسبة إلى عجوزٍ مثلي؛ لأنه كلما تقدم الإنسان في السن عرف أن أي شيء قد يحدث، وعرف أيضًا أن في هذا العالم القليل من الأشياء يمكن أن يُعد مهمًا. زفرت الآنسة "**ماربيل**" متشككة.
– همم... نعم.
– الأمر ليس كما تعتقدين يا "**جان**"، على الرغم من أنني كنت أعتقد كذلك.
قالت الآنسة "**ماربيل**":
– لقد قتل "**كريستيان**".
– نعم... أعرف ما تقصدين. تظنين أن ذلك مهم أليس كذلك؟
– لست أنت. أجابت "**كاري لويز**" في بساطة شديدة.
– ليس بالنسبَة إلى "**كريستيان**" لكن بالنسبة إلى من قتله.
– هل لديك أدنى فكرة عمن قد قتله؟ هزت السيدة "**سيروكولد**" نافية.
– لا أستطيع حتى أن أتصور دافعًا. لابد أن هذا يتعلق بزيارته الأخيرة التي كانت منذ شهر، وإلا لما عاد بهذه السرعة إلا لسبب محدد. لقد فكرت في هذا الأمر مرارًا وتكرارًا ولكنني لم أستطع أن أتذكر شيئًا غير طبيعي.

– من كان في "**ستونيجتس**" عند زيارته الأخيرة؟

– أوه! هم الموجودون أنفسهم اليوم... نعم كان "**أليكس**" قد عاد من "**لندن**"... ثم... نعم "**روث**" كانت هنا أيضًا.

– "**روث**"؟

– نعم في إحدى زياراتها الخاطفة. رددت الآنسة "**ماربيل**":

– "**روث**". فكرت: "**كريستيان جولبراندسين**" و"**روث**"؟ لقد عادت "**روث**" من "**ستونيجيتس**" قلقة ومليئة بالمخاوف لكن دون أن تعرف لماذا. كل ما استطاعت أن تقوله: "إن هناك شيئا ليس على ما يرام. إذن اكتشف "**كريستيان جولبراندسين**" أو شك في الشيء الذي لم تستطع "**روث**" أن تعرفه. لقد علم أو شك في أن أحداً يحاول تسميم "**كاري لويز**". كيف وصل "**كريستيان جولبراندسين**" إلى هذه الشكوك؟ ماذا رأى أو سمع؟ هل الأمر يتعلق بشيء رأته أو سمعته "**روث**" أيضًا ولكنها لم تعرف معناه الحقيقي؟ أرادت الآنسة "**ماربيل**" أن تعرف ما هذا الأمر. أهداها حدسها إلى أن هذا الشيء يتعلق بـ"**إيدجر لوسون**" فهذا محتمل، كما أن "**روث**" لم تذكر هذا الشاب. زفرت. سألت "**كاري لويز**":

– أنتم تخفون عني شيئًا ما، أليس كذلك؟ فزعت الآنسة "**ماربيل**" عند سماع هذه العبارة.

– لماذا تقولين ذلك؟

– لأن هذه هي الحقيقة. ليس هذا هو الحال بالنسبة إلى "**جولي**". لكن الآخرين حتى "**لويس**" حالهم مختلف. لقد مر "**لويس**" قبل أن أتناول إفطاري وتصرف بشكل غريب للغاية. تناول بعض القهوة وأكل شطيرة مربى، وهذا شيء غريب لأنه يتناول الشاي ولا يحب المربى.

– لقد كان شارداً إذن... أتصور أنه قد نسي تناول إفطاره. أحيانًا ينسى الوجبات ويبدو قلقًا ومنشغلاً. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– إنها جريمة قتل...

– أوه أعرف. هذا مفزع. لم أرَ شيئًا مماثلاً. أما أنتِ يا "**جان**" فقد مررت بمثل هذه الأشياء، أليس كذلك؟ أذعنت الآنسة "**ماربيل**":

– همم... بلى هذا صحيح.

– لقد أخبرتني "**روث**" بذلك.

– هل حدثتك في ذلك عندما كانت هنا آخر مرة؟

– لا، لست أظن. لم أعد أعرف متى... بقيت "**كاري لويز**" شاردة.

– فيم تفكرين يا "**كاري لويز**"؟ ابتسمت السيدة "**سيروكولد**" وبدا كأنها قد عادت من بعيد.

– كنت أفكر في "**جينا**" وفيما قلته لي بشأن "**ستيفان ريستاريك**. إن "**جينا**" ملاك وهي تحب "**وولي**" حقًّا. نعم أنا مقتنعة بذلك. بقيت الآنسة "**ماربيل**" صامتة. استطردت السيدة "**سيروكولد**" كأنها تلقي مرافعة دفاع:

– الشابات مثل "**جينا**" يحببن أن يسمعن كلمات الإعجاب. إنهن شابات ويسعدهن ممارسة قدرتهن على الإغراء. هذا أمر طبيعي. أعرف أن "**وولي هود**" لا ينتمي إلى نوع الرجال الذين كان يمكن أن تتزوج بأحدهم. لم يكن طريقاهما ليتقابلا، لكنها قابلته ووقعت في حبه... وهي كبيرة بالقدر الكافي لكي تعرف مصلحتها. همست الآنسة "**ماربيل**":

– من المفترض ذلك.

– لكن من المهم تمامًا أن تكون "**جينا**" سعيدة. نظرت الآنسة "**ماربيل**" إلى صديقتها ولكن دون دهشة:

– أعتقد أنه من المهم أن يكون الجميع سعداء.

– أوه! نعم. لكن "**جينا**" حالة خاصة جدًّا. عندما تبنينا والدتها.. عندما تبنينا "**بيبا**" قدرنا أنها تجربة يجب أن تنجح. هل رأيت والدة "**بيبا**"؟ توقفت "**كاري لويز**". سألت الآنسة "**ماربيل**":

– من هي والدة "**بيّبا**"؟

– لقد اتفقت أنا و"**إيريك**" ألا نخبر مخلوقًا. "**بيبا**" نفسها لم ترها.

– أريد أن أعرف. نظرت السيدة "**سيروكولد**" إلى الآنسة "**ماربيل**" نظرة متشككة:

– إنه ليس مجرد فضول من جانبي... أحتاج فعلاً... أحتاج إلى أن أعرف. أستطيع أن أمسك لساني. قالت "**كاري لويز**" بابتسامة:

– لقد استطعت دائمًا أن تخفظي السر يا "**جان**". الدكتور "**جلبريث**" كاهن "**كرومر**" الحالي. الدكتور "**جلبريث**" يعرف هذا السر. لكن لا أحد آخر. والدة "**بيبا**" هي "**كاثرين إيلسورث**".

– "**إيلسورث**"؟ أليست هي هذه المرأة التي سممت زوجها بالزرنيخ؟ إنها قضية مشهورة.

– نعم.
– هل شنقت؟
– نعم. ولكن لم يتم إثبات إدانتها حقًّا. كان الزوج يتناول الزرنيخ. في هذا الوقت لم تكن الأمور معروفة.
– كانت تستخلص السم من الأوراق القاتلة للذباب.
– فكرنا دائمًا في أن شهادة الخادمة لم تكن صادقة.
– كانت "**بيبا**" ابنتها؟
– نعم. لقد أردت أنا و"**إيريك**" أن نقدم لها بداية جديدة في الحياة... الحب والاهتمام وكل ما يحتاج إليه طفل. ولقد نجحنا. لقد كانت "**بيبا**"... كما كانت أكثر المخلوقات جمالاً وسعادة. بقيت الآنسة "**ماربيل**" صامتة برهة طويلة، ونهضت "**كاري لويز**".
– أنا مستعدة. من فضلك أخبري المفتش أو أيًّا ما يكون بأن يأتي إلى حجرتي. أنا متأكدة أنه لن يمانع.

❖❖❖❖❖

لم ير المفتش "**كوري**" مانعًا من الذهاب إلى حجرة السيدة "**سيروكولد**". في الواقع لقد فضَّل أن يواجهها في معقلها. في انتظارها كان ينظر في فضول حوله. إن ما يراه لا يتفق مع ما يتصوره بالنسبة إلى حجرة امرأة ثرية.

كان هناك أريكة قديمة ومقاعد كبيرة تبدو غير مريحة وظهرها من الخشب المشغول. طلاء الحوائط قد بهت لونه، لقد كانت أصغر حجرة في البيت وعلى الرغم من ذلك فقد أضفت الصور والطاولات الصغيرة جوًّا من الخصوصية المريحة على الحجرة. مال المفتش نحو صورة فوتوغرافية تمثل طفلتين: واحدة لها شعر أسود وعينان حيويتان والأخرى دميمة تنظر إلى العالم بعينين كئيبتين. لقد رأى هذه النظرة هذا الصباح. كُتب أسفل الصورة "**بيبا**" و"**ميلدريد**". على الحائط صورة كبيرة معلقة لـ"**إيريك جولبراندسين**" لها إطار من خشب الأبنوس المزين بخيوط الذهب. ثم وقع بصر المفتش "**كوري**" على صورة رجل جميل وله عينان ضاحكتان.. إنه دون شك "**جون ريستاريك**"، عندئذ دخلت السيدة "**سيروكولد**".

كانت تلبس ملابس الحداد. بدا وجهها الوردي أصغر حجمًا تحت شعرها الفضي. انبعث منها رقة وضعف تأثر بهما الشرطي. أدرك في الحال جزءًا كبيرًا مما جعله حائرًا

طوال اليوم .أدرك لماذا يحاول كل واحد أن يوفر للسيدة "**سيروكولد**" كل ما يستطيع أن يوفره حتى لا تعاني .

وعلى الرغم من ذلك فهي لا تبدو من ذلك النوع الذي يميل إلى المبالغة . حياها ودعاها للجلوس وجلست على مقعد بالقرب منه . بدأ التحقيق وأجابت عن أسئلة المفتش دون تردد وطواعية : عطل الكهرباء، المشاجرة بين زوجها و"**إيدجر لوسون**" ، طلقة الرصاص التي سمعوها . . .

– ألم يبدُ لكِ أن صوت الرصاص قادم من داخل البيت؟

– لا . لقد ظننتَ أنه قادم من الخارج . اعتقدت أن إطار سيارة قد انفجر .

– خلال المشاجرة التي جرت بين زوجك و"**إيدجر لوسون**" هل شاهدت أحداً ما يغادر الصالون الكبير؟

– خرج "**وولي**" لإصلاح عطل الكهرباء، ثم خرجت الآنسة "**بيليفر**" بعد قليل . . . لكي تحضر شيئاً ما ولكني لا أذكره .

– من آخر شخص غادر الصالون؟

– لا أحد على حد معرفتي .

– لكن هل تستطيعين أن تكوني متأكدة يا سيدة "**سيروكولد**" ؟ فكرت لحظة .

– لا ، ربما . .

– ألم يكن كل تركيزك فيما يدور بالمكتب؟

– بلى .

– هل كنتِ تخشين مما يحدث؟

– لا . لا أقصد ذلك . كنت أعتقد أن لا شيء خطير قد يحدث .

– ولكن كان مع "**إيدجر لوسون**" مسدس .

– نعم .

– وكان يهدد به زوجك؟

– نعم ولكنه لم يكن تهديداً جاداً . شعر المفتش بالغيظ لهذا التأكيد . إنها تفكر مثل الآخرين .

– قد لا تكونين واثقة بذلك يا سيدة "**سيروكولد**" .

– بلى أنا واثقة بذلك . هذه قناعتي . ماذا يطلق الشباب على ذلك؟ إنه سيرك . هكذا ظننت . "**إيدجر**" ما زال صغيراً . فقد كان يمثل ويحاول أن يثبت أنه شخص جريء ومحبط . كان يرى نفسه كالبطل الجزوع في روايات العصور الوسطى . كنت

مقتنعة بأنه لن يستخدم المسدس أبداً.

– لكنه استخدمه يا سيدة "**سيروكولد**". ابتسمت:

– أنا مقتنعة بأنها ليست سوى حادثة. شعر المفتش بالغيظ مرة أخرى.

– لم يكن حادثاً! لقد أطلق "**لوسون**" النار مرتين على زوجك وأخفقته الطلقتان بالكاد. بدت الدهشة على وجه "**كاري لويز**".

– حقًّا، لا أستطيع أن أصدق ذلك. أسرعت لتتجنب اعتراضات الشرطي.

– أصدق بالطبع بما أنك تخبرني بذلك، ولكني أعتقد أن هناك تفسيراً بسيطًا لذلك. يستطيع الدكتور "**مافيريك**" أن يعطيني هذا التفسير. تمتم المفتش:

– أوه! نعم سيعطيك الدكتور "**مافيريك**" تفسيراً. يستطيع الدكتور "**مافيريك**" أن يفسر كل شيء أنا واثق بذلك. قالت:

– أعرف أن كثيرا مما نفعله هنا يبدو لك غريباً ويفتقد الصواب، وأعرف أيضًا أن الأطباء النفسيين قد يظهرون أحياناً بأنهم مثيرون للغيظ، ولكننا نحصل على نتائج. نحن نمحو الفشل ولكن لدينا نجاحات أيضاً، وما نحاول أن نحققه يستحق العناء. ربما لا تصدقني ولكن "**إيدجر**" متفان في العمل مع زوجي. إنه لم يختلق قصة أن "**لويس**" والده إلا لأنه يتمنى أن يكون له أب مثل "**لويس**". ولكن ما لا أستطيع أن أفهمه هو لماذا أصبح عنيفاً فجأة. كان قد تحسن... لقد كان طبيعيًّا فضلاً على ذلك أنني أعتبره دائماً كأنه إنسان طبيعي. اختار المفتش ألا يناقش هذه النقطة.

– المسدس الذي كان مع "**إيدجر لوسون**" ملك لزوج حفيدتك. محتمل أن يكون قد حصل عليه من غرفة "**وولتر هود**". ولكن أخبريني الآن هل سبق لكِ أن رأيت هذا السلاح من قبل؟

كان الشرطي يحمل في راحة يده المسدس الأسود الصغير. نظرت إليه "**كاري لويز**" باهتمام.

– لا، لا أعتقد.

– لقد رأيته في مقعد البيان. إنه مستخدم حديثًا، لم يسعفنا الوقت لعمل كل التحقيقات لكنني شبه متأكد أنه المسدس المستخدم في قتل السيد "**جولبراندسين**". قطَّبت حاجبيها.

– وهل وجدته في مقعد البيان؟

– تحت أوراق المؤلفات الموسيقية القديمة. أوراق لم يخرجها أحد منذ سنوات.

– كان مخبأ إذن؟

– نعم. هل تتذكرين من كان جالسًا أمام البيان مساء أمس؟

– "**ستيفان ريستاريك**".

– هل كان يعزف؟

– نعم. قطعة موسيقية حزينة جدًّا.

– متى توقف عن العزف يا سيدة "**سيروكولد**"؟

– متى توقف؟ لست أذكر بالضبط.

– لكن هل توقف عن العزف؟ ألم يعزف في أثناء المشاجرة؟

– نعم. وكأن الموسيقى قد تبخرت.

– هل ترك البيان؟

– لست أدري. ليس لديَّ أي فكرة عما كان يفعل حتى جاء إلى باب المكتب ليجرب المفاتيح.

– هل تجدين دافعًا لكي يقتل "**ستيفان ريستاريك**" السيد "**جولبراندسين**"؟

– ليس هناك أدنى دافع. وأضافت مفكرة:

– لا أعتقد أنه قتله.

– ربما اكتشف "**جولبراندسين**" شيئًا ما يسيء إليه.

– لا يبدو لي هذا صحيحًا.

ومرة أخرى شعر المفتش "**كوري**" بالغيظ لهذا الدفاع عن "**ستيفان**".

*****

نزلت "**كاري لويز**" السلم الكبير. جاء ثلاثة أشخاص في استقبالها. "**جينا**" قادمة من الردهة الرئيسية، والآنسة "**ماربيل**" من المكتبة و"**جوليت بيليفر**" من الصالون الكبير. صاحت "**جينا**":

– جدتي العزيزة. هل أنت بخير؟ هل ضايقك هذا التحقيق؟

– لا بالتأكيد يا "**جينا**". لقد كان المفتش "**كوري**" لطيفًا جدًّا. قالت الآنسة "**بيليفر**":

– هذا أقل ما يمكن أن يفعل. تفضلي يا "**كاري**" هذه خطابات لكِ وهذا طرد. سأطلعك عليها. قالت "**كاري لويز**":

– أحضريها إلى المكتبة.

دخلت إلى المكتبة يتبعها الأشخاص الثلاثة. جلست "**كاري لويز**" وبدأت تفتح

الأظرف. كان هناك عشرون أو ثلاثون ظرفًا وتعطيها للآنسة "**بيليفر**" لتصفها، التي قالت وهي تتفقدها وتشرح للآنسة "**ماربيل**":

– هناك ثلاثة أنواع. هذا النوع... المرسلة من عائلات أو أصدقاء أولاد المدرسة أعطيها للدكتور "**مافيريك**". خطابات من يطلبون المساعدة آخذها أنا. باقي الخطابات شخصية، "**كارا**" تعطيني التعليمات لأرد عليها.

وعندما انتهت السيدة "**سيروكولد**" من الخطابات اهتمت بالطرد الذي قطعت رابطته بالمقص وأزاحت عنه اللفافة الأنيقة لتخرج علبة شوكولاتة رائعة مغلفة بشريط ذهبي. قالت مبتسمة:

– هناك من يعتقد أن اليوم عيد ميلادي. شدت الشريط وفتحت العلبة فاكتشفت بطاقة تعارف قرأتها في دهشة. قالت:

– "من طرف "**أليكس**" مع تحياتي ومودتي. من الغريب أن يرسل إليَّ علبة شوكولاتة بالبريد في اليوم نفسه الذي يتواجد فيه هنا.. .انتاب الآنسة "**ماربيل**" شعور بالقلق، وقالت:

– انتظري قليلاً يا "**كاري لويز**". لا تأكلي منها على الفور. لم تخفِ السيدة "**سيروكولد**" دهشتها.

– لكني سأقدم لكِ منها.

– لا تفعلي. انتظري حتى نتحقق... "**جينا**" هل "**أليكس**" في البيت؟

– لقد كان في الصالون منذ لحظات على ما أعتقد. خرجت "**جينا**" ونادت "**أليكس**". ظهر "**أليكس**" عند عتبة الباب، وقال:

– عزيزتي لقد استيقظتِ. هل أنتِ على ما يرام؟ تقدم نحوها وقبلها في حنان. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– تريد "**كاري لويز**" أن تشكرك على الشوكولاتة. بدت الدهشة الشديدة على وجه "**أليكس**".

– أي شوكولاتة؟ قالت "**كاري لويز**":

– هذه الشوكولاتة.

– لكني لم أرسل إليكِ أي شوكولاتة يا عزيزتي... قالت الآنسة "**بيليفر**":

– إن عليها بطاقة التعارف الخاصة بك. مال "**أليكس**" لينظر إليها:

– في الواقع... هذا مثير للدهشة... لست أنا من أرسل هذه الشوكولاتة على أية حال. صاحت الآنسة "**بيليفر**". قالت "**جينا**":

– تبدو لذيذة بشكل غير طبيعي. انظري يا جدتي، إنها من النوع الذي تحبينه. أخذت الآنسة "**ماربيل**" العلبة في بطء ولكن في حزم. ودون أن تنبس بكلمة ذهبت لتبحث عن "**لويس سيروكولد**". استغرقت بعض الوقت حتى وجدته لأنه كان قد ذهب إلى المدرسة. وجدته في مكتب الدكتور "**مافيريك**". وضعت العلبة أمامه. استمع "**لويس**" إلى الآنسة "**ماربيل**" في صمت وهي تحكي له ملخص ما حدث. شيئًا فشيئًا بدا الانزعاج على وجهه. قال الدكتور "**مافيريك**":

– أعتقد أن هذه الشكوكولاتة ليست طبيعية، يجب أن يتم تحليلها. زفرت الآنسة "**ماربيل**":

– هذا شيء لا يصدق! كان من الممكن أن يسمم البيت كله. أذعن "**لويس**" شاحبًا.

– نعم. هذه وحشية... وعدم مبالاة بالإضافة إلى أنها النوع الذي تحبه "**كارولين**". هذا شخص يعرف إذن ذوقها. استطردت الآنسة "**ماربيل**" في هدوء:

– إذا كان كما نشك يوجد سم في هذه الشوكولاتة فيجب إذن إخبار "**كاري لويز**" لتحذيرها. قال "**لويس سيروكولد**":

– قطعًا يجب أن تعرف أن هناك شخصًا يحاول أن يقتلها، لكني متأكد أنها لن تستطيع أن تصدق.

الفصل السادس عشر

– يا آنستي... هل لديكم حقًا شخص يريد تسميم من في المنزل؟

فزعت "**جينا**" عندما سمعت هذا الصوت الأجش الذي يناديها فرفعت شعرها من على جبينها بيدها. كان هناك طلاء على خدها وعلى بنطلونها. لقد كانت تعمل في جد مع مساعديها الذين اختارتهم لتنتهي من خلفية المسرحية التي ستقدمها "النيل عند الغروب".

كان ذلك الصوت لأحد معاونيها: "**إيرني جريج**" ذلك الذي علمها كيف تفتح الأقفال. أظهر "**إيرني**" موهبة أيضًا في إنشاء الديكور وتحمسًا كبيرًا للمسرح. لمعت عيناه بفرحة واضحة عندما علم أن هناك جريمة يتم إعدادها. غمز بعينه.

– ولكن يا سيدتي هذا الشخص ليس منًا. لا أحد من هؤلاء الصبية يستطيع مجرد أن يشير بأصبعه نحو السيدة "**سيروكولد**". حتى "**جينكس**" لا يجرؤ على إيذائها.

لو كانت العجوز الأخرى كنت سأشعر بسعادة لو استطعت أن أسممها.

– لا تتحدث هكذا عن الآنسة "**بيليفر**".

– عفواً يا آنستي. هذه فلتة لسان. ما هو نوع السم يا آنستي هل هو ستريكنين؟ هذا السم يجعل الإنسان يتلوى كالدودة من شدة الألم أم هو حمض بروسي؟

– "**إيرني**". لا أعرف عمَّ تتحدث. غمز "**إيرني**" من جديد وقال:

– يقولون إن السيد "**أليكس**" هو الفاعل. وضع السم في شوكولاتة جاء بها من "**لندن**". لكن هذا ليس صحيحاً أليس كذلك؟ السيد "**أليكس**" لا يقوم بمثل هذا العمل القذر. قالت "**جينا**":

– بالتأكيد لا.

– إني أعتقد أنه السيد "**بومجارتن**". قالت "**جينا**":

– ارفع هذه العصا من هناك. أذعن "**إيرني**" وهو يدمدم:

– ما هي تلك الحياة التي نعيشها هنا! بالأمس يُقتل العجوز "**جولبراندسين**" واليوم نكتشف شخصاً يضع السم! هل تعتقدين أن الفاعل هو الشخص نفسه؟ ماذا تقولين يا آنستي، لو اخبرتك بالفاعل؟

– أنت لا تعرف شيئًا عن ذلك.

– وإذا قلت لكِ إنني كنت بالخارج مساء أمس وإني رأيت أشياء؟

– كيف استطعت أن تخرج؟ أبواب المدرسة تغلق بعد الساعة السابعة.

– أوه! نعم إني أخرج وقتما شئت. لا يوجد قفل يقف في طريقي. أخرج لأقوم بجولة صغيرة عندما أرغب في ذلك.

– "**إيرني**" أرجوك توقف عن الكلام في هذه القصص.

– من الذي يروي القصص؟

– أنت تروي لي القصص وتتفاخر بأشياء لا تفعلها.

– ماذا تعتقدين يا آنستي؟ انتظري حتى تدعوني الشرطة وتسألني ماذا رأيت مساء أمس.

– حسن.. ماذا رأيت؟

– أنت تودين إذن أن تعرفي؟ في اللحظة نفسها اقترب "**ستيفان**" منهما. تحدث مع "**جينا**" في بعض المسائل الفنية ثم غادرا المبنى ليتوجها نحو المنزل. قالت "**جينا**":

– من الظاهر أن جميعهم يعرف بأمر شوكولاتة جدتي. كيف عرفوا؟

– لديهم مصادرهم.

– يعرفون بأمر بطاقة "**أليكس**". في النهاية يا "**ستيفان**"، هذا أمر في شدة الغباء: أن توضع بطاقة التعارف الخاصة بـ"**أليكس**" في حين أنه قد وصل إلى هنا بالفعل.

– نعم. ولكن من كان يعرف أنه آت؟ لقد اتخذ قرار المجيء في آخر لحظة، ولقد أرسل تلغرافًا. وكانت علبة الشوكولاتة قد تم إرسالها بالفعل إلى مكتب البريد. ولو لم يكن قد أتى ربما كانت فكرة وضع البطاقة الخاصة جيدة جدًا، وذلك لأنه أحيانًا يرسل الشوكولاتة إلى "**كاري لويز**". ما لا أستطيع أن أفهمه هو لماذا.. قاطعته "**جينا**":

– لماذا يريد أحدهم تسميم جدتي؟ لا أعرف! إنها امرأة رائعة... والجميع يعشقها. بقي "**ستيفان**" صامتًا، وحملقت إليه "**جينا**" في حدة:

– أعرف ما تفكر فيه يا "**ستيف**".

– لست واثقًا بما أفكر فيه.

– أنت تفكر في "**وولي**"... في أن "**وولي**" لا يحب جدتي... ولكنه لا يستطيع أن يؤذيها أبدًا. إنها فكرة مضحكة.

– آه.. الإخلاص بين الأزواج!

– لا تسخر مني أرجوك.

– أنا لا أسخر منك. أعرف أنك مخلصة له، وأنا معجب بذلك. ولكن يا "**جينا**" يا عزيزتي، لا يمكن أن يستمر هذا الزواج.

– ماذا تقصد يا "**ستيف**"؟

– أنت تعرفين جيدًا ماذا أقصد. "**وولي**" وأنت لستما من نفس العالم. زواجكما ليس من الأمور التي يمكنها أن تستمر، وهو أيضًا يعرف ذلك. انفصالكما ليس سوى مسألة وقت، وسيكون كلاكما سعيدًا إذا انفصلتما. أجابت "**جينا**":

– لا تكن أحمق. انفجر "**ستيفان**" في الضحك.

– هيا لا تحاولي أن تقنعيني بأن كليكما مناسب للآخر، وبأن "**وولي**" سعيد هنا. صاحت "**جينا**":

– لا أعرف ماذا هنالك. إنه عابس دائمًا. بمجرد أن يفتح فاه لا أعرف ماذا أفعل معه. لماذا لا يشعر بالسعادة هنا؟ نحن نقضي وقتًا سعيدًا.. كل شيء مسلٍ.. إنه لم يعد الرجل نفسه الذي تزوجته لماذا يتغير الناس هكذا؟

– هل تغيرت أنا؟

– لا يا "**ستيف**" يا عزيزي. أنت دائمًا "**ستيف**" الذي عرفت. هل تتذكر لقد

كنت أتبعك دائمًا في الإجازات.

– كنت أظن دائمًا أنك متمردة.

– أيها الأحمق... لقد روى "**إيرني**" بعض القصص. إنه يدعي أنه كان يتنزه في الضباب مساء أمس، وأن لديه معلومات عن القاتل. هل تعتقد أن هذا صحيح؟

– صحيح؟ بالتأكيد ليس صحيحًا. أنتِ تعرفين أنه يؤلف قصصًا دائمًا؛ لكي يبدو مهمًّا.

– أعرف، ولكني أسأل نفسي... تابعت "**جينا**" و"**ستيفان**" طريقهما في صمت.

❖❖❖❖❖

كانت شمس الغروب تضيء الواجهة الغربية للمنزل تحت عيني المفتش "**كوري**". سأل:

– في هذا المكان تقريبًا كانت سيارتك تقف ؟ رجع "**أليكس ريستاريك**" قليلاً وفكر:

– نعم تقريبًا. من الصعب أن أقول لك أين بالضبط بسبب الضباب. ولكن نعم لقد كانت هنا تقريبًا. نظر المفتش حوله ليقدر المسافات.

في هذا المكان يتسع الممر على انعطاف بين الأشجار يظهر منه الجناح الشرقي من المنزل والشرفة والدرجات المؤدية إلى الحشائش، واستمر الطريق من منعطف إلى آخر يدور حول الأشجار ويتعرج حول البحيرة قبل أن ينتهي عند الفناء الرئيسي. نادى المفتش:

– "**دودجيت**".

انطلق الشرطي "**دودجيت**" الذي كان مستعدًّا بمجرد أن سمع النداء. عبر الحشائش في اتجاه المنزل ووصل إلى الشرفة ودخل من الباب الجانبي. بعد لحظات تحركت ستائر إحدى النوافذ بشدة. ثم عاد الشرطي "**دودجيت**" للظهور عند باب الحديقة وجاء يجري لاهثًا ليعود إلى المفتش و"**أليكس**". قال المفتش وهو يوقف الميقاتي:

– دقيقتان واثنتان وأربعون ثانية. وأضاف:

– هذه الأشياء لا تأخذ وقتًا طويلاً أليس كذلك؟ أجاب "**أليكس**":

– أنا لا أجري بسرعة شرطيك. أعتقد أنك تحسب تحركاتي المفترضة.

– أنا لا ألقي أي اتهام... حتى الآن على الأقل يا سيد "**ريستاريك**". نظر "**أليكس**" إلى الشرطي "**دودجيت**" الذي كان يتنفس بصعوبة وقال:

– أنا أجري بسرعة مثلك ولكني أعتقد أنني في كامل لياقتي. قال الشرطي:

– هذا الإجهاد بسبب النزلة الشعبية التي أصبت بها هذا الشتاء. التفت "**أليكس**" إلى المفتش وقال في سخرية:

– لا حتى لو كنت تريد أن تعرف رد فعلي، فإننا – نحن الفنانين –... آه نحن حساسون كزهرة البنفسج! هل تتصور أنني أنا القاتل؟ هل تفترض أنني قد أرسلت علبة الشوكولاتة المسممة للسيدة "**سيروكولد**".. حتى لو فعلت لما وضعت البطاقة الخاصة بي فيها.

– هذا ما يريدوننا أن نعتقده يا سيد "**ريستاريك**".

– أوه فهمت. بالمناسبة هل الشوكولاتة مسممة حقًّا؟

– نعم الست شوكولاتات التي بأعلى العلبة. إنها تحتوي على الأكونيتين.

– هذا ليس نوع السم الذي أفضله أيها المفتش. إني أميل إلى الكوداد.

– الكوداد يعمل يا سيد "**ريستاريك**" من خلال الجهاز الدوري وليس عن طريق المعدة. أجاب "**أليكس**":

– إن الشرطة تعرف كل شيء... هذا رائع.. لاحظ المفتش هيئة الرجل الشاب وقسمات وجهه الدقيقة ولمعة السخرية التي ترقص في عينيه. كان من المستحيل معرفة ما يفكر فيه "**أليكس**" بسهولة. لخص المفتش "**كوري**" شخصية "**أليكس ريستاريك**" بأنه نصاب ماكر. أكثر ذكاء من أخيه. إذا كانت الأم روسية فإن صفة روسي تستدعي في ظن البريطانيين صفة ألماني. وفي نظر المفتش "**كوري**" فإن كل شيء يتعلق بـ"**روسيا**" من قريب أو من بعيد يكون سيئًا، وإذا كان "**أليكس ريستاريك**" هو قاتل "**جولبراندسين**" فإن المفتش سيشعر بالرضا. ولكن للأسف فإن المفتش "**كوري**" ليس مقتنعًا بأنه مذنب. وبعد أن التقط الشرطي "**دودجيت**" أنفاسه قال:

– لقد حركت الستائر كما طلبت مني سيدي الرئيس وعددت حتى ثلاثين.. لاحظت أن هناك جزءًا مقطوعًا من الستائر. هذا يعني أن هناك فراغًا، ويتخلل الضوء من خلال هذا الفراغ. سأل المفتش موجهًا سؤاله إلى "**أليكس**":

– هل رأيت النور من خلال هذه النافذة مساء أمس؟

– لم أر حتى المنزل بسبب الضباب. لقد أخبرتك بذلك.

– أحيانًا ينقشع الضباب لحظة هنا أو هناك.

– لم ينقشع قط حتى أستطيع أن أرى المنزل أقصد المبنى الرئيسي. ولكن المبنى الرياضي وهو الأقرب من هنا. لقد كان الجو موحيًا جدًّا بالنسبة إلى العرض المسرحي

الذي أعده.

– نعم لقد أخبرتني بذلك.

– عادة ما أنظر إلى الأشياء من وجهة نظر الإخراج المسرحي وليس من زاوية الحقيقة.

– أدرك ذلك.. وعلى الرغم من ذلك فإن الديكور شيء حقيقي أم ماذا؟

– لا أفهمك جيدًا أيها المفتش.

– الديكور يتكون من مواد ملموسة – قماش وأخشاب ولوحات وألوان وكارتون. التخيل يوجد في نظرة المشاهد وليس على المسرح. المسرح نفسه حقيقي كما قلت لك. فهو حقيقي أيضًا أمام الديكور وكذلك في الكواليس. نظر "**أليكس**" إلى المفتش:

– لكن سيدي المفتش هذه ملحوظة مهمة، وهي توحي إليَّ بالأفكار.

– بالنسبة إلى عرض باليه جديد؟

– لا. ليس إلى عرض باليه جديد... يا إلهي، إني أسأل نفسي كيف كنا جميعًا أغبياء؟



عاد المفتش و"**دودجيت**" إلى المنزل مخترقين الحدائق (فكر "**أليكس**" في أن الشرطيين يبحثان عن آثار أقدام، ولكنه كان مخطئًا. لقد قام الشرطيان بهذا العمل في الصباح الباكر دون جدوى؛ لأن السماء أمطرت بغزارة خلال الليل نحو الساعة الثانية). سلك "**أليكس**" الممر غارقًا في أفكاره، ولكنه أفاق من تأملاته عندما لمح "**جينا**" التي كانت تمشي بطول البحيرة. كان المنزل مبنيًّا على ربوة، وتمتد الأرض في انحدار خفيف حتى شاطئ البحيرة الذي تكسوه مجموعة كثيفة من الحشائش والزهور. اخترق "**أليكس**" الممر جريًا واقترب من السيدة الشابة. أغمض "**أليكس**" عينيه:

– إذا استطعنا أن نتصور أن هذه البحيرة هي بحيرة البجع وأنتِ يا "**جينا**" تأخذين دور الأميرة.. لا، من الأفضل أن تأخذي دور ملكة الثلج. قاسيةَ صارمة ومصممة على الوصول إلى أهدافك، ليس بكِ شفقة أو عطف. عزيزتي "**جينا**" أنتِ مفعمة بالأنوثة.

– إنك سيئ النية يا عزيزي "**أليكس**"!

– لأني أرفض أن أجاريكِ في لعبتك؟ أنتِ فرحة بنفسك جدًّا يا "**جينا**". أنت

تجرِّينا جميعًا من أنوفنا. "**ستيفان**"، أنا، وزوجك.

– أنت تقول حماقات.

– أوه! لا على الإطلاق، "**ستيفان**" يحبك وأنا أحبك! وزوجك غارق في البؤس. ماذا تريد أي امرأة أكثر من ذلك؟ اكتفت "**جينا**" بأن ضحكت. هز "**أليكس**" رأسه:

– إني سعيد لأن أراك تتحلين بشيء من الأمانة. هذا جزء من أصولك اللاتينية. أنت لا تعتقدين أنك مضطرة إلى التظاهر بجهلك لقدرتك على إثارة إعجاب الرجال، أو إلَى أن تحزني لأنكِ تثيرين إعجابهم. أنت تعشقين أن يقع الرجال في حبك أنت شديدة القسوة يا "**جينا**"! حتى هذا المسكَين الصغير "**إيدجر لوسون**". نظرت "**جينا**" إلى الرجل الشاب في هدوءٍ، وأجابت في جدية:

– هذا الأمر لا يدوم طويلاً. هذا العالم قاسٍ على النساء كما هو بالنسبة إلى الرجال. إنهن أكثر حساسية. يهتممن بالأطفال وينشغلن بهم كثيراً. وبمجرد أن تفقد المرأة جمالها يتوقف الرجل عن حبها ويخونها ويهجرها. إني لا أكره الرجال، لكني أفعل مثلهم. إني لا أحب كبار السن أو القبيحين أو المرضى، لا أحب الذين يتأوهون بسبب مشاكلهم أو المثيرين للسخرية مثل "**إيدجر**" الذي يقضي وقته في اختلاق الأكاذيب والتفاخر بما ليس فيه. أنت تقول إنني شديدة القسوة؟ ولكن العالم الذي نعيش فيه هو الذي يتميز بالقسوة! وعاجلاً أم آجلاً سأخضع لهذه القسوة! ولكني الآن شابة وجميلة والجميع معجب بي. وابتسمت ابتسامة ساحرة، ثم أضافت:

– نعم هذا صحيح إني أستغل جمالي يا "**أليكس**" ولِمَ لا؟

– لِمَ لا في الواقع؟ لكني أريد أن أعرف ماذا ستقررين. هل ستتزوجين "**ستيفان**" أم ستتزوجينني؟

– إني زوجة "**وولي**".

– هذا وضع مؤقت. في مجال الزواج لكل امرأة حق في خطإٍ واحد... ولكن ليس من الضروري ألا تتراجع، ولقد حان الوقت لذلك.

– وهل ستكون أنت الزوج المرتقب؟

– لِمَ لا؟

– هل تريد حقًّا أن تتزوجني؟ لا أستطيع أن أتخيلك متزوجًا يا "**أليكس**".

– لم أكن مقتنعًا بفكرة الزواج واعتقدت دائمًا أن هذا النوع من الارتباط لم يعد مسايرًا للعصر، وينشأ عنه مشكلات في جوازات السفر والفنادق إلخ.. ضحكت "**جينا**":

– "**أليكس**" أنت غريب حقًّا.

– أعرف أن "**ستيفان**" أجمل مني وأكثر جاذبية ومن الطبيعي أن تعشقه النساء، ولكن الحياة الزوجية مختلفة. معي يا "**جينا**"، ستجدين حياة مسلية.

– لا تخبرني بأنك مجنون بحبي.

– حتى لو كان هذا صحيحاً لن أقولها أبداً. لو قلت ذلك ستتحولين ضدي. سأعرض عليك الزواج بشكل تقليدي. ابتسمت "**جينا**":

– يجب أن أفكر في الأمر.

– طبيعي. يجب إخراج "**وولي**" من هذه المأساة أولاً. إني أشفق عليه. أعتقد أن زواجه بكِ يشبه الجحيم. يكفي شعوره بأنه يأتي في ذيل اهتماماتك في هذا الجو العائلي الثقيل.

– "**أليكس**"، أنت وقح.

– وقح نعم، ولكني حدسي.

– أحياناً أعتقد أن "**وولي**" غير مبالٍ بي على الإطلاق. إنه لم يعد يهتم بي.

– هل ضربته بالسوط ولم يبدر عنه أي رد فعل؟ هذا شيء مثير للضجر. وفي لمحة صفعته "**جينا**". صاح "**أليكس**":

– لقد أصبتني! أخذها "**أليكس**" بين ذراعيه وقبل أن تنبس بكلمة واحدة طبع قبلة طويلة على شفتيها. قاومته لحظة ثم استسلمت... سمعا صوتاً ينادي:

– "**جينا**". افترقا. كانت "**ميلدريد ستريت**" واقفة تتابعهما متوردة الوجه وشفتاها ترتعشان، وقد ارتسمت على وجهها علامات الاشمئزاز. قالت:

– هذا مقزز... أنت فتاة طائشة... أنتِ مثل أمك.. آثمة!.. لقد علمت دائماً أنك آثمة!! فاسدة إلى أقصى درجة... أنتَ قاتلة أيضاً... لا داعي للإنكار.. إني أعرفَ ما أعرف.

– ماذا تعرفين؟ لا تكوني سخيفة يا خالة "**ميلدريد**".

– أنا لست خالتك. الحمد لله... نحن لسنا من الدم نفسه. أنت حتى لا تعرفين من هي أمك أو من أين أتت! لكني أعرف من هي أمي ومن هو أبي. في رأيك أمك أي نوع من الأطفال المتبنين كانت؟ هل كانت ابنة مجرمة أم عاهرة؟ في الأغلب تكون على هذه الشاكلة.. إن العرق دساس. لكني أعتقد أن دماءك الإيطالية هي التي قادتك إلى السم.

– كيف تجرؤين على قول هذه الأشياء؟

– إني أقول ما أريد. لن تنكري أن هناك شخصًا ما أراد تسميم والدتي. ومن يستفيد من ذلك؟ من سيرث ثروة كبيرة إذا ماتت أمي.. إنها أنتِ يا "**جينا**" وكوني متأكدة أن هذا الأمر لم يفت الشرطة. استدارت "**ميلدريد**" ورحلت وهي في قمة ثورتها. قال "**أليكس**":

– إن حالتها مرضية، ولكنها مثيرة للاهتمام. هذا يثير بعض الأسئلة عن زوجها الراحل "**ستريت**".. ربما كان رجل دين متشدداً؟ أو غير قادر، ما رأيك؟

– لا تكن مقززًا يا "**أليكس**". أوه إني أكرهها.. أكرهها. أخذت "**جينا**" ترتعش من شدة الغضب.

– اهدئي يا "**جينا**". الحمد لله أنها رحلت قبل أن تسددي لها لكمة وتواجهين عقوبة القتل. اهدئي نحن لسنا في مسرحية درامية أو أوبرا إيطالية.

– كيف تجرؤ على القول بانني حاولت تسميم جدتي؟

– عزيزتي لقد حاول أحدهم تسميمها وإذا فكرنا في الدوافع فهي لا تنقصك.

– "**أليكس**"! نظرت إليه "**جينا**" نظرة خوف.

– هل الشرطة تفكر في ذلك؟

– من الصعب معرفة فيمَ تفكر الشرطة.. إنهم أناس يحتفظون بأفكارهم لذاتهم. إنهم أبعد من أن يكونوا أغبياء... هذا يذكرني...

– إلى أين أنت ذاهب يا "**أليكس**"؟

– يجب أن أذهب لأتحقق من نظريتي بنفسي.

الفصل السابع عشر

لم تخفِ "**كاري لويز**" دهشتها أو عدم تصديقها، قالت:

– تقول لي إن شخصا ما يريد تسميمي؟ لا أستطيع أن أصدق ذلك. صمتت. قال "**لويس**":

– عزيزتي كنت أريد أن أجنبك معرفة كل ذلك. كأنها غائبة مدت إليه يدها.. امسكها. كانت الآنسة "**ماربيل**" جالسة إلى جوارها، هزت رأسها معبرة عن الشفقة. ثم فتحت "**كاري لويز**" عينيها:

– هل هذا صحيح يا "**جان**"؟

– إني أخشى من ذلك حقًا يا عزيزتي.

– الجميع إذن... توقفت لحظة ثم قالت:
– لقد اعتقدت دائماً أنني أعرف التمييز بين ما هو حقيقي وما هو ليس حقيقيًّا... لكن من يريد أن يفعل بي ذلك؟ من في هذا المنزل يستطيع أو يريد... قتلي؟ قال "**لويس**":
– كنت أعتقد الشيء نفسه ولكني كنت مخطئًا.
– هل كان "**كريستيان**" يعرف؟ هذا يفسر كل شيء. سأل "**لويس**":
– هذا يفسر ماذا؟ أجابت "**كاري لويز**":
– سلوكه. لقد كان غريبًا جدًّا. لم يكن كعادته. لقد بدا... كأنه يريد أن يقول لي شيئًا، ثم سألني إن كان قلبي بخير وإذا كنت أعاني التعب في الأسابيع الأخيرة... ربما كان يحاول أن يجعلني أفهم... لكن لماذا لم يخبرني بصراحة؟ إن الصراحة هي الأسهل.
– لم يرد أن يجعلك تعاني يا "**كارولين**".
– أعاني؟ لكن لماذا؟... أوه لقد فهمت... جحظت عينا "**كاري لويز**":
– هذا ما كنت تعتقده يا عزيزي، لكنك لست مخطئًا يا "**لويس**"، إني أؤكد لك.
تجنب "**لويس سيروكولد**" النظر إلى عيني زوجته. استطردت:
– آسفة. لكنني لا أستطيع أن أصدق أن كل ما يحدث حقيقي. "**إيدجر**" الذي يطلق عليك الرصاص، "**جينا**" و"**ستيفان**"، علبة الشوكولاتة السخيفة... هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًّا. لم يجب أحد. زفرت "**كاري لويز**":
– كنت أفترض أنني لا أعيش على أرض الواقع منذ زمن طويل، من فضلكم اتركاني بمفردي... أريد أن أفكر.



عندما وصلت إلى أسفل السلم الكبير رأت الآنسة "**ماربيل**" أمام الباب الواسع للصالون "**أليكس ريستاريك**" الذي استقبلها في حفاوة. قال كأنه صاحب البيت:
– تفضلي، تفضلي. لقد كنت أفكر فيما حدث مساء أمس. أما "**لويس سيروكولد**" الذي تبع الآنسة "**ماربيل**" حتى غرفة السيدة "**سيروكولد**" فقد عبر الغرفة وذهب إلى مكتبه وأغلق الباب خلفه. سألت الآنسة "**ماربيل**":
– هل تعيد ترتيب أحداث الجريمة؟
– ماذا؟ قطَّب "**أليكس**" حاجبيه ثم انفجرت أساريره:

– أوه! ليس تمامًا! إني أواجه هذه القضية من زاوية مختلفة تمامًا. فكرت في الأمر كأنه مسرحية. ليس الحقيقة ما تهم ولكن التظاهر بالحقيقة! تعالي تفضلي هنا. تخيلي أن هناك مسرحية ولها ديكور: الإضاءة، الممثلون. أصوات الكواليس. هذا مدهش. إنها ليست فكرتي. لقد طلب مني المفتش ذلك. أعتقد أنه رجل قاسٍ جدًا. لقد كان يحاول استدراجي اليوم.

– هل أخافك؟

– لست واثقًا بذلك. شرح "**أليكس**" للآنسة "**ماربيل**" ما فعله المفتش والدور الذي قام به الشرطي "**دودجيت**". قال:

– مسألة الوقت خادعة. لا يمكن معرفة الوقت الذي استغرقه عمل شيء ما بالتحديد. ربما يطول أو يقصر. أذعنت الآنسة "**ماربيل**":

– نعم. تصورت الآنسة "**ماربيل**" أنها بين الجمهور. أمامها المسرح والديكور الذي يتكون من حائط مغطى بسجادة بألوان باهتة وبيان كبير وفي الجانب نافذة ومقعد. وإلى جانب المقعد تمامًا الباب المؤدي إلى المكتبة. مقعد البيان على بعد مترين من الباب المؤدي للردهة المربعة المؤدية للمر. ولكن بالأمس لم يتأمل أحد هذا المشهد من الزاوية نفسها.

سألت الآنسة "**ماربيل**" نفسها: ما الوقت المستغرق للخروج من الصالون والجري في الردهة وقتل "**كريستيان جولبراندسين**" والعودة؟ ليس بالوقت الطويل كما قد يعتقد البعض. وماذا أرادت "**كاري لويز**" أن تقول إذن عندما أجابت زوجها قائلة: "هذا ما تعتقده يا "**لويس**". ولكنك لست مخطئًا، أؤكد لك ذلك؟" قال "**أليكس**":

– يجب الاعتراف بأن هذا المفتش "**كوري**" رجل حاذق. قال إنه ديكور واقعي من الخشب والكارتون ولكنه حقيقي أيضًا في الكواليس كما هو على المسرح. قال: "التصور في نظرة المشاهدين". همست الآنسة "**ماربيل**":

– مثلما يفعل المشعوذون. أعتقد أن لديهم مثلاً يقول: "كل شيء في لعبة المرايا". دخل "**ستيفان ريستاريك**" لاهثًا:

– أهلاً يا "**أليكس**". هذا التافه الصغير "**إيرني جريج**"... لا أذكر إذا كنت تذكره؟

– ذلك الذي لعب دور "**فيست**" عندما أخرجت مسرحية "**ليلة الملوك**". إن لديه موهبة لا بأس بها.

– إن لديه موهبة... ويديه ماهرتان ولكني لا أتحدث عن ذلك. لقد تفاخر أمام

"**جينا**" وقال إنه خرج من المدرسة في المساء وكان يتنزه في الحديقة، وادعى أنه رأى شيئًا ما. دار "**أليكس**" حول نفسه.

– ماذا رأى؟

– لا يريد أن يقول. في الواقع أعتقد أنه يكذب ولكني أعتقد أن الأمر يستدعي سؤاله. قاطعه "**أليكس**":

– دعه يقول ما يريد حتى لا يعتقد أننا مهتمون به.

– نعم. ربما تكون محقًا. أراك في المساء إذن. دخل "**ستيفان**" المكتبة. تابعت الآنسة "**ماربيل**" دورها كمشاهد وانتقلت من مكانها ببطء واصطدمت بـ"**أليكس**" الذي كان يرجع للخلف فجأة. همست:

– آسفة. قال "**أليكس**":

– آسف... أوه هذه أنتِ. عجبت الآنسة "**ماربيل**" من دهشته.. لقد كانت تتحدث معه منذ لحظة.

– لقد كنت أفكر في شيء آخر. هذا المدعو "**إيرني**"... ثم فجأة غادر الغرفة ليدخل المكتبة.

وصل إلى الآنسة "**ماربيل**" صوت الأخوين من خلال الباب المغلق ولكنها لم تهتم بما يقولانه. إنها لا تهتم بهذا المدعو "**إيرني**" المتعدد المواهب أو إلى ما رأى أو يدعي أنه رآه. إنها تشك في أن هذا الشاب "**إيرني**" لم يرَ شيئًا على الإطلاق، وشكت حتى في أنه في مثل هذه الليلة الباردة التي انتشر بها الضباب أن يستخدم مواهبه في فتح الأقفال ويخرج في نزهة في الحديقة. الاحتمال الأكبر هو أنه لم يخرج قط من المدرسة في هذه الليلة. إنه يكذب ليتفاخر.. هذا كل شيء.

فكرت الآنسة "**ماربيل**" في أنه مثل "**جوني باكهاوس**" وهو أحد سكان قريتها "**سان ماري ميد**". كان "**جوني باكهاوس**" يقول لكل من يضايقهم هذه العبارة: "لقد رأيتك بالأمس". وكان لهذه الملاحظة أثر مذهل إذ إن الكثير من الناس يكونون في أماكن لا يصدقون أن يشاهدهم فيها أحد.

طردت "**جوني**" من ذهنها وحاولت أن تركز في الفكرة التي أوحى لها بها "**أليكس**". إن حديث المفتش "**كوري**" قد أثار لديه فكرة ولقد أثار ذلك فكرة لديها أيضًا، ربما تكون الفكرة نفسها أو فكرة أخرى. جلست في نفس المكان الذي كان يقف فيه "**أليكس ريستاريك**". قالت لنفسها: "هذا ليس الصالون الحقيقي. إنه ديكور". ورددت بعض العبارات: "تخيل"... "في أعين المشاهدين" وكل ألاعيب

الحواة والمشعوذين.

تكونت صورة في ذهنها أثارتها رواية "**أليكس**"... وصف الشرطي "**دودجيت**" لاهثًا ويتصبب عرقًا... فجأة رأت صورة أخرى... صاحت الآنسة "**ماربيل**":

– لكن بالتأكيد.. يجب أن يكون الأمر كذلك.

الفصل الثامن عشر

– أوه "**وولي**" لقد أخفتني.

في المسرح فزعت "**جينا**" عندما ظهر "**وولتر هود**" فجأة في الظلام. لم يكن ظلامًا حالكًا ولكن ذلك الظلام الذي يجعل الأشياء غير واضحة ويضفي عليها أشكالاً خيالية تشبه تلك التي تظهر في الكوابيس. استطردت السيدة الشابة:

– عمَّ تبحث هنا؟ لقد وضعت لنفسك قانونًا يمنعك من المجيء إلى المسرح أبدًا.

– لقد أتيت أبحث عنك يا "**جينا**"، هذا أفضل مكان يمكن أن أبحث عنكِ فيه.

كان صوته رقيقًا لا يحمل أيَ قصد ولكن "**جينا**" أجابت قائلة:

– إنه عمل حقيقي ويعجبني. أحب رائحة الطلاء وجو الكواليس.

– نعم.. إنه مهم بالنسبة إليك. لقد لاحظت ذلك. أخبريني يا "**جينا**"، كم من الوقت سيستغرق ذلك قبل أن تتضح الأمور؟

– سيفتح التحقيق الرسمي في الجريمة غدًا وسيستغرق حوالي 15 يومًا هذا ما استخلصته مما قاله المفتش "**كوري**". همس "**وولي**" مفكرًا:

– حوالي 15 يومًا، وبعد ذلك سنكون أحرارًا، يعني سأستطيع أن أعود إلى "**الولايات المتحدة**". صاحت "**جينا**":

– أوه! أنا لا أستطيع أن أعود بهذه السرعة. لا أستطيع أن أترك جدتي، كما أن هناك مسرحيتين يتم الإعداد لهما.

– لم أقل "نحن". قلت سأستطيع أنا أن أعود إلى "**الولايات المتحدة**". رفعت السيدة الشابة بصرها لتنظر إلى زوجها. في هذا الضوء الخافت بدا كبيرًا جدًا، وهادئًا... وفي الوقت نفسه اعتقدت أنه سيهددها.. ولكن بماذا سيهددها؟

– تقصد... ترددت.

– تقصد أنك لا تريدني أن آتي معك؟

– أنا لم أقل ذلك. فجأة انتابها الغضب.

– أنت لست مهتماً إذا أتيت معك أم بقيت هنا؟ أهو كذلك؟

– اسمعي يا "**جينا**" . نحتاج إلى أن يفهم بعضنا الآخر. عندما تزوجنا لم يكن كلانا يعرف الكثير عن الآخر... ليس الكثير عن ماضي كلينا، ليس الكثير عن عائلتينا. كنا نعتقد أن هذا ليس له أهمية، وأن ما يهم هو أن نقضي وقتاً طيباً معاً، وانتهت الخطوة الأولى. عائلتك لم تفكر ولا تفكر كثيراً في شأني. ربما يكون لديها حق. لست من عالمهم. ولكنك مخطئة إذا كنت تعتقدين أنني سأبقى هنا منتظراً كي أقوم بأعمال بلهاء. أريد أن أعيش في وطني وأحصل على العمل الذي أحب والذي أعرفه. في رأيي المرأة يجب أن تشبه رائدات الزمن الفائت حيث تكون مستعدة لمواجهة كل شيء: الصعوبات، الخطر، بلد مجهول، بيئة مثيرة للقلق. أعرف أني أطلب منك الكثير، ولكن ليكن هذا أو لا شيء. ربما دفعتك لكي نتزوج سريعاً، إذا كان هذا هو الوضع فمن الأفضل لك أن أتركك لتعيدي ترتيب حياتك. عليك الاختيار إذا كنت تفضلين واحداً من الفنانين... أو إنها حياتك الخاصة وعليك أنت أن تقرري أما أنا فسأعود إلى بلادي. أجابت "**جينا**":

– أرى أنك تتصرف كالندل! أنا تعجبني الإقامة هنا.

– لكن لا تعجبني أنا. أعتقد أن حتى القتل يعجبك. تنفست "**جينا**" بعمق.

– من القسوة أن تقول ذلك. لقد كنت أحب العم "**كريستيان**".. ألا تعرف أن هناك من يسمم جدتي ببطء؟ كم هذا مفزع!

– لقد قلت لك إن هذا المكان لا يعجبني. ولا أحب ما يحدث هنا. إني أنسحب.

– إذا سمحوا لك بذلك! أنت لا تفهم إذن أنه قد يتم القبض عليك بتهمة قتل العم "**كريستيان**" . إني أكره الطريقة التي يراقبك بها المفتش "**كوري**" . كأنه قط يترقب فأراً ليقبض عليه بمخالبه. إني متأكدة أنهم سيلقون عليك بهذه التهمة كل ذلك؛ لأنك خرجت من الصالون لإصلاح الكهرباء ولأنك لست إنجليزياً.

– يلزمهم برهان أولاً. قالت "**جينا**" :

– إني أخشى عليك يا "**وولي**" . أخشى عليك منذ البداية.

– لا يجب أن تنشغلي. أقول لك إنه ليس لديهم شيء ضدي. واتجها نحو المنزل في صمت. ثم همست "**جينا**" :

– لا أعتقد أنك تريد حقًّا العودة إلى "**أمريكا**" معي. لم يجب "**وولتر هود**" فغضبت السيدة الشابة.

– إني أكرهك! أكرهك! أنت فظيع... وحشي. بعد كل ما حاولت أن أفعله من

أجلك. أنت لا يهمك أن أكون معك.. حسنًا، أنا لا يهمني أن أراك أبدًا! لقد تصرفت كالحمقاء عندما تزوجتك. أريد الطلاق بأسرع وقت ممكن. سأتروج "**ستيفان**" أو "**أليكس**" وسأكون أكثر سعادة لأني لن أكون أبدًا معك. أتمنى أن تتزوج في "**الولايات المتحدة**" امرأة مخيفة تجعلك تعسًا. قال "**وولي**":

– تمامًا. الآن نحن نعرف على الأقل أين نحن!



رأت الآنسة "**ماربيل**" "**جينا**" و"**وولي**" يدخلان معًا البيت. كانت تقف في المكان نفسه الذي كان يقف فيه المفتش "**كوري**" مع الشرطي "**دودجيت**" خلال التجربة التي أجراها. فزعت عندما سمعت صوت الآنسة "**بيليفر**" تقول:

– ستأخذين بردًا يا آنسة "**ماربيل**" إذا بقيت بالخارج بعد غروب الشمس. طائعة تبعتها الآنسة "**ماربيل**" نحو البيت. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– كنت أفكر في الحيل التي يقوم بها السحرة والحواة والتي لا نستطيع أن نفهم كيف يقومون بها ولكن عندما يشرحونها لكِ تدركين أنها شديدة البساطة. حتى الآن لا أعرف كيف يخرج الساحر حوض سمكٍ أحمر من قبعته... هل رأيت حيلة المرأة المقسمة إلى نصفين؟ أتذكر أني كنت أنبهر بهم عندما كنت في سن الحادية عشر. لم أنجح في أن أتصور كيف يفعلون هذه الحيل. ولكن ذات يوم كان هناك مقال في إحدى الجرائد يكشف كل شيء. أعتقد أنه لا يجب كتابة أسرار هذه الحيل في الجرائد. باختصار، لا يوجد امرأة واحدة بل اثنتان ويعتقد المشاهد أن هناك امرأة واحدة وهما في الحقيقة اثنتان.

لم تخف الآنسة "**بيليفر**" دهشتها. وقالت لنفسها: "هذه أول مرة أرى فيها الآنسة "**ماربيل**" فاقدة التركيز. إن هذه الأحداث أكثر من قدرة المسكينة على التحمل".

لكن الآنسة "**ماربيل**" تابعت حديثها:

– عندما تنظرين إلى الأشياء من زاوية واحدة فأنتِ لا ترين سوى هذه الزاوية. ولكن يتضح كل شيء عندما تفرقين بين ما هو وهم وما هو حقيقة. وفجأة غيرت الموضوع:

– وصديقتي العزيزة "**كاري لويز**".. هل هي بخير؟

– نعم. إنها بخير ولكني أعتقد أنها تعرضت لصدمة كبيرة إذ علمت أن هناك من

يريد قتلها، ولابد أنها صدمة كبيرة لها لأنها لا تعرف العنف. أجابت الآنسة "**ماربيل**" :

– "**كاري لويز**" تعرف أشياء لا نعرفها نحن.

– أعرف ما تقصدين... لكنها لا تعيش في عالم الواقع.

– هل تقصدين؟ أجابت الآنسة "**بيليفر**" :

– لا يوجد شخص أكثر خيالاً من "**كاري**" ...

– ألا تعتقدين أنه ربما... توقفت الآنسة "**ماربيل**" عندما مر "**إيدجر لوسون**" من أمامها بخطوات سريعة. ألقى الشاب التحية برأسه. قالت الآنسة "**ماربيل**" :

– لقد وجدت بمن يذكرني إنه يذكرني.. بشخص يدعى "**ليونارد ويلي**" . كان ابن طبيب أسنان. تقدم والده في السن ولم يعد يرى جيداً ويداه ترتعشان، ففضل الناس إذن التعامل مع "**ليونارد**" . ولكن السيد العجوز شعر بكثير من الحزن؛ لأنه لم يعد له فائدة. كان "**ليونارد**" يتمتع بقلب طيب ولكن عقله لم يكن على الدرجة نفسها من الرجاحة، حاول أن يجعل الناس يعتقدون أنه يسرف في الشراب. كانت رائحته خمراً في كل مرة يأتي إليه المرضى. كانت فكرته أن ينصرف عنه الناس ويلجؤون إلى والده من جديد.

– وهل فعل الناس كذلك؟

– بالتأكيد لا. لقد فعلوا ما يمليه عليهم العقل وما كان يجب أن يدركه "**ليونارد**"! لقد ذهب المرضى إلى طبيب أسنان آخر يدعى "**ريلي**" . هناك أناس كثيرون لهم قلوب طيبة ولكن ليس لديهم عقل راجح... كما أن "**ليونارد**" لم يكن مقنعاً... عندما كان يتظاهر بأنه ثمل كان لا يشبه المخمورين على الإطلاق، كان يبالغ دائماً ويغرق ملابسه بالخمر لدرجة لا يمكن أن يصدقها أحد. دخلت السيدتان البيت من خلال الباب الجانبي.

الفصل التاسع عشر

اجتمعت العائلة في المكتبة. أخذ "**لويس سيروكولد**" يروح ويجيء في الحجرة. كان يسود الجو توتر ملموس. سألت الآنسة "**بيليفر**" :

– هل هناك شيء؟ قال "**لويس**" :

– لقد غاب "**إيرني جريج**" عن طابور المساء.

– هل هرب؟

– لا نعرف.. "**مافيريك**" وفريقه يفتشون الحديقة. إذا لم نجده يجب أن نخبر الشرطة.

– جدتي! اندفعت "**جينا**" نحو جدتها متأثرة بشحوبها.

– يبدو أنك لست بخير.

– إني حزينةَ جداً... هذا الصبي المسكين... قاطعها زوجها:

– كنت أنوي أن أسأله هذا المساء إذا كان قد رأى شيئًا حقًا. لقد حصلت على فرصة عمل جيدة له، ولكن الآن... همست الآنسة "**ماربيل**":

– هذا الشاب المتهور... سألت السيدة "**سيروكولد**" في هدوء:

– إذن تفكرين أنتِ أيضًا يا "**جان**" في أنه قد يكون... دخل "**ستيفان ريستاريك**":

– لقد تأخرت عن المسرح يا "**جينا**". هل حدث شيء؟ ردد "**لويس**" ما قاله توًا. ولم يكمل حديثه حتى دخل الدكتور "**مافيريك**" معه شاب أشقر تذكرت الآنسة "**ماربيل**" أنها رأته في المساء الأول لها في "**ستونيجيتس**". قال الدكتور "**مافيريك**":

– لقد أحضرت "**آرثر جينكينز**". إنه آخر شخص تحدث مع "**إيرني**". سأله "**لويس**":

– إذن يا "**آرثر**"، يجب أن تساعدنا بقدر استطاعتك. أين ذهب "**إيرني**"؟ هل هرب؟

– لست أدري يا سيدي. لست أدري حقًا. لم يقل لي شيئًا. إنه لم يفعل سوى الحديث عن المسرحية. قال إن لديه فكرة رائعة للإخراج وإن السيدة "**هود**" والسيد "**ستيفان**" قد وجدا أنها فكرة رائعة.

– هناك شيء آخر يا "**آرثر**". لقد أكد "**إيرني**" أنه تنزه في الحديقة مساء أمس بعد إغلاق أبواب المدرسة. هل هذا صحيح؟

– بالتأكيد لا. إنه يكذب. يا له من كاذب "**إيرني**" هذا! إنه لم يخرج قط في المساء. إنه يحكي دائمًا أنه يستطيع الخروج ويستطيع أن يكسر أي أقفال. على أية حال لقد كان في العنبر مساء أمس هذا ما أعرفه.

– "**آرثر**".. أنت لا تقول لنا ذلك لكي ترضينا؟ أجاب "**آرثر**" في حماس:

– أقسم بأنني أقول الحقيقة. لم يبد "**لويس سيروكولد**" مقتنعًا. قال الدكتور "**مافيريك**":

– اسمع. ما هذا؟ سمعوا أصواتًا تقترب. فُتح الباب ودخل السيد "**بومجارتن**" وهو أشعث يتأرجح. تمتم:

– لقد وجدناه... هذا فظيع... انهار في أحد المقاعد وهو يمسح جبهته. سألت "**ميلدريد ستريت**":

– أين وجدتموه؟ كان "**بومجارتن**" يرتعش.

– في المسرح... رأسه مشقوق... لابد أن خشبة كبيرة من الديكور سقطت على رأسه... لقد مات "**أليكس ريستاريك**" وهذا الصبي "**إيرني جريج**"... لقد مات الاثنان.

الفصل العشرون

– "**كاري لويز**".. لقد أحضرت لكِ هذا الشراب الساخن. من فضلك تناوليه على الفور لكي تسعديني.

أطاعت السيدة "**سيروكولد**" الآنسة "**ماربيل**" واستندت إلى وسادتها على سريرها الكبير. كانت وجنتاها قد فقدتا لونهما وكانت نظرتها شاردة بشكل غريب. أخذت القدح وعندما بدأت في احتساء الشراب جلست الآنسة "**ماربيل**" في مقعد قريب من رأس السرير. همست "**كاري لويز**":

– في البداية "**كريستيان**" والآن "**أليكس**"... وهذا الصبي المسكين "**إيرني**"... هل كان يعرف حقًّا شيئًا ما؟ أجابت الآنسة "**ماربيل**":

– لا أعتقد. لم تكنِ سوى ثرثرة من أجل أن يبدو مهمًّا. حدثت المأساة لأن أحدًا ما صدق أنه شاهد شيئًا ما. ارتعشت "**كاري لويز**" ولكن دبت الحيوية في نظرتها:

– نريد أن نفعل الكثير من أجل هؤلاء الصبية. لقد نجح عدد كبير منهم. البعض منهم يشغل اليوم أعمالا مهمة والبعض فشل... لا نستطيع عمل شيء من أجلهم. العالم اليوم معقد للغاية... معقد لأشخاص بدائيين وغير ناضجين. هل تعرفين يا "**جان**" ما هو المشروع الكبير لـ"**لويس**"؟ لقد فكر كثيراً في أن النقل قد حفظ سلام الخارجين عن القانون. كانوا يأخذونهم بالمراكب إلى المستعمرات... وهناك يستطيعون بداية حياة جديدة في بيئة أقل صعوبة. أراد "**لويس**" أن يستعيد هذه الفكرة مع تحديثها بشراء أرض كبيرة... أو مجموعة من الجزر. أراد تأكيد التمويل لفترة كافية لبناء مجتمع مكتفٍ بذاته... حيث يجد كل فرد لنفسه دوراً، ولكن

بعيداً عن العالم لكيلا يعودوا إلى انحراف الماضي. هذا هو حلم "**لويس**". ولكن هذا سيتكلف الكثير من المال بالتأكيد. وفي أيامنا لا يوجد متبرعون محبون للبشرية. يلزمنا "**إيريك**" آخر... لو كان "**إيريك**" على قيد الحياة لتحمس لهذا المشروع. أخذت الآنسة "**ماربيل**" مقصاً وتأملته في فضول.

– هذا مقص غريب... من ناحية يوجد مكان لإصبعين ومن الناحية الأخرى لإصبع واحد. قالت "**كاري لويز**":

– أعطاني إياه "**أليكس**" هذا الصباح. من الممكن قص الأظافر بسهولة بواسطة هذا المقص. كان عزيزي "**أليكس**" يرى أنه مقص ممتاز وأرادني أن أستخدمه على الفور. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– أتصور أنه قد اهتم بجمع أظافرك التي قصصتها؟ همست "**كاري لويز**":

– نعم. ولكن لماذا تقولين ذلك؟

– كنت أفكر في "**أليكس**". إنه ماكر. نعم ماكر جداً.

– تقصدين... إنه مات لأنه ماكر؟

– نعم. هذا ما أعتقده.

– "**إيرني**" وهو... هذا مفزع حقًا. في رأيك متى حدث ذلك؟

– في بداية المساء. بين الساعة 6 و7.

– بعد نهاية العمل؟

– نعم. تذكرت الآنسة "**ماربيل**" أن "**جينا**" في ذلك الوقت كانت في المسرح... مع "**وولي هود**". و"**ستيفان**" كان يبحث عنها. لكن في هذا الصدد، أي شخص كان سيستطيع أن... توقفت دوامة الأفكار التي كانت تعصف برأس الآنسة "**ماربيل**" سألتها "**كاري لويز**" بصوت هادئ فجأة:

– ماذا تعرفين عن كل هذا يا "**جان**"؟ تواجهت نظرات السيدتين. همست الآنسة "**ماربيل**":

– لو كنت متأكدة...

– أعتقد أنك متأكدة يا "**جان**". سألت الآنسة "**ماربيل**" في بطء:

– ماذا تريدينني أن أفعل؟ استندت "**كاري لويز**" إلى وِساداتها.

– "**جان**" كل شيء بين يديك. افعلي ما تجدينه حسناً. أغلقت عينيها. تمتمت الآنسة "**ماربيل**":

– غداً... سأحاول أن أتحدث إلى المفتش "**كوري**"... إذا أراد الاستماع إليَّ.

الفصل الحادي والعشرون

لم يخف المفتش "**كوري**" غيظه:

– نعم يا آنسة "**ماربيل**"؟

– من فضلك هل تسمح لنا بالتوجه إلى الصالون الكبير؟ نظر رجل الشرطة حول المكتب وغادر المكان وهو يُظهر دهشته.

– لديك فكرة غريبة عن السرية. هنا...

– لا أهتم بالسرية أيها المفتش لكني أريد أن أطلعك على شيء ما. شيء قادني "**أليكس ريستاريك**" لرؤيته. كتم المفتش أنفاسه ونهض وتبع الآنسة "**ماربيل**". سألها في أمل:

– هل اعترف لك أحدهم بسر ما؟

– لا، الأمر لا يتعلّق بسر. إنها حيلة سحرية، كل شيء في لعبة المرايا... هذا النوع من الألعاب إذا كنت تفهمني.

لم يكن المفتش يفهمها. نظر إلى الآنسة "**ماربيل**" وهو يسأل نفسه عما تريد. بقيت الآنسة "**ماربيل**" وسط الصالون ودعت المفتش إلى الجلوس إلى جوارها. استطردت:

– أيها المفتش أريدك أن تتصور أن هذه الحجرة مسرح. مشهد مسرحي منظم كما في المساء الذي قتل فيه "**كريستيان جولبراندسين**". أنت هنا بين المشاهدين وترى هؤلاء الذين على المسرح: السيدة "**سيروكولد**" وأنا، والسيدة "**ستريت**" ثم "**جينا**" و"**ستيفان**"... وكما في المسرح يخرجون ويدخلون على خشبة المسرح والأشخاص يروحون ويجيئون. ولكن عندما تكون وسط الجمهور أنت لا تسأل نفسك أين يذهبون في الواقع. من المفترض أن يذهبوا إلى باب الشقة أو إلى المطبخ وعندما يفتحون الباب لا ترى سوى قطعة من القماش الملون. ولكن في الحقيقة يذهب الممثلون إلى الكواليس.. أو خلف خشبة المسرح حيث يوجد الكهربائيون ومشغلو الآلات، والممثلون الآخرون ينتظرون دخولهم إلى خشبة المسرح... عندما يخرجون يكونون في عالم مختلف.

– آنسة "**ماربيل**" أنا لا أفهم جيداً...

– أعرف أعرف هذا ليس واضحاً بالقدر الكافي... لكن إذا تصورت أننا نتفرج على مسرحية... فمكان الحركة "صالون "**ستونيجيتس**"".. ماذا يوجد خلف

خشبة المسرح؟ هنا في الحقيقة توجد الشرفة أليس كذلك؟ الشرفة التي تطل عليها كل النوافذ. وهكذا تمت الحيلة وهي تشبه حيلة المرأة المنقسمة إلى جزأين.

– المرأة المنقسمة إلى جزأين؟ في هذه المرة تأكد المفتش أن الآنسة "**ماربيل**" تعاني خللاً عقليًا. استطردت الآنسة العجوز:

– حيلة حواة. رأيتها بالتأكيد... في الحقيقة لا توجد امرأة واحدة بل امرأتان. رأس واحدة ورجلا الثانية. والعكس صحيح من الممكن أن يكون شخصان في الحقيقة شخصًا واحدًا. لم يخفِ المفتش "**كوري**" خيبة أمله.

– نعم.

– كم أستغرق شرطيك من الوقت لكي يذهب من الحديقة جريًا إلى المنزل ويعود؟ دقيقتان وخمس وأربعون ثانية؟ هذا يستغرق أقل من ذلك. في الواقع أقل من دقيقتين.

– لماذا يلزم أقل من دقيقتين؟

– للحيلة السحرية. الحيلة التي بها شخص واحد وليس بها شخصان. نحن الجمهور لا نرى سوى الجزء الواضح من المشهد، لكن هنا خلف المسرح توجد الشرفة وصف من النوافذ. بما أن هناك شخصين في المكتب لا يوجد شيء أسهل من فتح النافذة والخروج والجري بطول الشرفة (الخطوات التي سمعها "**أليكس ريستاريك**") والدخول إلى المنزل من الباب الجانبي وقتل "**كريستيان جولبراندسين**" والعودة. خلال هذا الوقت من بقي في المكتب يقلد صوت الذي خرج لكي نقتنع بأن هناك شخصين، هذه هي الحقيقة باستثناء الفترة التي استغرقت دقيقتين. وجد المفتش "**كوري**" صعوبة في إيجاد الكلمات.

– تقصدين أن "**إيدجر لوسون**" هو من جرى في الشرفة ليقتل "**كريستيان جولبراندسين**"؟ "**إيدجر لوسون**" هو الذي يسمم السيدة "**سيروكولد**"؟

– لكن لا. لا أحد يسمم السيدة "**سيروكولد**". هذه القصة ليست إلا لتشتيت الانتباه. شخص ما ماهر جدًا استغل أعراض التهاب المفاصل التي تعانيها السيدة "**سيروكولد**" والتي تشبه أعراض التسمم بالزرنيخ. إنها حيلة قديمة. لا يوجد أسهل من وضع الزرنيخ في زجاجة ولا شيء أسهل من كتابة سطرين بالآلة الكاتبة. لكن السبب الحقيقي لمجيء السيد "**جولبراندسين**" إلى هنا يتعلق بالمؤسسة. المال في الواقع. تصور لحظة أن هناك تحولاً لرأس المال... هل ترى إلى من يقودنا هذا؟ إلى شخص على الأخص. همس المفتش غير مصدق:

– "**لويس سيروكولد**"؟ أكدت الآنسة "**ماربيل**":
– "**لويس سيروكولد**".

الفصل الثاني والعشرون

كتبت "**جينا**" لخالتها السيدة "**روث فان ريدوك**" تقول:
(كما ترين يا خالتي "**روث**" لقد مرت هذه الأحداث كأنها كابوس خاصة النهاية. لقد سبق أن حدثتك عن هذا الأبله "**إيدجر لوسون**". كان خائفًا دائمًا مثل الأرنب البري. وعندما بدأ المفتش في استجوابه فقد هدوءه تمامًا واندفع كالأرنب... نعم لقد أخذ يجري كالأرنب. قفز من النافذة ودار حول المنزل وانطلق في الممر. لكن كان أحد رجال مفتشي الشرطة في انتظاره. عندئذ غير اتجاهه واندفع نحو البحيرة. أخذ قاربًا قديمًا خرب منذ سنوات وبدأ يجدف. لقد كان أحمق حقًا ومليئًا بالخوف والذعر. عندئذ صاح "**لويس**": "إنه قارب خرب" وجرى إلى البحيرة. أخذ القارب يغرق و"**إيدجر**" يقاوم الماء لم يكن يعرف السباحة. سبح "**لويس**" حتى وصل إليه ووجد الاثنان صعوبة في السباحة لتواجدهما في منطقة ينمو فيها الغاب. نزل أحد رجال مفتشي الشرطي ومعه حبل حول خصره ولكنه ارتبك هو الآخر بين الغاب واضطروا إلى سحبه إلى الشاطئ. أخذت خالتي "**ميلدريد**" تقول في غباء: "إنهما يغرقان. إنهما يغرقان هما الاثنان!" وأجابت جدتي ببساطة: "نعم" لا أستطيع أن أصف لك نبرة صوتها وهي تقول هذه الكلمة لا شيء سوى "نعم".

ثم انتهى كل شيء بعد أن سحبوهما من البحيرة. وحاولوا أن يعيدوا لهما التنفس صناعيًا ولكن لم يفلح ذلك. قدم المفتش إلى جدتي وقال لها: "أخشى يا سيدة "**سيروكولد**" أنه لا أمل". أجابت جدتي في هدوء: "شكرًا أيها المفتش".

نظرت إلينا جميعًا. أردت أن أفعل شيئًا لكني لم أعرف ماذا. كانت "**جولي**" تبدو حزينة وقد انتابتها موجة من الحنان ومستعدة للاهتمام بالجميع كعادتها. كانت الآنسة العجوز "**ماربيل**" تبدو حزينة ومجهدة وحتى "**وولي**" كان مضطربًا أردنا جميعًا أن نفعل شيئًا لجدتي. ولكن جدتي نادت "**ميلدريد**" وأجابتها خالتي "**ميلدريد**": "نعم يا أمي" ودخلتا في المنزل. بدت جدتي صغيرة جدًا وضعيفة جدًا وهي مستندة إلى خالتي "**ميلدريد**". حتى هذه اللحظة لم أكن أعرف أنهما متحابتان إلى هذا الحد.

فيما يتعلق بـ"**وولي**" وأنا... سنعود إلى "**الولايات المتحدة**" بمجرد أن نستطيع ذلك.

الفصل الثالث والعشرون

– كيف استطعت أن تخمني ذلك يا "**جان**"؟

لم تجب الآنسة "**ماربيل**" على الفور. نظرت مفكرة إلى محدثيها وهما "**كاري لويز**" التي أصبحت أكثر شحوباً وضعفاً ورجل عجوز له ابتسامة هادئة وشعر فضي كثيف.. إنه الدكتور "**جلبريث**" كاهن "**كرومر**". أمسك الكاهن يد "**كاري لويز**" وقال:

– لقد سبب ذلك حزناً كبيراً لك وصدمة كبيرة يا طفلتي المسكينة.

– حزن نعم ولكنها ليست صدمة. قالت الآنسة "**ماربيل**":

– لا. هذا ما اكتشفت. كان الجميع يقولون إن "**كاري لويز**" تعيش في عالم غير عالمنا وإنها فقدت الإحساس بالواقع، ولكن في الواقع يا "**كاري لويز**" كنت أنت من استطاع أن يستخلص الواقع من الخيال. إنك لم تنخدعي قط بالحيلة على عكس الجميع. عندما أدركت ذلك وجدت أنني يجب أن أتعلق بما تفكرين أنت فيه وبما تشعرين به. كنت متأكدة أنه ليس هناك من يريد تسميمك، لم تريدي أن تصدقي ذلك... ولقد كنت محقة.. لم يكن من المتوقع الإشارة بإصبع الاتهام إلى "**لويس**". كنت متأكدة أن "**جينا**"-لا تحب شخصاً آخر سوى زوجها... وهذا أيضاً كان حقيقيًّا. إذن كل ما كنت أتصوره كان وهماً. وهم كان له دور وهدف محدد... مثل الحواة الذين يلجؤون إلى الاصطناع لخداع الجمهور. نحن كنا الجمهور.

كان "**أليكس ريستاريك**" الأول في جذب خيط الحقيقة؛ لأنه نظر إلى القضية من زاوية مختلفة. من الخارج... كان في الممر مع المفتش ورأى المنزل وهنا أدرك الاحتمالات التي تمثلها النوافذ... وتذكر خطوات الأقدام التي سمعها في الليل بالإضافة إلى أن حساب الوقت للشرطي "**دودجيت**" عندما جرى بين الحديقة والمنزل جعلته يفكر في أن الأحداث قد تقع أسرع مما هو متوقع. روي لي "**أليكس**" أن الشرطي "**دودجيت**" كان يلهث. وعندما أعدت التفكير تذكرت أن "**لويس**" في مساء وقوع الجريمة كان يلهث عند فتح باب المكتب، وهذا يدلل على أنه كان يجري بسرعة.

ولكني كنت أعتقد أن "**إيدجر لوسون**" هو محور كل القضية. ظننت دائمًا أن به شيئًا غير طبيعي. كل ما يفعله وكل ما يقوله يبدو تمثيلاً. وكان هذا في الواقع لا يتوافق مع شخصيته؛ لأنه كان في نهاية الأمر شابًا طبيعيًا يحاول أن يمثل دور مريض انفصام الشخصية... وقد بالغ في تمثيل هذا الدور، فقد افتقد الطبيعية. في الواقع، خلال الزيارة الأخيرة لـ"**كريستيان**" شعر "**لويس**" بأنه قد صار مصدراً للشكوك. لقد كان يعرف "**كريستيان**" جيداً فإنه إذا بدأ الشك فلا يعرف راحة أو هوادة حتى ينفي هذه الشكوك أو يؤكدها. قالت "**كاري لويز**":

– نعم. لقد كان "**كريستيان**" هكذا بطيئًا ودؤوبًا وذا حساسية عالية. لا أعرف ما الذي أثار شكوكه ولكنه بدأ تحقيقاته... واكتشف الحقيقة. قال الكاهن:

– إني أعتب على نفسي لأني لم أعين إداريًا واعيًا. أجابت "**كاري لويز**":

– لم يكن من المنتظر منك أن تهتم بالنواحي المالية بالمؤسسة. هذا هو مجال السيد "**جيلفوي**". ولكن عندما مات سمحت خبرة "**لويس**" الكبيرة بالسيطرة الكاملة على المسائل المالية، ولقد قفز ذلك إلى ذهنه. صمتت ثم استطردت:

– لقد كان "**لويس**" رجلاً عظيمًا. كانت له رؤية وأهداف محددة ويؤمن بما يستطيع أن يحققه.. بالمال. لم يكن يريد المال لنفسه، أقصد بدافع الجشع لكنه أراد السلطة التي يمنحها المال، أراد القدرة على عمل الخير... قاطعها الكاهن فجأة وبحدة:

– لقد أراد أن يكون إلهًا. لقد نسي أن الإنسان ليس إلا أداة متواضعة لإرادة الله. سألت الآنسة "**ماربيل**":

– والنتيجة حوّل أموال المؤسسة؟ تردد الدكتور "**جلبريث**":

– ما لم يكن سوى ذلك. أمرته "**كاري لويز**" قائلة:

– أخبرها بالأمر، إنها صديقة عزيزة. قال:

– كان "**لويس سيروكولد**" شخصًا يمكن وصفه بأنه ساحر المال. خلال السنوات التي تولى فيها مسؤولية الحسابات نجح في وضع بعض أساليب الغش التي لا يمكن اكتشافها. لقد كانت لعبة ذهنية. ولكن عندما بدأ مواجهة الآفاق الواسعة التي فتحها له امتلاكه لمبالغ ضخمة بدأ في تنفيذ بعض هذه الأساليب. كان في حوزته العديد من العناصر. اختار من بين الصبية الذين يأتون إلى هنا مجموعة صغيرة، وهم عبارة عن شباب عالي الموهبة متدربين على الغش ويحبون المخاطرة. ليس لدينا تفاصيل الأمر ولكن يبدو أن هذه العصابة السرية الصغيرة تتلقى معلومات خاصة وتتوزع

المسؤوليات، ووفقًا لتعليمات "**لويس**" كانوا يزيفون الحسابات بطريقة تسمح باختفاء مبالغ ضخمة دون لفت الانتباه. كانت هذه العمليات معقدة للغاية استلزمت شهوراً حتى تكشفها جهات الرقابة على الحسابات. لكن من الظاهر أنه كان قد تم بالفعل تحويل مبالغ ضخمة لحسابات بنكية بأسماء مختلفة. كان "**لويس سيروكولد**" ينوي استخدام هذه المبالغ في إنشاء مستعمرة خلف البحار حيث يمتلك هؤلاء الشباب أراضي في هذه المستعمرة ويتولون إدارتها. ربما كان ذلك حلماً خياليًّا. قالت "**كاري لويز**" :

– إنه حلم كان من الممكن تحقيقه.

– بالتأكيد كان من الممكن تحقيقه، ولكن للوصول إلى ذلك اختار "**سيروكولد**" الطريق غير الشريف وكشفه "**كريستيان جولبراندسين**"، ولقد ارتبك "**كريستيان**" خاصة لأنه أدرك أن هذا الاكتشاف وتبعاته سوف يكون له أثر شديد فيكِ يا "**كاري لويز**".

– لهذا سألني إذا كان قلبي بصحة جيدة. لقد كان قلقًا بشأن صحتي. استطرد الكاهن:

– عاد "**لويس**" من "**ليفربول**" وذهب "**كريستيان**" لمقابلته وأخبره بأنه قد اكتشف أمره. أعتقد أن "**لويس**" قد استقبل الأمر بهدوء واتفق الاثنان على عمل كل ما هو ممكن للحفاظ عليكِ. أضاف "**كريستيان**" أنه سيكتب لي ليستدعيني للحضور إلى هنا بصفتي إداري لمناقشة الموقف. قالت الآنسة "**ماربيل**" :

– لكن من الواضح أن "**لويس سيروكولد**" كان مستعداً لهذا الموقف. كان قد استدعى هذا الشاب للقيام بدور "**إيدجر لوسون**"... بالتأكيد يوجد "**إيدجر لوسون**" حقيقي احتراساً في حالة التحقيق في ملفات الشرطة. عرف "**إيدجر**" المزيف دوره بالتحديد: تمثيل دور شاب مصاب بانفصام الشخصية وعقدة الاضطهاد ويكون شاهد نفي لـ"**لويس سيروكولد**" في اللحظة الحرجة التي يحتاج إليه فيها. كانت الخطوة التالية متوقعة أيضاً. إنها القصة المفتعلة عن محاولة تسميمك التي اختلقها "**لويس**" وعند التفكير في ذلك نجد أنها لم تكن سوى ادعاء أنها ما اكتشفه "**كريستيان**" وبلّغ به "**لويس**" وكذلك بعض السطور المكتوبة على الآلة الكاتبة عندما كان ينتظر الشرطة. ووضع الزرنيخ في علبة الدواء الخاصة بك ليس بمشكلة ولم يكن ذلك يمثل عليكِ خطورة إذ إنه كان موجوداً ليمنعك من تناولها. والشوكولاتة أيضاً كانت للتضليل ولم يكن بها سم. لم يكن هناك زرنيخ سوى في الزجاجة التي أعطاها

للمفتش "**كوري**". همست "**كاري لويز**":

– لقد خمن "**أليكس**" ذلك.

– نعم. لهذا السبب جمع أظافرك التي قصصتها لتحليلها ومعرفة إذا كنتِ تعرضت لتناول الزرنيخ.

– المسكين "**أليكس**"... المسكين "**إيرني**". سادت لحظة صمت. فكرت الآنسة "**ماربيل**" والدكتور "**جلبريث**" في كل من "**كريستيان جولبراندسين**"، "**أليكس ريستاريك**"، والشاب "**إيرني**"... وسرعة الأحداث المأساوية. قال الكاهن:

– ولكن على أية حال كانت مخاطرة كبيرة من "**لويس**" أن يجعل "**إيدجر**" شريكًا له... حتى لو كان يثق به.. هزت "**كاري لويز**" رأسها:

– لقد كان "**إيدجر**" متفانيًا في خدمة "**لويس**". تدخلت الآنسة "**ماربيل**":

– نعم. مثل تفاني "**ليونارد ويلي**" لأبيه. إني أسأل نفسي إذا كان... وصمتت ذوقًا منها. همست "**كاري لويز**":

– هل لاحظت الشبه الذي بينهما؟

– لقد كنتِ تعرفين إذن؟

– لقد خمنتُ ذلك. أعرف أن "**لويس**" كان على علاقة بممثلة قبل أن يتعرف إليَّ، لقد حدثني عن هذه العلاقة. لم تكن علاقة جادة. كانت هذه المرأة تعشق الألماس ولم تكن تحبه، ولكني متأكدة أن "**إيدجر**" كان ابن "**لويس**". قالت الآنسة "**ماربيل**":

– نعم، هذا يفسر كل شيء. استطردت "**كاري لويز**":

– في النهاية لقد ضحى بحياته من أجله. ثم نظرت إلى الكاهن في رجاء:

– إني سعيدة؛ لأن الأمر قد انتهى على هذا النحو... لقد ضحى بحياته أملاً في أن ينقذ حياة ابنه... هؤلاء الذين يتصفون بالطيبة الشديدة قد يتصفون بالشر الشديد أيضًا. لكنه كان يحبني... وكنت أحبه. سألت الآنسة "**ماربيل**":

– هل شككت فيه أبدًا؟

– لا. أصابني موضوع السم بالحيرة. كنت متأكدة أن "**لويس**" لا يستطيع أبدًا أن يحاول تسميمي، وفي نفس الوقت يؤكد خطاب "**كريستيان**" أن هناك من يحاول ذلك... عندئذ فكرت في أن كل فكرتي عمن حولي غير صحيحة.

– لكن عند العثور على "**أليكس**" و"**إيرني**" مقتولين... ألم تشكي في شيء؟ همست "**كاري لويز**":

– نعم. لأني ظننت أن لا أحد سوى "**لويس**" يجرؤ على فعل ذلك، وبدأت أخشى

مما قد يحدث بعد ذلك. ارتعشت:
- كنت معجبة بـ"**لويس**" . لقد كنت معجبة بطيبته، ولكني الآن أرى أنه عندما يتصف الإنسان بالطيبة يجب أن يبرهن على تواضعه. قال الدكتور "**جلبريث**" :
- هكذا يا "**كاري لويز**" . لقد قدرت فيك دائمًا تواضعك.
- لكني لست ذكية... ولست طيبة حقًّا. كل ما أستطيع أن أفعله هو الإعجاب بطيبة الآخرين. أنهت الآنسة "**ماربيل**" الحديث قائلة:
- "**كاري لويز**"... قالت "**جينا**" :
- أعتقد أن جدتي وخالتي "**ميلدريد**" سيكونان على ما يرام. تبدو خالتي "**ميلدريد**" أكثر لطفًا الآن.. في النهاية أكثر صعوبة للحياة إذا أدركتِ ماذا أقصد. قالت الآنسة "**ماربيل**" :
- تمامًا.
- سنعود أنا و"**وولي**" إلى "**الولايات المتحدة**" بعد 15 يومًا. رمقت السيدة الشابة زوجها بنظرة من ركن عينها واستطردت:
- سأنسى كل شيء: "**ستونيجيتس**" ، "**إيطاليا**" ، وطفولتي سأصبح أمريكية 100٪ سندعو كل أطفالنا "**جونيور الصغير**" "أليس كذلك يا "**وولي**"؟ تدخلت الآنسة "**ماربيل**" قائلة:
- في الواقع بلى يا "**كات**" . ابتسم "**وولي**" معتقدا أن هذه الآنسة العجوز تخطئ في الأسماء.
- ليست "**كات**" بل "**جينا**" .
- إنها تعرف تمامًا ما تقوله. بعد قليل ستناديك "**بيتروكيو**" ! استطردت الآنسة "**ماربيل**" :
- يا ولدي العزيز، أعتقد أنك تصرفت بكثير من الحكمة. ترجمت "**جينا**" قولها:
- إنها تعتقد أنك الزوج المناسب لي. جالت الآنسة "**ماربيل**" ببصرها بين الاثنين. قالت في نفسها: "كم هو جميل رؤية شابين متحابين!".. "**وولتر هود**" الذي رأته أول مرة متجهمًا وعابسًا تحول إلى عملاق مبتسم ومبتهج.
- أنتما تجعلاني أفكر في... أسرعت "**جينا**" ووضعت يدها على فم الآنسة "**ماربيل**" وقالت:
- لا يا خالتي العزيزة "**جان**" ، لا تقوليها. إني أتشكك في أناس قريتك التي تعقدين دائمًا المقارنة بهم. هناك دائمًا جانب شرير في مقارناتك. أنت مشاكسة

عجوز. اغرورقت عينا "**جينا**" بالدموع واستطردت:

– عندما أفكر في أن الجدة "**روث**" وجدتي وأنت كنتن شابات صديقات... أسأل كيف كنتن! لا أستطيع أن أتصور... قاطعتها الآنسةَ "**ماربيل**":

– لا أعتقد أنكِ تستطيعين أبدا. كان ذلك منذ زمن بعيد.

تمت بعون الله

أهم شخصيات الرواية

- "**روث فان ريدوك**" أخت "**كارولين لويز**" وصديقة "**جان ماربيل**" حيث كُنَّ في مدرسة داخلية.
- "**جان ماربيل**" تمثل شخصية الكاتبه "**أجاثا كريستي**" في الرواية.
- "**كارولين لويز**" أو (**كاري**) تزوجت ثلاث مرات. وأنجبت بنتا أسمتها "**ميلدريد**" وتبنت بنتا أخرى تُدعى "**بيبا**". وتولت تربية أولاد أزواجها الثلاثة.
- "**إيريك جولبراندسن**" أول أزواج "**كاري لويز**" أنشأ مؤسسة لإصلاح وعلاج للأطفال المرضى نفسيًا وإعادة تأهيلهم.
- "**جوني ريستاريك**": تزوجته "**كاري**" بعد وفاة زوجها الأول وتم الطلاق بينهما.
- "**لويس سيروكولد**" تزوجت به "**كاري**" وهو الذي يعيش معها الآن.
- "**جوليت بيليفر**" أو (**جولي**): سكرتيرة "**كاري لويز**" وممرضتها.
- "**بيبا**" ابنة "**كاري لويز**" بالتبني. تزوجت المركيز الإيطالي "**جيدو دي سيفيريانو**" ثم ماتت بعد ولادتها لابنتها "**جينا**" التي تربت في كنف جدتها "**كاري**".
- "**ميلدريد**": أنجبتها "**كاري**" من زوجها الأول بعد تبنيهما "**بيبا**" وقد تزوجت الكاهن "**ستريت**" والذي توفي دون أن تنجب.
- "**وولتر هود**" أو (**وولي**) شاب أمريكي. تزوج بـ"**جينا**" في خلال تواجدها بـ"**أمريكا**" أثناء الحرب. حيث أرسلتها جدتها "**كاري**" حرصًا عليها.
- "**كريستيان جولبراندسين**" أخو "**ميلدريد**" من والدها.
- "**ستيفان**" "**ريستاريك**" ابن "**جوني ريستاريك**" الأكبر. وكان يحب الإخراج المسرحي.
- "**مافيريك**" طبيب نفسي. و"**بومجارتين**" معالج نفسي. يعملان في المؤسسة.
- "**إيدجر لوسون**": أحد الشباب. كان يُعالج من مرض نفسي. وكان مقربا لـ"**لويس سيروكولد**".
- "**جلبريث**" كاهن "**كرومر**" وشريك في المؤسسة مع "**جيلفوي**".
- "**إيرني جريج**" من طلاب المدرسة الذين يتلقون العلاج النفسي.
- المفتش "**كوري**" ومساعده الرقيب "**لاك**" والشرطي "**دودجيت**" من إدارة الشرطة.